مجلة

جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

Tobruk University Journal of Social and Human Sciences

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

العدد الأول

يناير 2020

jshs@tu.edu.ly
www.jshs.tu.edu.ly
www.tu.edu.ly

الآية الكريمة

قال تعالى :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

صدق الله العظيم

سورة العلق (1-5)

هيئة التحرير

د . عبدالكريم محمد علي قناوي (رئيس هيئة التحرير)

د . حافظ الصديق إسماعيل منصور (منسق هيئة التحرير)

د . أشرف حافظ يوسف (عضواً)

د . محمود علي المبروك (عضواً)

د . رضاء عبدالحليم جاب الله (عضواً)

د . عبدالكريم عبدالرحيم محمد (مشرفاً فنياً)

رقم الإيداع القانوني 57/ 2021

قواعد النشر

إرشادات المؤلفين

في الوقت الذي تتشرف فيه مجلة جامعة طبرق بنشر الإسهامات العلمية للكتاب والباحثين، فإنها تتمنى منهم الإطلاع على مجموعة القواعد العامة والالتزام بما يرد في اشتراطات النشر، حفاظاً على الشكل المهني للأعمال المنشورة.

قواعد عامة

* تهتم المجلة بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وأعمال المؤتمرات العلمية، وعروض الكتب، والأعمال المترجمة.

* لا تُقبل الأعمال التي سبق نشرها، أوقبلت للنشر في مكان آخر، وعلى الكاتب أن يتعهد خطياً بعدم نشر عمله كاملاً أو مجتزءً و بأي لغة أخرى أو شكل آخر إلا بعد الحصول على إذن كتابي من رئيس التحرير.

* تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم العلمي، ويخطر صاحب العمل بقرار المحكمين وملاحظاتهم قبل النشر، ويلزم الكاتب بإجراء التعديلات المطلوبة.

* تحدد رئاسة التحرير الاعتبارات الفنية الخاصة بترتيب نشر المواد بغض النظر عن قيمة العمل ومكانة الكاتب.

* ما ينشر في المجلة من أعمال يعبر عن وجهة نظر الكتاب وليس بالضرورة أن يعبر عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.

* تتولى جامعة طبرق إدارة كامل حقوق التأليف والنشر، بما فيها قرارات النسخ والإتاحة بأي شكل تراه مناسباً، وبمجرد إخطار الكاتب بقبول العمل للنشر تنتقل جميع حقوق الملكية الفكرية لجامعة طبرق.

شروط النشر في المجلة

1. تُقبل البحوث العلمية المقدمة للنشر في حدود 25 صفحة متضمنة المستخلص، العربي، والإنجليزي، والأشكال التوضيحية، وقائمة المراجع. ويراعى حجم وشكل الأعمال العلمية الأخرى بحسب طبيعتها ومتطلبات نشرها.
2. يعد الباحث واجهة العمل وتشمل: عنوان البحث، واسم الباحث (أو الباحثين)، والمؤسسة الأم التي ينتمي إليها، وبيانات الاتصال به.
3. يقدم الكاتب مستخلصاً لعمله باللغتين العربية والإنجليزية على أن لا يتجاوز 250 كلمة، مصحوباً بكلمات مفتاحية لا تزيد عن خمس كلمات.
4. تكتب الأعمال العربية بخط (Simplified Arabic)، والأعمال الإنجليزية بخط (Times New Romans) ويضبط إخراج العمل وأبعاد الحواشي والمسافات بين الأسطر وفق النموذج المعد من قبل لجنة تحرير المجلة.
5. ترقم صفحات العمل بالأرقام العربية (1,2,3,...) في أسفل منتصف الصفحة.
6. تُدرج الاستشهادات المرجعية في نهاية العمل، وفق قواعد جمعية علم النفس الأمريكية (النسخة السادسة) (American Psychological Association(APA 6th ed.) .
7. تحتفظ المجلة بحق إجراء التعديلات المناسبة التي تقتضيها تنسيقات النشر، بحيث لا تؤثر في محتوى النص.
8. لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للعمل المقدم للنشر، وإقرار قبوله أو رفضه، أو طلب إجراء تعديلات عليه.
9. يتعهد الباحث (أو الباحثون) كتابياً وفق النموذج المعد، بأن العمل المقدم لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يتم تقديمه للنشر في جهة أخرى، إلا بعد الانتهاء من تحكيمه ونشره في المجلة.
10. ترسل الأعمال المراد نشرها، وجميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى مدير التحرير عن طريق موقع المجلة.

كلمة السيد الدكتور رئيس الجامعة

يُعَد البحث العلمي من الركائز الأساسية للعملية التنموية في جميع مجالات العلوم، التطبيقية والنظرية بشقيها: الإنسانية والاجتماعية على حد سواء، وهو الذي يشكل هوية المجتمع، لذا فهو جوهر تَقَدُم الأمم وحضارتها.

ويُسعدني صدور مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية في عددها الأول (يناير 2020م)، وذلك من خلال رؤية الجامعة في تطلعها للتميز فى مجال دراسة الظواهر الاجتماعية والفكرية والمعرفية الثقافية، والإسهام في ربط النظر والعمل من منظور القيمة الحقيقية للمبادئ والأسس الكامنة في الصلة بين الفكر والواقع العملي، لتحقيق أهداف الجامعة المتَضَمَنة تطوير آليات التنمية العلمية، ووضع رؤى إستراتيجية مستقبلية، وتقديم حلول مقترحة أساسها العلم والمعرفة للمشكلات التي تواجه المجتمع.

إن السبيل إلى تنمية القدرات والمهارات المعرفية يَكْمُن في وجود قناة علمية تخصصية، تتصف بالجودة المأمولة لنشر الأبحاث العلمية لأعضاء هيئة التدريس المتخصصين في مجالاتهم المختلفة، كما تتصف بأيديولوجية الانفتاح على الآخر، غير منغلقة على الذات، سواء أكان ذلك من خلال موضوع البحث أو الباحث، تلك الدعائم قد بُنِيَت عليها مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

لهذا أقدم خالص شكري وتقديري لأعضاء هيئة تحرير المجلة الذين عملوا بجهد لإخراج هذا العمل للوجود، وأيضاً إلى كل من ساهم في هذا العمل من الباحثين والمقيمين، وأتمنى الاستمرار والنجاح دائماً.

د. حسن علي حسن

رئيس جامعة طبرق

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

في هذه اللحظات العلمية المباركة التي تنظلق فيها مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية، أود أن أهنئ هيئة التحرير التي عملت لسنواتٍ بجد طوال فترة الإعداد لإصدار المجلة، وها قد حانت لحظة انطلاقتها.

وفي اللحظات العلمية الفارقة في التاريخ العلمي للجامعة، تود أسرة التحرير أن تثني على جهود السيد الدكتور رئيس الجامعة/ حسن على حسن لدعمه أسرة التحرير وتذليله الصعاب التي واجهت انطلاق أعداد المجلة.

كما تتقدم أسرة تحرير المجلة بالشكر للسيدين/ د. عبدالعزيز عبدالكريم بو حليقة، رئيس الجامعة السابق، والسيد/ د. صلاح على محجوب، وكيل الجامعة السابق، اللذين كان لهما الفضل في تشكيل لجان التحرير، واختيار نخبة من الأساتذة المهتمين بالبحث العلمي من ذوي الكفاءة المشهود بها.

ونحن إذ ننته من إعداد محتويات العدد الأول، الذي يمثل باكورة الانتاج العلمي لأساتذة الجامعة والمتعاونين معها، نأمل أن يعطي صورةً مشرفةً عن البحث العلمي في جامعة طبرق، الذي شهد زيادةً ملحوظةً في عدد البحوث المنجزة في جميع التخصصات العلمية خلال السنوات الأخيرة، والتي لابد أن ترى انور عبر منصات البحث العلمي، وعلى رأسها المجلات العلمية، والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هيئة تحرير المجلة

محتويات العدد

الآية الكريمة.....2

هيئة التحرير.....3

قواعد النشر 4

كلمة السيد الدكتور رئيس الجامعة 6

كلمة العدد 7

محتويات العدد 8

هــوية العقل الجمعي بين الطبع والاكتساب 10

د. أشرف حافظ.....10

دور الانترنت في تحسين جودة التدريس بكلية الآداب بجامعة طبرق.....45

د. عبدالكريم محمد على قناوي 45

أ.صالحة خميس على عبدالمولى 45

البيواتيقا من منظور العلم 69

د. إبراهيم حسين إبر اهيم الشريف 69

تحمل/ عدم تحمل الغموض وعلاقته بالتصلب/ المرونة لدى طلبة جامعة طبرق.....89

د. فتحي امراجع امصادف. 89

د. أبو بكر فضل لامين 89

أ. حمدي صالح عبد السلام 89

تطور عمليات الأمم المتحدة للسلم والأمن الدوليين بعد الحرب الباردة 114

د. إدريس محمد علي قناوي، د. محمد صالح عمر على..... 114

علاقة آل الكزَّة بالحركة السنوسية 1841-1944 156

د. وليد شعيب آدم 156

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

هـــــوية العقل الجمعي بين الطبع والاكتساب

د. أشرف حافظ

قسم الفلسفة، كلية الآداب – جامعة طبرق

Ashraf_hafez26@yahoo.com

العدد: الأول

يناير 2020

المستخلص

تُعد مسألة الهوية من الموضوعات التي تواجه العديد من والمجتمعات سواء أكانت العناصر المكونة لها ذات أصول قديمة من حيث الزمان أم حديثة، وذلك لوجود متغيرات دولية عالمية متسارعة يستتبعها متغيرات إقليمية مؤثرة على ذاتية المجتمع من خلال مجالات عدة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهذا ما جعل الجدل مستمراً بصدد مفهوم الهوية داخل مجالات العلوم الإنسانية، كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ وعلم الأنثروبولوجي، وإن لم يخل الأمر من تواصل العلوم الطبيعية بالإنسانية كالفرينولوجي والبيوسيكولوجي، لذا فإن مفهوم الهوية من المفاهيم التي تعددت بشأنها الدلالات المتقاربة أحياناً والمختلفة أو المتباعدة أحياناً أخرى،على الرغم من كونها مُعَبرة عن هوية العقل الجمعي للمجتمع.

وعلى الرغم من تعدد الآراء بصدد مسألة الهوية إلا أنه لا شك في أهمية البحث في تلك المسألة لتعلقها بكل مجتمع لتميزه عن الآخر، وأيضاً معرفة ما إذا كانت هوية العقل الجمعي وأنماط تفكيره ذات مصادر طبْعيَّة "وراثية" أم اكتسابية؟ .

لذا يرتكز هذا البحث على ثلاثة عناصر أساسية، الأول: عرض وتحليل التعريفات المختلفة لمفهوم الهوية، والثاني: مسار تطور الدلالات المختلفة للهوية ومجالاتها من المنظور الأنطولوجي وكذلك السيكولوجي وأيضاً السسيولوجي، والثالث: يتضمن آراء النظرة الاكتسابية الجدلية وآراء النظرة الطبعية الوراثية كمصادر تشكيل الهوية، وتقديم مقترح التفاعل الجدلي بين الوراثة والبيئة.

Summary

The identity of the collective mind

Between inheritance and acquisition

The issue of identity is one of the issues facing many societies, whether the constituent elements have ancient origins in terms of time or modern, due to the presence of accelerated global international variables that entail regional variables affecting the subjectivity of society through several cultural, social, economic and political fields, and this is what made the debate Continuing with regard to the concept of identity within the fields of the human sciences, such as philosophy, sociology, psychology, history and anthropology, although the matter is not without prejudice to the continuity of the natural sciences with humanity, such as phrenology and biology, so the concept of identity is one of the concepts about which there are many connotations that are sometimes converging and different at other times, despite their being It expresses the identity of the collective mind of society.

In spite of the multiplicity of opinions regarding the issue of identity, there is no doubt about the importance of researching this issue in relation to each society, to distinguish it from the other, and also to know whether the identity of the collective mind and its thought patterns are of “hereditary” or acquired natural sources?.

Therefore, this research is based on three basic elements, the first: presenting and analyzing the different definitions of the concept of identity, and the second: the path of development of the various connotations of identity and its fields from the ontological, psychological and also sociological perspectives, and the third: includes views of the dialectical acquisition and views of the naturalistic view as sources of identity formation, and the presentation of A proposal for a dialectical interaction between genetics and environment.

مقدمة

تُعد مسألة الهوية من الموضوعات التي تواجه العديد من الشعوب والمجتمعات سواء أكانت العناصر المكونة لها ذات أصول قديمة من حيث الزمان أم حديثة، وذلك لوجود متغيرات دولية عالمية متسارعة يستتبعها متغيرات إقليمية مؤثرة على ذاتية المجتمع من خلال مجالات عدة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهذا ما جعل الجدل مستمراً بصدد مفهوم الهوية داخل مجالات العلوم الإنسانية، كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ وعلم اللغة وعلم الأنثروبولوجي، وأيضاً الاقتصاد والسياسة وإن لم يخل الأمر من تواصل العلوم الطبيعية بالإنسانية كالفرينولوجي والبيوسيكولوجي، لذا فإن مفهوم الهوية من المفاهيم التي تعددت بشأنها الدلالات المتقاربة أحياناً والمختلفة أو المتباعدة أحياناً أخرى،على الرغم من كونها مُعَبرة عن هوية العقل الجمعي للمجتمع.

لقد اختلفت الدلالات لكثرة العوامل والعناصر المكونة لمفهوم الهوية وتشابك هذه المكونات مع بعضها البعض، فمنها ما هو مقدس ومطلق ومنها ما هو غير ذلك فيخضع لمفهوم النسبي والمتغير، وأيضاً لصلة المفهوم بقضايا كثيرة ذات صلة وثيقة به، كالقومية أو العرقية وعلاقة الأنا بالآخر ومسألة التواصل والحداثة والزمان والصراع والتغير والاختلاف والتنوع والثقافة والتراث، لهذا تعددت الدلالات واختلفت آراء المفكرين كل بحسب منظوره وإطار دراسته، وعلى الرغم من تعدد الآراء بصدد مسألة الهوية إلا أنه لا شك في أهمية البحث في تلك المسألة لتعلقها بكل مجتمع لتميزه عن الآخر، وأيضاً معرفة ما إذا كانت هوية العقل الجمعي وأنماط تفكيره ذات مصادر طبْعيَّة "وراثية" أم اكتسابية؟ .

لذا يرتكز هذا البحث على ثلاثة عناصر أساسية، الأول: عرض وتحليل التعريفات المختلفة لمفهوم الهوية، والثاني: مسار تطور الدلالات المختلفة للهوية ومجالاتها من المنظور الأنطولوجي وكذلك السيكولوجي وأيضاً السسيولوجي، والثالث: يتضمن آراء النظرة الاكتسابية الجدلية وآراء النظرة الطبعية الوراثية كمصادر تشكيل الهوية، وتقديم مقترح التفاعل الجدلي بين الوراثة والبيئة.

أولاً: تعريفات الهوية

من الجدير بالذكر أن مصطلح الهوية بما يحتويه من مدلولات وجودية ومعرفية واجتماعية لا ينتمي في حد ذاته إلى اللغة العربية، ولكن يرجع استعماله إلى ترجمة كتب أرسطو (ت 322 ق.م)، وعلى الأخص كتاب ما بعد الطبيعة وأيضاً المنطق، فلقد استخدم الكندي (ت256 هـ) والفارابي (ت 339هـ) وابن رشد (ت 595 هـ) لفظة "هُوية" المنحوتة من الضمير "هو" باعتباره مقابلاً للفظة "Αυτός είναι" في اليونانية والتي استخدمها أرسطو لمفهوم الوجود (الفارابي، 1990) ، وكذلك لأن لفظة "هو" تدل على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وعملية ارتباط المحمول بالموضوع تتعلق بمنظومة المنطق الأرسطي كما تتعلق بمنظومة اللغة أيضاً، حتى أصبح مفهوم الهوية بتنوع مدلولاته في الإدراك العقلي العربي المعاصر، بعد أن مر بعدة مراحل معرفية عبر التاريخ أثرت في تنوع مفهوماته.

لقد اختلفت التعريفات باختلاف الدلالات وتنوعها، ومنها: "إن الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (الجرجاني، 1995)، وأيضا "إن الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي شهودي" (جميل صليبا، 1979)، ويوجد تعريف يشير إلى تنوع مفهوم الهوية من منظور اختلاف المعاني فيرى "أن لفظة الهوية تُطلق على معان ثلاثة هي: التشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، فما به الشئ هو باعتبار أن تحققه يسمى حقيقة وذاتاً، وباعتبار أن تشخصه يسمى هوية، وإذا أُخذ بأعم من هذا الاعتبار فإنه يسمى ماهية، فالأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية (الكفوى، 1992)، وفي المضمون نفسه يُعَرف الفارابي الهوية بقوله: "هوية الشئ: عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك" (الفارابي، 1990)، ويرى هيجل أن الهوية هي علاقة الذات في دائرة الماهية باعتبار أن تلك العلاقة هي صورة الهوية أو الانعكاس على الذات (الهيجيلية، 1996).

ومن الملاحظ في تلك التعريفات أن مفهوم الهوية قد نُظر إليه في المستوى الميتافيزيقي والأنطولوجي من خلال المنظومة الأرسطية لمبادئ الفكر الأساسية، مبدأ الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع، والتي في حقيقتها تنتمي لمبدأ واحد وهو مبدأ الهوية، فيقوم مبدأ الهوية هنا على معنى الموجود هو ذاته، أو هو – هو، أو هو ما عليه، كما أن الهوية عبارة عن التشخص وقد تُطلق على الوجود الخارجي أو على الماهية مع التشخيص، وتُطلق أيضاً على الوجود المطلق وعلى الذات الإلهية فهوية الحق هي عينه، وبهذا تعني هوية

الشئ ماهيته وحقيقته المُعَبرة عنه، حيث تتحد الصفة بالموضوع في تشخص متفرد لا إشراك فيه، فترتبط بذلك مفهوم الهوية بالمطابقة والتماهي والماهية والوحدة.

وهناك تعريفات أخرى تنظر لإشكالية الهوية من المنظور السوسيولوجى والتاريخى والثقافي في محاولة معرفية لتفهم حقيقة الهوية المجتمعية، وكيفية تكوينها وتحديدها وماهية مبررتها وجدليتها الخاصة بها التي تصنعها وتُعَدل ملامحها، "فهوية الشئ هي خاصيته المطابقة له من حيث هي حقيقته المشتملة على صفاته الجوهرية أو الأساسية التي تميزه عن غيره فتعبر عن وحدة الذات" (الفلسفية، 1986)، وفي تطبيق هذا التعريف على الهوية الثقافية للمجتمع نجد أن المعنى العام للكلمة لا يتغير لأنه يشتمل على الامتياز والتفرد عن الغير والمطابقة التامة للنفس أي خصوصية الذات، وما يتميز أو يتفرد به الفرد أو المجتمع عن الغير من خصائص ومميزات وقيم ومقومات، إذ تعني الهوية بذلك التعريف: هي كل ما يُشَخص أو يصف الذات ويميزها دون الإشارة إلى عملية الصيرورة والتي تُعَد في حد ذاتها سمة جوهرية لكل المجتمعات البشرية.

تطورت النظرة لمفهوم الهوية فدخل في التعريفات مبدأ الصيرورة والتغير، وأصبحت الهوية تُعَبر عن كيان يتغير ويتطور ويتفاعل وليست معطى مطلقاً ونهائياً، بل تنمو وتتطور أو تتبلور وتتفاعل إيجاباً أو سلباً بالانفتاح أو الانغلاق، والهوية بذلك "ما هي إلا منظومة متكاملة متطورة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي عادة على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها (ميكشيللى، 1993)"وبهذا تعني الهوية تجمعات المعنى والقيمة في المجتمع وأيضاً أنماط التفكير، فتصبح الهوية مشروعاً منفتحاً على المستقبل ومتشابك ومنفعل مع الواقع والتاريخ، لتمثل وحدة من المشاعر والأفكار التي تعطى المجتمع الاستمرارية والتمايز والديمومة، فتبرز من خلالها ثقافة المجتمع وقيمه الخاصة به التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

لقد تعددت التعريفات في ضوء ذلك المنظور الاجتماعي الثقافي لمفهوم الهوية، فتُعَرَف الهوية بأنها "عبارة عن مركب من العناصر المرجعية والمادية والذاتية التي تسمح بتعريف خاص للتفاعل الاجتماعي"، وفي ضوء ذلك التعريف التعريف فإن الهوية مركبة من عناصر، لذا فهي بالضرورة في حالة صيرورة متغيرة ومتبدلة في الوقت ذاته، وتتميز فيه بالتفرد والثبات والوحدة النسبية، وتعريف آخر يُظهر العامل الديني كعامل أساسي تُبنى عليه الهوية، فيُعَرف الهوية بأنها "جوهر وحقيقة وثوابت الأمة التي اصطبغت بالدين منذ

أن دانت به غالبية الأمة"، وبناء على ذلك فإن العادات والتقاليد والأعراف والآداب والفنون وسائر العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأيضاً العلوم الطبيعية والتجريبية، والنظرة للكون والحياة وللذات والآخرة، والتصورات الأنطوولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية، ومعايير القبول والرفض هي جميعها عناصر الهوية المبنية على الدين (الشريف، 2006).

ونجد تعريفات للهوية تُبرز عنصر العرقية في مفهوم الهوية من حيث أنها تُطْلَق على كل جماعة تتميز بالإحساس والاختلاف الواضح بسبب الثقافة والأصل المشترك، ففي تعريف أوتو كلاينجر Oto klainger للجماعة "أنها تختلف عن الجماعات الأخرى في النمط الجسماني أو العرق أو الدين واللغة أو في الأصل القومي أو في كل الأشياء مجتمعة"، ولقد أشار كل من جلايزر وموينيهان Glaizer & monihan إلى أن استخدام المصطلح في السنوات الأخيرة يعكس المعنى الواسع الذي اكتسبته العرقية ولا يقتصر على الجماعات الهامشية أو الأقليات، بل يُطلق على كل جماعة تتميز بالإحساس بالاختلاف والتميز بسبب الثقافة والأصل المشترك (الشامى،، 1997).

ويوجد منظور يفرق بين هوية الجماعة وهوية الفرد العضو في الجماعة نفسها، فيشير هربرت كالمان Herbart Kalman إلى أن الهوية الجماعية يحملها أعضاؤها الأفراد في الجماعة ولكنها لا تظلل أعضاء الجماعة بمجمل المفاهيم الخاصة بها، فهي من ناحية لها وجود منفصل في صورة نتاجات تاريخية متجمعة، وتضم من ناحية أخرى قطاعات مختلفة من الجماعات تختلف كل منها عن الآخر اختلافاً كبيراً في درجة تداخلهم الفعال والتزامهم الوجدانى تجاه الجماعة، حيث تقوم عناصر زعامية مختلفة وجماعات ثانوية فعالة بدور رئيسي في تحديد هوية الجماعة أكثر من سائر المنتمين إليها، وهذا لا ينفي أن الهوية الذاتية للفرد تتأثر بالهوية الذاتية الجماعية الموضوعية كسمات حسبما يدركها الآخرون وبين الهوية الجماعية الذاتية كإدراك الجماعة لنفسها في نظر الآخرين وبين الهوية الذاتية كالإدراك الذاتي للفرد عن مقدار سماته. (المرجع السابق)

ويُعَرف الجابرى الهوية من خلال إبراز المجال الثقافي وتفاعلاته مع الآخر، فيرى أن الهوية عبارة عن كيان تراكمي ولا يُعطَى جاهزاً فإنه يتطور ويتغير إما في اتجاه الانكماش أو في اتجاه الانتشار فهي تكون عينة تجارب أهلها ومعاناتهم وثقافتهم وتفاعلاتهم واحتكاكهم بالهويات الثقافية الأخرى سلباً أو إيجاباً (الجابرى، 1998)، ومعنى هذا أن الهوية تبرز من خلال ثقافة المجتمع وقيمه، وتعطيه الخصوصية وتميزه عن

الآخر، وهي ليست ثابتة وأبدية ولكنها تشهد عمليات تحول عبر الزمن من خلال تفاعل المجتمع مع ذاته من جانب ومع المجتمع الآخر من جانب آخر نتيجة إدخال متغيرات ذات تأثير على قيم الهوية، اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، حيث أن الهوية الثقافية للمجتمع تعني ذلك القدر الثابت نسبياً والجوهرى المشترك من السمات العامة التي تميز المجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى.

وبعامة فالتعريفات الخاصة بالهوية قد اختلفت وتنوعت في مفهوماتها ومدلولاتها، فلقد انتقلت من المستوى المنطقي في قوانين الفكر وارتباط المحمول بالموضوع إلى المستوى الأنطولوجي لمفهوم الوجود والميتافيزيقا ثم المستوى الثقافي والاجتماعي الذي تنوعت فيه إبراز عناصر مكونات الهوية من ثقافة أو دين أوعرق وأصل.

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى عامل مهم أدى إلى ذلك الانتقال والانزياح في المفهوم من المنطقي والأنطولوجي إلى الثقافي والاجتماعي، وهو الاتجاه الفلسفي والنفسي إلى الذات الإنسانية المفكرة، فأصبح مفهوم الهوية يدل على معنى الذات الذي تقرر من خلال مفهوم الشئ المفكر والذي صاغه ديكارت (ت1650 م) في عبارته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، (ديكارت،، 1952) فأحدث بذلك انزياحاً من أنطولوجية الشئ إلى أنطولوجية الأنا الذاتية.

ويمكن القول أن تلك الفكرة الديكارتية قد أشار إليها القديس أوغسطين (ت430م) أي قبل ديكارت بثلاثة عشرة قرناً، ولكنه لم يكن يهدف إلى تلك النقلة في المفهوم إنما أراد أن يبقيها داخل الإطار الأنطولوجي والمعرفي، حيث يرى أن الشك يقتضي وجود ذات حية تشك (zeller,1948) .

ومع كانط (ت1804م) أخذ المفهوم يخرج من لغة "الأنا" الديكارتية إلى لغة "الهو المطابق" الذي سيصبح مع هيجل (ت1831م) ضمن فينومينولوجيا الروح يُعَبر عن "الهو المغترب" و"الهو الزائل" و"هو نفسه بما هو آخر" و"الهو الذي صار شيئا" و"الهو المحض للفرد" و"هو الشخص" و"هو الشعب أو الأمة"، وهذا أدى بصورة إلى طرح مسألة الهوية في المستوى الأنثربولوجي والاجتماعي والثقافي (المسكينى، 2001).

عامل آخر أدى إلى ذلك الانزياح في المفهوم، وهو استعمال لفظة "هو" في مجال علم النفس من خلال البحث في الأنا الذاتية الشخصية وأنماط السلوك والسمات التي يمكن ملاحظتها أو استنتاجها والتي تميز شخصاً في نظر نفسه ونظر الآخرين عن شخص آخر، فهوية الأنا الفردية تتطور من الامتزاج

التدريجي لكل الهويات الفردية الأخرى، وما المجتمع إلا مجموع الهويات الفردية المكونة له، وبالتالي يمكن التحدث عن السمات العامة وأنماط التفكير والسلوكيات والموروث في ضوء هوية مجتمع ما، وهوية المجتمع تعني بذلك الإطار النفسي والفكري العام الذي يُعَبر عن وجوده الاجتماعي والنفسي والثقافي والعرقي.

إذن يمكن القول بانزياحات عدة: من "هو" نحوي لغوي إلى "هو" منطقي إلى "هو– هو" أنطولوجي، ومن ثم إلى "هوية" أنطولوجية في الفكر الوسيط (مسيحى – إسلامي) إلى هوية أنثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السوسيولوجي الأيديولوجي، لذا سنعرض بشئ من التفصيل كيفية الانزياح للمفهوم من الأنطولوجي إلى السيكولوجي ثم إلى السسيولوجي، وأثر ذلك في النظرة الطبعية الوراثية والاكتسابية.

ثانياً: تطور الدلالات ومجالاتها

أ– الدلالة الوجودية (الأنطولوجية)

يرتبط مفهوم الهوية من المنظور الأنطولوجي ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم أخرى كالماهية وصلتها بالوجود والتماهي والمطابقة والوحدة والتنوع داخل الوحدة والصيرورة مما أثر في الدلالة السسيولوجية الثقافية فيما بعد.

تُعد مشكلة الوجود والماهية من أولى المشكلات الرئيسة في تاريخ الفكر الفلسفي وعلى الأخص اليوناني، فقد طرحت تساؤلات كثيرة حول الموجودة من بينها: هل الوجود حقيقي أم أنه مجرد أفكار؟ وما نوع الوجود؟ وما هي الصلة بين الموجود والماهية؟، فعلم الوجود أو الأنطولوجيا يبحث في الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره، أي علم الموجود بما هو موجود، وفلسفة الوجود بهذا المعنى هي تلك الفلسفة التي تهتم بالمطلق أي بالكل الشامل، وهي من هذا المنطلق نوع من أنواع الميتافيزيقا التي تدعو إلى المطلق، وتبحث عن الأشياء في ذاتها من جهة ما هي عليه من جواهر لا عن ظواهرها ومحمولاتها.

وكل وجود لابد من أن يكون له ماهية، فإن لكل شئ ماهية ولا يمكن تصور شيئاً ما دون ماهيته، فالعلاقة بالذات – ذات الموجود – في ضوء دائرة الماهية هي صورة الهوية على الذات، ومن هذا المنطلق تصور أفلاطون ماهية الوجود على أساس مثالي وتعيين ظاهري أو حسي، بحيث يصبح الوجود مشاركة بين المعنى الحقيقي الذي تنتمي إليه المُثُل، فرأي أن الوجود ليس إلا الماهية، أما أرسطو فيتلخص موقفه عن الوجود في المبادئ العقلية العامة التي تتحكم في مسار الموجودات، فقسم الوجود إلى الوجود بالفعل والوجود بالقوة وكل له ماهية.

تأثرت العقلية العربية بفكرة الوجود والماهية، وأصبح سؤال الماهية غالباً في العقل الإسلامي بغض النظر مما كانت عليه الإجابات وما تترتب عليها من نتاج فكري وأدبي، وهذا ما جعل مفهوم الهوية مفهوماً مرجعياً في الدوائر الثقافية العربية الإسلامية، حيث كان أول مجال تأثرت فيه بفكرة الوجود والماهية هو المجال الأنطولوجي الميتافيزيقي، ومن ذلك المنطلق بُنيَّ أساس الهوية لديهم في الوجود المحض المستوعب للكمال الوجودي، وذلك في منظومات علم الكلام والفلسفة والتصوف.

وفي منظومة علم الكلام فإن كل علم تصديقى هو عبارة عن قضية تشتمل على موصوف وصفة، موجود وماهية، ونسبة تلك الماهية إلى الموجود (الغزالى، 1985)، ولما كانت ذات الله عز وجل ليس كمثالها شئ فهي مجهولة عن الإدراك العقلي الإنساني، أما الهوية أو الماهية، أو الصفات فهي معلومة نقلاً، لذلك اختلفت الآراء بصدد مسألة الهوية والغيرية والتي تعبر عن الصلة بين الذات الإلهية وصفاتها.

وقبل التطرق إلى موقف علم الكلام الإسلامى لمسألة الصلة بين الذات والصفات، لابد للإشارة هنا أن تلك المسألة كانت مطروحة في الفكر المسيحي، حيث ذهب أوغسطين (ت430م) إلى أن صفات الله عين ذاته وهي هويته ولا يمكن اعتبارها شيئا مضافا إلى الذات، ولكن أوغسطين حاول معالجة تلك المسألة في إطار التثليث (أوغسطين، 1981)، أما الفكر الإسلامى فقد عالجها في إطار الوحدانية الفردانية حيث اعتبرت المعتزلة الصفات عين الذات غير مغايرة لها، هي _ هو.

لذلك قال واصل بن عطاء (ت131هـ): من أثبت صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى فقد أثبت إلهين، فالله عالم وعلمه هو هو، حى وحياته هي هو، إذا لو كانت الصفات زائدة عن الذات لكانت هناك صفة وموصوف وحامل محمول وهذا هو حال الأجسام والله تعالى منزه عن الجسمية (النشار، 1969)، أما الأشاعرة وإن كانوا على شبه اتفاق مع المعتزلة في انعدام السبق بين الذات والصفات إلا أنهم اختلفوا في تحديد الصلة بينها، وذهبوا إلى أن صفات الله قديمة في ذاته وهي غير منفصلة بعضها عن البعض الآخر وغير مباينة لبعضها الآخر ولا هي مغايرة لذات الله تعالى. (الشهرستانى، بدون)

وفي منظومة الفلسفة تضح الهوية والمطابقة أو التماهي عند الكندي في أرائه للوجود الإلهي، فالله من حيث طبيعته هو الآنية الحقة وهو الوجود التام الذي لم يسبقه وجود ولا ينتهي له وجود، وهو كذلك من حيث الصفات والماهية واحد تام، (الكندي، بدون) وعند الفارابي واجب الوجود بالذات، وصفاته لا تختلف عن

حقيقة جوهره أي عن ذاته (الفارابي، 1990)، وكذلك ابن رشد حيث يرى أن الله عاقل ومعقول معاً، ووجوده عين وحدته، إذ الوجود والوحدة فيه عين الذات وهويتها (رشد، بدون).

وفي منظومة التصوف– الفلسفي على وجه الخصوص – فإن مسألة الهوية والعينية في ضوء الميتافيزيقا جاءت من خلال نظرية وحدة الوجود والتي تذهب إلى إن الله والعالم وجهان لحقيقة واحدة وجوهر واحد، وتظهر بوضوح عند ابن عربى (ت638هـ) وعبد الكريم الجيلى (ت805هـ)، فلقد ذهبا إلى أن صفات الله عين ذاته (عربي، 1946)، ولكنهما لم يقصدا مقصد المعتزلة من التنزيه بل على خلاف من ذلك، فالوجود كله في نظرهما هو عبارة عن مظهر تجلى الحق، والهوية والعينية بهذا في فكرهما تتسق مع مفهوم وحدة الوجود.

وبالنسبة للفكر الغربي فإن مساهمات ليبنتز (ت1716م)، وهيجل (ت1831م) وشلنج (ت1854م)، المفعمة بالروح الميتافيزيقية قد أثرت في دلالات الهوية من حيث الوعي الفكري، لقد طرح ليبنتز مفهوم "هوية اللامتمايزات"، فكل الأشياء متمايزة وعلى الرغم من ذلك لابد وأن يكون هناك تشابه وتماثل (لالاند، 1983)، وهذه الرؤية قد ألقت الضوء على أفكار المتماثلات في الاختلافات في المستوى الثقافي لمفهوم الهوية في العصر الحديث، فأصبح بالإمكان الحديث عن هوية مجتمع تنحدر من خلال الأشياء المتماثلة والمتشابهة بين أفراده على الرغم من اختلاف أفراد المجتمع أنفسهم، ويمكن أيضاً الحديث من هوية الاختلاف والتنازع في ضوء هوية الاتفاق.

فماهية الأشياء وهويتها هي الروح، والمذهب الروحى بهذا السياق يجعل ماهية الأشياء دوماً تشعر بنفسها وتحس بشخصيتها، لأن استطاعة إدراك حقائق الأشياء تكمن في الفكر المجرد (ليبنتز، 1974) وهذه الرؤية قد انسحبت فيما بعد على إطلاق مفهوم الهوية على الفكر والعقل الجمعي من حيث العادات والتقاليد واللغة وأنماط التفكير في المستوى الاجتماعي.

وعن مساهمة هيجل، فإن الماهية تعني العقل الجمعي وهي تتقوم عنده بثلاث مقولات هي: الهوية والاختلاف والأساس، وفيما يتعلق بالهوية فهو يعتقد بأن التنوع سمة أساسية لها، والاختلاف فيما هو أساس الأفكار، لأن الهوية هنا لا تبقى في صورتها المطلقة، ولا في صورتها المنطقية المحضة، إنما تتجاوز ذلك إلى تضمنها الاختلاف الذي يُعد عاملاً جوهرياً من عوامل وجودها الضرورى (رسول، 2002).

فالهوية بذلك هي مقولة عليا من مقولات حالات الوعي الفكري للعقل الجمعي، وهي تمثل جميع صور الفكر والنشاط الذهني، وهي بوصفها وعياً ذاتياً هي ما يميز الإنسان عن الطبيعة وهي ما يميزه عن الحيوان (استيس، 1956) فالاختلاف والتنوع في دائرة الماهية يُعَبر عن الارتباط بالأشياء الأخرى التي تكون جانباً أساسياً من طبيعة كل شئ، من حيث أن الأساس هو وحدة يوجد بداخلها التنوع والتمييز.

أما عن مساهمات شلنج فهي تتبلور في المثالية التأملية لفلسفة الهوية، ويُعد أول من وضع كتاباً مستقلاً يحمل عنوان "الهوية" في أول القرن التاسع عشر الميلادى، حيث يرى أن الهوية المطلقة هي جوهر العقل وماهيته، ويشير إلى أن الهوية تكتسب كيانها من خلال السوية، وهي الوحدة الناشئة عن التقابل، وهذا يعني أن التقابل في حد ذاته يتضمن الهوية، أما السوية فهي الهوية المتولدة عن التقابل، وهي تعتمد على الاختلاف وتطمح في حالة تأكيد الهوية واستعادة كيانها إلى السوية. (رسول، 2002)

بهذا الطرح أحدث شلنج متغيراً في تاريخ الهوية عبر إخراجها من مجرد المعنى المنطقى إلى المعنى الواقعي من خلال تأكيد فكرة السوية، وبهذا التصور يصبح الاختلاف والتنوع والتنازع والتقابل داخل مفهوم وحدة الهوية، فالاختلاف متضمناً في الوحدة (السابق)، وهذا المفهوم جعل النظرة السيسولوجية والأنثربولوجية للهوية تستوعب معاني الاختلاف والتقابل والتنازع داخل الوحدة نفسها، حيث لم تعد الهوية تنشد التطابق والمماهاة كما في التصور الأرسطي الصوري، بل أصبحت تسعى وراء التكون في غير ذاتيتها وحضورها في ذاتها أيضاً، وبذلك يكون مفهوم الهوية منتج عملياً وليس وصورياً.

هذه التصورات التي استبعدت التماهي أو التطابق وجعلت الهوية متضمنة الاختلاف والتنوع أدت إلى دلالات ومفاهيم جديدة داخل الهوية مما جعل مفهوم الهوية أكثر ثراء وتفاعلاً وصيرورة ديناميكية، ولم يعد ثابتاً في حالة استاتيكية بل أصبح صالحاً لدخوله المجال الاجتماعي وحاضراً في الوعي الإدراكي المعرفي لانعكاسه على مجمل أنظمة الفكر والثقافة والعلم، ومع تطور العلوم وانعكاس ذلك على الوعي الإدراكي أنتج فلسفات جعلت مفهوم الهوية أكثر استقبالاً للدلالات المختلفة، ومنها الفلسفة البرجماتية وفلسفة النسبية والتي نتجت عن نظرية النسبية لأينشتين، فأضفت على المعرفة طابع الهوية النسبية مما أدى إلى مفهوم نسبية الهوية وأدخل عليها دلالة التغير والتطور والتأثير والتأثر وصلتها بالهويات الأخرى.

2- الدلالة النفسية (السيكولوجية)

أخذ الإنسان يقترب من موجوديته ومن تكويناته وذاته بظهور علم النفس كعلم مستقل، حيث وجهت أبحاث ودراسات سيجموند فرويد الأنظار إلى هوية الموجود الفرد، الذات المشخصة، من خلال استكشاف العناصر الكامنة وراء الشعور والوعي لدى الإنسان، وهذه العناصر مكونة من التصورات والأفكار والمشاعر والأحاسيس وقوى أخرى للنفس البشرية، وافتراض مقولة اللاشعور واللاوعي كقوة عند الإنسان تتحكم في السلوكيات البشرية، هوية اللاشعور وهوية اللاوعي، كل هذا أدخل منظوراً جديداً على مفهوم الهوية.

ويقصد بدلالة هوية الأنا في المجال النفسي (علم النفس) الأنا الفردية الشخصية للفرد، ومن ذلك المنطلق يكمن مفهوم هوية الأنا في تحديد الفرد لمن يكونه وما سيكونه، بحيث يكون المستقبل المتوقع امتداداً واستمراراً لخبرات الماضي، أو تكون خبرات الماضي متصلة بما يتوقعه من مستقبل اتصالاً ذا معنى، وينطوي مفهوم الهوية على شعور الفرد بكونه قادر على العمل كشخص منفرد دون انغلاق العلاقة بالآخر، أي تحقيق تفرده وتقوية أدواره الاجتماعية وإعادة تقويمه لعلاقاته بعالمه والآخرين وتوجهه نحو أهداف محددة (مرسى، 2002).

وجدير بالذكر أنه لا يوجد اتفاق بين علماء النفس على كيفية ارتباط مفهومي الأنا والذات، فالبعض قد استخدمهما بالتبادل من حيث هوية المعنى، باعتبار أن مصطلح الذات مرادف لمصطلح الأنا ويؤدي إلى المعنى نفسه، والبعض الآخر قد فرق بينهما، فبالنسبة للأنا، نظر إليها فرويد على أنها جزء من الشخصية وتمثل ذلك الجزء أو القسم من الهو الذي تأثر نتيجة العالم الخارجي فيه تأثيراً مباشراً بواسطة جهاز الإدراك الحسى (فرويد، 1982)، أما بالنسبة للذات فتُعَبر عن الكيان الجوهرى أو الخاص الجزئى لشخص واحد، وقد تُستخدم كمرادف للشخصية (فهمى، 1967)، ويرى روجرز أن مفهوم الذات يمكن تصوره كتنظيم منسق يتألف من الإدراكات أو مميزات "أنا" والإدراكات، فالذات هي جانب من العلم الظاهر للفرد أو من مجاله الإدراكي (مرسى، 2002)

وشيوع لفظ هوية على المستوى النفسي إنما يرجع إلى إريك إريكسون (Erikson، 1950) بوصفه هوية أو ذاتية الفرد بحيث يكون للمرء باستمرار كيان متميز عن الآخرين، حيث طور هذا المفهوم وجعله مفهوماً

مركزياً في تصوراته النفسية، وعرفه بأنه ذلك الشعور بالهوية الذي يهيئ القدرة على تجربة ذات المرء كشئ له استمراريته، وكونه هو نفس الشئ، ثم التصرف تبعاً لذلك.

وجدير بالاهتمام أن إريكسون يضع مفهوم الهوية أو الذاتية في دائرة النمو التاريخي وسياقه، حيث ركز على تطوير الذاتية أكثر مما ركز على أي اكتساب آخر للنمو، ويرى أن من أهم جوانب تحقيق الهوية تنمية الإحساس بالبعد الزمني ومروره، ويضاف إلى ذلك أن مَنْ تم له تحقيق هوية ذاتية لابد أن يكون قد قام بتنمية المهارات التي ينشأ عنها زيادة في قوة الأنا، ولقد أوضح إريكسون فكرة أو مفهوم غموض الهوية الناتج عن زيادة التَوَحُد والذي يظهر في صورة العجز التام عن عمل أي شئ محدد نتيجة لغموض الدور ومشاعر الحيرة والارتباك التي تصاحب ذلك الغموض (هنري.ماير، 1981)

كما ويشير إلى مفاهيم قُدِّرَ لها أن تدخل في نطاق المستوى الاجتماعي والثقافي لهوية المجتمع وهي: الهوية الإيجابية والهوية السلبية وأزمة الهوية (Erikson، 1950)، والمفهوم الذي وضعه إريكسون للهوية قد لعب دوراً مهماً في الدلالة الثقافية والاجتماعية للهوية في المستوى الاجتماعي باعتبار أن المجتمع مكون من مجموع الأفراد، أو بمعنى آخر هوية المجتمع تتكون من مجموع هويات الأفراد المكونين لها والمستغرقين فيها، باعتبار استحالة الفصل بين النمو الشخصي والتغيرات المجتمعية.

أما جان بياجيه وهو عالم نفسي سريري على دراية واسعة بفلسفة المعرفة والمنطق، لقد أضاف أبعاداً جديدة في الدلالة السيكولوجية للهوية، من منطلق تصوره عن قصور النظرية ذات البعد الواحد، فهو يؤمن بالنظام العالمي (السابق)، ويرى الوحدة الواحدة في كل الأشياء المختلفة، بيولوجية، اجتماعية، نفسية وفكرية، في النظم الحية وغير الحية، باعتبار أن الكل يؤثر ويتأثر بالكل من خلال الاتصال والتشابك، ويرى أن الفعل التلقائي والتغيير الديناميكي الكامن يدعمان النمو التطوري المكون للهوية والمؤدي لكل تركيب بنائي بحركات في اتجاه مزيد من الحركة البسيطة والتعقيد والمطاوعة وزيادة توحيد لكل أفعال الأجزاء المختصة، وتميل الأخيرة لجذب الكل نحو حالة التوازن (مرسى، 2002)، والهدف النهائي من عملية التطور هو المستوى الثالث للتوازن وهو الذي يتم فقط في حالة أكثر التركيبات البنائية تطوراً، أي في الوقت الذي يقترب فيه المرء من اكتمال الهوية.(هنري و.ماير، 1981)

ولا يهمل بياجيه دور البيئة الطبيعية والاجتماعية والفكرية في عمليات التكيف النفسي للفرد، فهو متأثر بنظرية دوركايم القائلة بأن كل الحقائق الاجتماعية – قيماً وعملياً – إنما يصنعها الإنسان، إن العالم

الاجتماعي والفكري لا يمثل أي هوية بدون الإنسان، ومثل هذا العالم هو انعكاس للتنشئة الاجتماعية التي يمر بها كل فرد في نموه المعرفي، فالفرد وبيئته وطبيعته يمثلون كلاً متوافقاً، إن مفهوم الإنسان للأشياء، كل الأشياء (أو الأشخاص) التي تتجه إليها الأفعال والأفكار والمشاعر أو العكس (وكذلك أفكاره) تبرز في وقت واحد مع إدراك الإنسان لنفسه، وهذا الظواهر التي هي من صنع الإنسان تصبح جزءاً من بيئة الفرد بالتبعية وتنشط عملياته التكيفية، وما هوية العقل الجمعي إلا مجموع الهويات الفردية الداخلة في تكوينه. (السابق).

وإن كان علم النفس قد ألقى الضوء على مفهوم هوية الأنا الفردية وأزمة الهوية والتي هي نتاج عقبات وصراعات خلال تاريخ الهوية والتي أدت بدورها إلى تشتت الهوية، حيث أن أزمة الهوية نتاج لفشل الفرد والمجتمع في تحديد هوية معينة وعدم القدرة على اختيار المستقبل وانعدام الهدف واضطراب الشخصية وفقدان القيمة الاجتماعية وأيضاً عدم القدرة على التفاعل مع الآخر، فإن علم النفس قد ألقى الضوء أيضاً على ميكانيزمات الدفاع، دفاع هوية الأنا عن نفسها في دائرة تفاعلها مع الذات والآخر، والتي تظهر في صور مختلفة كالكبت والتبرير والإسقاط والإنكار.

تنشأ ميكانيزمات الدفاع بعامة نتيجة فشل الهوية – سواء أكانت في صورة العقل الفردي أم العقل الجمعي– في تكيفها مع نفسها ومع الأخر، حيث أن الفشل والإحباط والحرمان والتناقض تؤدى إلى سير الهوية إما إلى التحرك نحو الذات أو الآخر فتصبح في حالة طاعة مطلقة مفتقدة التميز (التبعية) وإما أن تصبح عدوانية تجاه الآخر دون دوافع سببية في حالة كراهية مستمرة للآخر، أو تصبح بعيدة عن الآخر، انعزالية وانسحابية، وكل هذا ناتج عن الصراع الداخلي أثناء تاريخ الهوية (فرويد، 1972)

وفي جميع الحالات تتخذ الهوية ميكانيزمات الدفاع كالمغالاة في تبرير الفشل وإسقاطه على الآخر أو الشعور بالنقص، فتلجأ الهوية إلى البحث عن المباهاة المستمرة لتغطية الفشل الراهن كصورة تعويضية، أو قلب الوضع الراهن للضد للتغلب على الإحساس أو الشعور بالفشل، فتقوم الهوية بقلب الوضع الراهن (الفشل) إلى الحديث عنه أو اعتباره (نجاحاً) كميكانيزم دفاعي (الإنكار) إنكار الاعتراف بالفشل لعدم القدرة على تحمل الشعور به ومواجهته.

ويمكن الإشارة هنا إلى مسألة الوعي الزائف والوعي الحقيقي، فالوعي الزائف هو عملية إدراكية مخالفة للواقع أو الحقيقة الموجودة في الواقع، أما الوعي الحقيقي هو ناتج عملية معرفية إدراكية مطابقة لحقيقة الشئ كما هو عليه في الواقع، وإن كانت ميكانيزمات الدافع ناتجة عن فشل الهوية في تكيفها مع نفسها والآخر كمحاولة لتحقيق التوازن النفسي فإنها في واقع الأمر تؤدي بطريقة حتمية إلى الوعي الزائف لأنها في مضمونها مخالفة لحقيقة الشئ كما هو عليه، وتشترك جميعها في عملية تزييف حقيقة الشئ موضوع الإدراك، ويمكن وصف الهوية التي لديها ميكانيزمات الدفاع بأنها هوية ذات وعي زائف سواء في المستوى الفردي أم المستوى المجتمعي.

وفي واقع الأمر أن التوازن الناجم عن ميكانيزمات الدفاع هو توازن مزيف، أو هو توازن وهمي لأن الأمر برمته هو عبارة عن حيل لا تغير من حقيقة الشئ، وعندما يزداد استخدام هذه الميكانيزمات لتحقيق التوازن النفسي المزيف تفشل في نهاية الأمر في حماية الهوية فيظهر الاضطراب النفسي لديها، وذلك حينما تشعر الهوية بفشل ميكانيزمات الدفاع في تحقيق التوازن النفسي (المزيف)، وينتج عن ذلك بالتبعية خلل في العمليات الإدراكية الفكرية واضطرابات وتناقضات في اتخاذ القرارات وفوضوية الرؤى الأيديولوجية.

وجدير بالذكر أن الهويات الشخصية وإن كانت في مجموعها تمثل الهوية المجتمعية – العقل الجمعي للمجتمع – إلا أنها تختلف في استخداماتها لأنواع الدفاعات تبعاً لاختلاف المواقف والظروف والخبرات (Kline، 1972)، بحيث تستعين بأساليب متباينة كالهجوم والانسحاب أو التبرير، كأن تلجأ الهوية للدفاع عن موقفها إلى لوم الآخرين عن أخطاء هي في الحقيقة أخطاؤها (المبالغة في نظرية التآمر)، أو قد تهرب من الحقيقة المؤلمة بإنكارها أو باستبعادها لا شعورياً من الشعور، أو قد تتصالح معها بأن تترك الفكرة المؤلمة كما هي في مستوى الشعور، ولكنها لا تدعها على الصورة الحقيقة بل تشوهها حتى تقلل من حدة المشاعر المؤلمة الناجمة عن الموقف (فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، 1966)

وطالما أن مجموع الهويات الفردية يمثل هوية المجتمع الكلية، لذا يمكن إلقاء الضوء هنا على مسألة التأثير الكامنة في التفاعل الاجتماعي والناتجة عنه أيضاً بين الهويات الفردية من جانب وبين الهوية الفردية والهوية الكلية للمجتمع من جانب آخر، والتي تشكل في النهاية أنماط التفكير والسلوك لهوية المجتمع.

يُعد التفاعل الاجتماعي مفهوماً مهماً في علم النفس الاجتماعي المعاصر، حيث يركز على التفاعل بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والجماعة، فالتفاعل الاجتماعي يشكل أساس الشخصية أو الهوية الفردية والعلاقات الشخصية المتفاعلة، فالإنسان أساساً كائن حي، ليس بتكوينه البيولوجى فقط، لكن بحقيقة مشاركته في الجماعة الاجتماعية، لأن التفاعل الاجتماعي هو المركز الذي تدور حوله الموضوعات والمفاهيم التي تمثل جميع مناحى الحياة الإنسانية (المرجع السابق)، وليس التفاعل الاجتماعي عملاً مشتركاً موجهاً من شخص لشخص آخر فقط بل إنه رد فعل ذاتى أيضاً أي تفاعل مع الشخص نفسه – الهوية مع ذاتها – ، وكذلك مع العقل الجمعي ككل، وعملية التأثير والتأثر تتم من خلال عملية التفاعل بين الهوية الفردية والهوية الجماعية على الهوية الفردية والعكس.

ومن البدهي أن يكون تأثير الهوية الفردية في الهوية الجماعية ضئيلاً جداً إذا ما قورن بتأثير هوية العقل الجمعي على الفرد في عملية التفاعل الاجتماعي، ويكون التأثير أقوى إذا كانت هناك أسباب وقواسم وعمليات تنبيه واستجابة مشتركة، وكذلك تشابه المواقف التي يتم فيها اكتساب السلوك وأنماط التفكير بين الهويات الفردية (عبدالخالق، 1993)، لأن في ذلك الحين ستكون الهوية الفردية على قدر كبير من التشابه في سلوكياتها وثقافتها بالهوية الفردية الأخرى، فيقوى التأثير ويتكون من مجموع الهويات الفردية هوية العقل الجمعي ككل، والتي يكون تأثيرها على الفرد قوياً لدرجة أنها تصيغ وتعيد صياغة الهوية الفردية الداخلية في تكوينها والمتضمنة فيها.

جدير بالذكر أن التأثير لا يقتصر على اكتساب السلوك وأنماط التفكير الصحيحة أو المنطقية دون غيرها، بل إن عملية التأثير والتأثر في التفاعل الاجتماعي إنما تستغرق جميع أنماط التفكير، لأن عملية الانتقاء تتوقف على الفروق الفردية، والهوية الفردية بدورها خاضعة لتأثير هوية العقل الجمعي، وفي ضوء عملية التنبيه والاستجابة في التفاعل الاجتماعي تكون عملية الانتقاء متسمة بطابع الصعوبة والتعقيد، فالانتقاء في المستوى النظري أيسر منه في المستوى العملي، وينشأ من ذلك هوة أو فجوة بين الانتقاء في المستوى النظري وبين الفعل الانتقائي للسلوك في المستوى العملي، قد تصل تلك الفجوة إلى حد التناقض والتضارب بين المستويين في سلوكيات وفكر الهوية الواحدة.

ويمكن القول أن في تلك الجدلية الديناميكية بين الهوية الفردية والجماعية من تأثير وتأثر وصعوبة عملية الانتقاء وما يستتبعها من مشكلات سواء في المستوى النظري أو العملي أو بين الاثنين، تتبلور الهوية

الجماعية مستغرقة السمات العامة الثقافية والسلوكية للهويات الفردية الداخلة فيها، تلك السمات العامة المتصفة بالإيجابيات والسلبيات، وإن كانت السلبيات أكثر من حيث الكم والكيف من الإيجابيات، أصبحت هوية العقل الجمعي هوية مشتتة، حيث يتضح ذلك من خلال مفهوماتها ومقولاتها سواء أكانت في خطاباتها النظرية أم في سلوكياتها العامة، يظهر تشتت الهوية أيضاً بوضوح من خلال ميكانيزمات الدفاع اللاشعورية التي تستخدمها للتخفيف من حدة مشاعر القلق التي تنتابها نتيجة فشلها في تحقيق الأهداف في المجالات المختلفة المتعددة.

من هذا المنطلق أو المنظور يمكن النظر إلى هوية العقل الجمعي من خلال الدلالة السيكولوجية الاجتماعية، تنمو وتتطور وتتعرض لصراع وأزمات خلال نموها وتكونها، تتعرض لأزمات نفسية، تستخدم ميكانيزمات وحيل دفاعية لا شعورية، ينتابها القلق والتشتت والصراع والمشكلات النفسية الناجمة عن مراحل الفشل، يمكن تحليلها والوقوف على الأسباب التي أدت إلى ضعفها وتشتتها بهدف المعالجة والإصلاح، لأن الحالة النفسية هي الدعامة التي ترتكز عليها مقومات هوية العقل الجمعي ، والنظم الاجتماعية هي الأوضاع الانعكاسية التي تُعَبر عن رغبات وميول تتجاوب في نفسية المجتمع، وهي صدى للحالات النفسية التي تتردد بين الأفراد.

3- الدلالة الاجتماعية الثقافية

تُعَبر هوية المجتمع في الدلالة الاجتماعية الثقافية عن الإطار الفكرى العام والإطار النفسي الذي يُعَبر عن وجوده الاجتماعي والنفسي والثقافي والعرقي، وبالتالي يمكن التحدث عن السمات العامة وأنماط التفكير والسلوكيات والأصل العرقي في ضوء هوية مجتمع ما كعقل جمعي في الخطاب السوسيولوجي الأيديولوجي لمفهوم الهوية، وبذلك يمكن القول بأن هوية مجتمع ما هي كل ما أنتجه العقل الجمعي للمجتمع من إرث ثقافي عبر تاريخه، والذي يمثل النمط الأيديولوجي لطرق التفكير الخاصة بعقل المجتمع.

وهذا الإرث هو الذي يرسم ويحدد هوية العقل الجمعي في المجتمع، لأنه متبلور في العادات والتقاليد والمقولات الدينية والأخلاق وأساليب الحياة والسلوكيات وطرق التفكير، تلك التي تكمن في الأيديولوجية التي يعمل من خلالها عقل المجتمع في منظومة موحدة، وإن كان داخل تلك الوحدة أو المنظومة التنوع والاختلاف والتباين ولكنها تؤدي إلى وحدة المنظومة نفسها، وجدير بالذكر أن هناك فرق بين الاختلاف والتنوع والتباين المؤدي لانتقاء الأفضل وبين التنازع والصراع المؤدي إلى تشتت الهوية وضعفها، فإن الأول

يعمل على تقوية الهوية – هوية العقل الجمعي في المجتمع – والثاني يعمل على تضعيف تلك الهوية وجعلها تعاني من التخلف والمشاكل النفسية والثقافية والسلوكية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما وتتطرق الدلالة الاجتماعية والثقافية إلى مفهومين أساسيين يرتكز عليهما مكونات بنية الهوية، وهما مفهوم القومية ومفهوم الأيديولوجيا، أما الأول فيستخدم في كثير من الأحيان أو معظمها مرادفاً لمفهوم الهوية العرقية، وفكرة القومية أو الهوية العرقية هي من ضمن أفكار القانون الطبيعى للمجتمعات البشرية، وهي موجودة منذ القدم، تختلف صورها باختلاف العصور والمجتمعات، لأنها تُعَبر عن علاقات اجتماعية لمجموعة من أبناء الأمة الواحدة، قد يحسن استخدامها أبناءها أو يسيئوا، وهذا متوقف على الأفكار الكامنة التي تُعَبر عن تلك العلاقات بين أبنائها، وهي بهذا تتبلور في صلة اجتماعية عاطفية، تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع، وهنا يأتي مفهوم القومية في هذا المعنى كرابطة اجتماعية تربط الناس أو الجماعة بعضها مع بعض برباط الشعور بالانتماء، إلى جانب روابط أخرى روحية ومادية، ويكون بذلك مفهوم الهوية متضمناً المفهوم الثاني وهو مفهوم الأيديولوجيا، الذي يعني المنهج أو النسق الفكري المميز للهوية ذات الطابع الوحدوي، أي السمة أو الصبغة التي تتماسك بين طياتها الموضوعات المُدرَكة على اختلافها سواء أكانت هذه الموضوعات عقائدية دينية أم سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية.

ويرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة، فالأول يُعد مفهوماً اجتماعياً بما تحكمه من روابط روحية مشتركة وهو مفهوم اجتماعي ترابطي، بينما الثاني – الأمة – فهو مفهوم سياسي أكثر منه اجتماعي، والهوية القومية بالمفهوم السوسيولوجي التاريخي تعني طرق تفكير وشعور وسلوك بتسم بالتماثل والهيمنة النسبية لمجتمع معين، وهي هوية نسبية إلى حد ما وتاريخية يحققها شعب ما عن طريق التفاعل أو علاقته الجدلية مع التاريخ.

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى نظرتين على قدر من الاختلاف بصدد مصادر تشكيل هوية العقل الجمعي، الأولى تنظر إلى الهوية من خلال عملية الجدل التاريخية للمجتمع، وترى أن هوية المجتمع تتكون أو تُكتسب من جدلية تاريخه، وهي النظرة الاكتسابية الجدلية، والثانية تنظر إلى الهوية من المنظور الطَبْعى القَبْلى كجوهر، وراثي يضيف سمة عامة ثابتة نسبياً لهوية العقل الجمعي للمجتمع.

ثالثاً: مصادر تشكيل الهوية

أ- النظرة الاكتسابية الجدلية

تشير تلك النظرة إلى أن هوية العقل الجمعي للمجتمع – الهوية القومية – مكتسبة لا يرثها المجتمع من تركيب نفسي أو جوهر متأصل فيه، وإنما يكتسبها المجتمع نتيجة استجابات لظروف ودوافع متغيرة تطرأ على المجتمع عبر تاريخها الطويل، وعلى هذا فخصوصيات أي شعب أو قومية هي نتاج عوامل التاريخ الديناميكية في صيرورة التفاعل الاجتماعي والصراعات الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية والحروب والتفاعل الثقافي وعمليات التأثير والتأثر، وينفي أن تكون الهوية القومية ناتجة عن فطرة أو غريزة طبيعية ثابتة ولو نسبياً، وأيضاً يرى هذا الاتجاه أن معظم الخصائص التي ترتبط بقومية ما هي نسبية، وما يميز قومية في مرحلة ما لا يعني أنه سيميزها في مرحلة أخرى.

وهذا يعني أن هوية العقل الجمعي – الهوية القومية– هوية تاريخية، والتاريخ هو الذي يشكلها، وهي انتقال تراثي اجتماعي ثقافي معين إلى الأجيال الجديدة، أو نشوء هذه الأخيرة في إطار خلفية اجتماعية ثقافية متماثلة، والأساس الذي يدعو إلى هذه الظاهرة ويبرزها هو نشأة الأفراد في وسط اجتماعي ثقافي واحد يكشفون – رغم الاختلافات الفردية– عن سمات متماثلة، وكلما زادت وحدة هذا الوسط زادت وحدة هذه السمات، فالأوضاع والتجارب المتماثلة تميل إلى إفراز هوية متماثلة بين الأفراد والجماعات التي تتعرض لها، لهذا عندما ترتفع درجة التماثل تصبح وحدة بارزة.

وهناك تصورات ومشاعر جماعية تستقر في اللغة والأنظمة والعادات والتقاليد والقيم، هي التي تحدد هوية الشعوب، وهذا لا يعني أنها ثابتة أو هي ترجع إلى تركيب عقلي – نفسي متأصل في طبيعة الشعب أو الأمة، ولا يعني أيضاً أن هوية المجتمع تكون ما هي عليه، لأن ما هي عليه محتوم عليها بما هي عليه، والهوية القومية في رأي ذلك الاتجاه يمكن أن تحدد سوسيولوجياً بأنها من السمات العامة التي تميز شعباً أو أمة في مرحلة تاريخية معينة، لأنها نتاج جدلية المجتمع مع الظروف والملابسات المتغيرة في جميع مجالات الحياة عبر تاريخه.

يستدل ذلك الاتجاه على نسبية مفهوم الهوية وعلى أنها مكتسبة من الجدلية التاريخية للمجتمع بالتغيرات المفهومية والسلوكية في فترات محددة لمجتمعات مختلفة، من خلال اختيار بعض الأحداث

والظواهر التي جعلت هوية المجتمع تنتقل إلى النقيض، ومثال ذلك: التحولات السريعة الجذرية التي حدثت في بعض مراحل التاريخ ونقلت الشعوب من حالة تاريخية معينة إلى نقيضها، كما حدث بعد ظهور الإسلام، أو بعد الثورة الفرنسية، أو الثورة الروسية، أو الصينية الشيوعية، وظهور العقلانية أو الثورة العلمية، وأيضاً: الفرنسيون المسالمون الذين كانوا يدعون إلى الحرية والإخاء والمساواة، يجدون الفكر الانتقادي ويعبرون عن اتجاهات عالمية وعقلانية في القرن الثامن عشر، انتقلوا إلى نقيض ذلك في جيل واحد، وذلك في المرحلة النابليونية، وكذلك: الألمان الذين كانوا يعيشون في عالم ثقافي تسوده مشاغل الفلسفة والأدب والموسيقى والفن، راضين في ظل التجزئة إلى وحدات سياسية كثيرة، انتقلوا إلى نقيض ذلك تحت قيادة بروسيا وبسمارك (البيطار، 2002)، تلك الأمثلة تشير إلى الطبيعة المكتسبة النسبية لهوية العقل الجمعي.

ويستطرد هذا الاتجاه أطروحته برفضه التام لوجود علة أو سبب طبيعي طُبعت عليه هوية المجتمع، فيشير إلى عدم وجود سبب وراثي حتمي بأن يكون الفرد فرنسياً، أو عربياً، فالناس ينشأون فقط في ولاءات قومية، يتثقفون بها ويتعودون عليها، والتجربة التاريخية تدل – في رأي ذلك الاتجاه – على أنه من الممكن تحديد القوميات وتركيبها، ثم تغيير أو تجديد التحديد والتركيب بمرونة، كل منطقة في أوروبا تقريباً اتحدت في وقت من الأوقات مع كل منطقة مجاورة تقريبا، ولكن بعض هذه الاتحادات فقط استمر وأثار ولاءات شعوبها، والاتحادات التي استمرت في الواقع أو في الشعور كانت تلك التي وجدت أثناء عملية التعبئة والدمج عناصر أخرى تعززها، فتقوى هذه العملية لأنها كانت تضيف إليها الذكريات السياسية، الرموز، المعاناة، الحقوق التاريخية.

في ضوء نقد فكرة استاتيكية الهوية كعقل جمعى للمجتمع، يستشهد ذلك الاتجاه بدراسة يشيد بها في تحديد العقل الجمعي الذي يميز جنوبي الولايات المتحدة ويعطيه هوية خاصة تتناقض مع الولايات الأخرى أو عقلها الجمعي، وهذا يعني أن العقل الأمريكي العام غير موجود في الجنوب، ومن الممكن بذلك خلق هويتين لشعب واحد، فالهوية القومية تُعَبر عن مجموعة من ميزات الشخصية وقوالبها المستقرة نسبياً والتي تكون نموذجيته إلى حد ما بين أفراد مجتمع معين.

واستكمالاً للاستقراء التاريخى بصدد نسبية هوية العقل الجمعي واكتسابها، فالفايكنج الاسكندنافيون كانوا كارثة على أوروبا أثناء القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، يقتلون ويحرقون ويسلبون ما يقع في طريقهم طيلة آلاف الأميال، من روسيا إلى جبل طارق، والسويديون الذين ينحدرون منهم كرروا هذه الأعمال في

القرن السابع عشر الميلادي، ولكن البلدان الاسكندنافية تمثل في القرن الحالي أُمماً نموذجية من حيث الميل للسلام، الرفاهية، الديموقراطية، النزعة العالمية.

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كان السويسريون يشكلون قوة عسكرية مرعبة والمرتزقة منهم يسلبون وينهبون، والآن الشعب السويسري نقيض ما كان عليه، فهو الآن يمثل نموذجاً للاستقامة العالمية، كثيرون من الكُتاب كانوا حتى الأمس القريب يتحدثون عن الهوية الثابتة الأمريكية أو الروح الأمريكية التي تتميز بالفردية، ويُعَبر عنها بالأخلاق البروتستانتية، ولكن ابتداء من الخمسينات بدأ الحديث عن هوية عقل جمعي جديدة تجد معناها وذاتها فيما يسمى بالأخلاقية الاجتماعية التي تنطلق من الجماعة بدلاً من الفرد وتشكل النقيض الأول. (المرجع السابق)

لم تحقق أمريكا في تاريخها حتى حرب الاستقلال شيئاً يذكر من حيث الثقافة والعلم، والآن هي على نقيض ما كانت عليه، ويعود ذلك إلى كون أوضاع الحياة التي كان الأمريكيون مضطرين إلى العمل فيها، حيث كانت في الماضي تعني سيادة الحكام وما كان يهمهم فقط استثمار المستعمرات الأمريكية، وتغيرت طبيعة الهوية الأمريكية بتغير الأوضاع السياسية والتاريخية، فالهويات تتغير وتنقلب إلى النقيض في ضوء التفاعل الجدلي التاريخي.

حتى الماضي القريب كان الفكر الغربى يردد أن الشعب الياباني ذو هوية مقلدة، يملك قدرة على التقليد ولا يملك قدرة على الإبداع، والآن أصبحت هوية العقل الجمعي اليابانية لديها القدرة على الإبداع والاختراع في جميع مجالات النشاط العلمي، بحيث تُعد الآن نموذجاً للانضباط والنظام والعلم، اليابان التي تُعبر الآن عن النظام والانضباط كانت في فترة تحولها إلى دولة واحدة على النقيض، حروب داخلية مؤامرات، اغتيالات، خصومات، اضطرابات داخلية إبان القرن السادس عشرالميلادي، تغيرت الهوية بتغير الظروف التاريخية. (المرجع السابق).

وهناك مثال آخر يسوقه أصحاب النظرة الاكتسابية لهوية العقل الجمعي من خلال منهجية المقارنة بين حاضر الهوية بماضيها البعيد، والوقوف على التناقض بين الماضي والحاضر، يدور هذا المثال حول هوية العقل الجمعي اليونانية، فيتساءل أصحاب هذا الاتجاه: أين يونان اليوم من يونان الماضي؟ فعلى الرغم من الاستمرارية البيولوجية البارزة التي تشد المجتمع اليوناني إلى أسلافه القدماء الذين قدموا للبشرية الفكر والثقافة والإبداع، فهو اليوم لا يتميز بما كان يتميز به من خلق وإبداع.

إن السبب في هذا التناقض بين يوناني القرن الثالث قبل الميلاد ويوناني القرن العشرين، إنما يرجع إلى تاريخ اليونان المأسوي من فوضى سياسية وحروب وتفكك اجتماعي وغزو واستعباد وتحولات اقتصادية وثقافية منذ ذلك التاريخ، ويرى ذلك الاتجاه أن عقول اليونانيين الذين حققوا ذلك العلو من الإنجاز الفكرى أثناء العصر الذهبى الذي ميز اليونان الكلاسيكية، لا تختلف من حيث التركيب عن عقول اليونانيين في العصور المظلمة التي تبعت ذلك العصر، وما حدث من هبوط في الإنتاج الفكرى كان نتيجة الوسط المتغير.

- **نقد الاتجاه الاكتسابي**

جدير بالذكر أن هذا الاتجاه الاكتسابي جعل من الهوية نمطاً فكرياً سلوكياً ناتجاً من التفاعل الاجتماعي في جميع مجالاته عبر المراحل التاريخية التي تطرأ على المجتمع بصرف النظر عن عرقية المجتمع وما تحمله من خصائص، وذلك حتى يكون هناك تبرير لحالة العقل الجمعي للهوية العربية الآنية، فما قيل عن الهوية اليونانية يمكن أن يقال عن الهوية العربية أيضاً، وتحميل الوضع الآني أو الراهن للهوية العربية على الظروف والملابسات والتحديات التاريخية.

يقدم هذا الاتجاه أمثلة أخرى تاريخية لتعزيز تلك النظرة، حيث تتبلور في هويتين أوروبيتين، الأولى من شرق أوروبا وهي الهوية الروسية، والأخرى من غرب أوروبا وهي الهوية الإنجليزية. ففي روسيا كان يوجد في القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين مفهوم واسع الانتشار يرى أن الهوية الروسية تتناقض مع الحضارة الغربية الحديثة، أي مع المجتمع الصناعي التقني الحديث، وهذه الروح أو الهوية القومية الخاصة تعبر عن ذاتها في الكنيسة الأرثوذكسية والنظام القيصري، ولذلك فإن الفشل محتوم على حركة التغرب لأنها تتناقض مع هذه الهوية، وعندما تغيرت الأوضاع الأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية تغيرت الهوية الروسية وأصبحت أكثر استيعاباً للحضارة الغربية.

أما المثال الآخر وهو الهوية الإنجليزية فإن هذا الاتجاه رفض أن تكون خصائص الهوية الإنجليزية المتجلية في الانضباط الذاتي والنظام والاعتدال والاتزان والعقلانية، ناتجة عن طبيعة ذاتية عرقية، ولكنه أحالها إلى الاستقرار السياسي البارز والطويل الذي تمتعت به بريطانيا، فانعكس ذلك على هوية العقل

الجمعي البريطانية.

تتلخص تلك النظرة في أن هوية العقل الجمعي تتكون من خلال التفاعلية الديناميكية للمجتمع عَبْر تاريخه، من خلال استجابات المجتمع للمثيرات أو التحديات التي تطرأ عليه عبر التاريخ الخاص به، وبهذا يرى أن الهوية ما هي إلا انعكاس الجدلية التاريخية للمجتمع في جميع المجالات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الثقافية، العلمية، فتتبلور الهوية في الوعي المعرفي بالذات وبالآخر، هذا الوعى هو نتاج الجدلية التاريخية.

وبناء على هذا فإن هوية العقل الجمعي لمجتمع ما هي في حقيقتها متغيرة، يمكن أن تنقلب إلى النقيض تبعاً للديالكتية التاريخية، ينفي هذا الاتجاه فكرة ثبات الهوية الكامن في الجانب العرقي للمجتمع، ولكن تلك النظرة لم تستطع تقديم تفسيرات منطقية وعلمية لتماثل أنماط الفكر عبر تاريخ المجتمع الطويل في ضوء اختلاف الظروف التاريخية للمجتمع نفسه.

ب- النظرة الطَبْعية الوراثية :

تذهب تلك النظرة إلى أن هوية الأمم والشعوب والثقافات المختلفة إنما تتحد بجوهر أو تركيب نفسي عقلي ثابت نسبياً يكمن في طبيعة وخصائص الأصل العرقي وما يتسم به من خصائص متماثلة خلال تاريخ المجتمع، اتخذ هذا الاتجاه المنهجية نفسها التي اتخذتها النظرة الاكتسابية لمحاولة إثبات صحة الرأي، وهي منهجية الاستقراء التاريخي والملاحظة العلمية، انطلق الاتجاه الطَبْعي من خلال المعطيات التاريخية الماضية وصلتها بالحاضر وإيجاد الخصائص المتشابهة والمتماثلة للهوية في ضوء اختلاف الظروف التاريخية في المجالات المتعددة.

يشير هذا الاتجاه إلى أن علم الأنثروبولوجيا – علم الأجناس البشرية – الذي يدرس المجتمعات البدائية قد أثبت فكرة طبيعة هوية العقل الجمعي وثباتها النسبي من خلال دراسته للمجتمعات البدائية في العصر الحديث، فإن تلك الهويات على الرغم من علمها ومعرفتها بالحضارات والأفكار والثقافات الأخرى إلا أنها لم تتغير منذ نشأتها التي ترجع إلى عدة عقود أو آلاف السنين، مرت عليها متغيرات كثيرة عبر تاريخها، اجتماعية وسياسية واقتصادية، استقرار سياسي في بعض الفترات، اضطرابات داخلية في فترات أخرى وأيضاً صراعات خارجية، كل هذه المتغيرات عبارة عن جدلية تاريخية، وإن كانت قد أثرت تأثيراً طفيفاً إلا أن السمات والخصائص العامة وأنماط تفكير العقل الجمعي لتلك المجتمعات لم تتغير واتصفت بالثبات النسبي.

يرجع السبب في ذلك إلى الأصل العرقي وأيضاً العادات والتقاليد التي ساعدت على انغلاق العرق على نفسه، نتج عن ذلك التماثل الكبير في أنماط تفكير المجتمع بين ماضيه الطويل وحاضره، التماثل الذي يذهب إلى حد التطابق بين الماضي والحاضر في السلوكيات والثقافة والعادات والتقاليد، الأمر الذي يجعل تحول تلك الهويات إلى النقيض أمراً مشكوكاً فيه، وهذا ما يجعل لتلك المجتمعات خصائص ثابتة، كل هوية تختلف وتتميز عن الهوية الأخرى بمميزات وخصائص وسمات تفصلها عن الأخرى، فهناك عوامل طبيعية تعطي الهوية خصوصيتها.

ولكن هذا الاتجاه لا يجعل الأمر حتمياً من منطلق أن كل شيء ينطوي في أعماق داخله على جوهر يمثل صميم هذا الشيء ويحدده، ولكن يُرجع طبائع الهويات المختلفة إلى سمات وخصائص متماثلة بين الماضي والحاضر في التركيب (العقلي – النفسي) ذاته منذ أزمان بعيدة في المجتمع، وكأنها تماثل في وحدتها وحدة الكائن الحي، ساعد على تلك النظرة الاكتشافات البيولوجية الحديثة، مثل اكتشافات عمل

الجينات والشفرة الوراثية وأثرها على أنماط التفكير والسلوك، إن تلك الاكتشافات العلمية وإن كانت في بدايات مراحلها إلا أنها تؤيد النظرة الطَبْعية الوراثية لهوية العقل الجمعي للمجتمع.

وعلم الوراثة يبحث في أسباب الشبه والاختلاف في صفات الذين تربطهم صلة القربى بغض النظر عن كون هذه الصفات هي صفات شبيهة بالآباء والأجداد أم متغايرة، لأن مفهوم التغير يعني تلك الفروق الناشئة عن العوامل الوراثية (المجموعة الكروموسومية)، فالجانب الوراثي مقرر في الشفرة الوراثية المتضمنة في جزئ DNA، والوراثة لا تشمل الشكل فقط بل تشمل السلوك، إذ أن تلك الصفات تتوارث من جيل إلى آخر بفعل انتقال الجينات. (روز، 1990)

نتج عن تلك الاكتشافات العلمية في مجال البيولوجيا ظهور علم النفس البيولوجي (السيكوبيولوجي) Biopsychology كمحاولة لإثبات العلاقة بين علم النفس وعلم البيولوجيا، أي دراسة الفرد باعتباره كلاً متكاملاً لا يمكن اختزاله إلى بُعد بيولوجي أو بُعد سيكولوجي، كما ظهر في السبعينيات من القرن العشرين علم جديد هو علم البيولوجيا الاجتماعية أو علم (السسيوبيولوجي) Cociobiology من خلال الكتاب الشهير "البيولوجيا الاجتماعية: التركيب الجديد" الذي وضعه ويلسون Wilson عام 1975م، والذي يرى فيه أن هناك أساس بيولوجي لكل أنواع السلوك الاجتماعي، ويحاول هذا العلم أن يجد تفسيراً بيولوجياً للمظاهر الحضارية المختلفة من دين وأخلاق وأنماط للتفكير وسلوكيات اجتماعية، فجميع الأنشطة وتفاصيل التنظيمات الاجتماعية لها أساس بيولوجي منطلقة من الجينات الوراثية.

ومن خلال النظرة البيولوجية الوراثية يفسر أصحابها اختلاف هويات المجتمعات، سواء أكان هذا الاختلاف في مستوى التنوع أم في مستوى درجة الحضارة، فلكل هوية نمط وأسلوب للفكر والحياة والعادات والتقاليد وقدرة على الإنتاج واهتمامات تختلف عن الهوية الأخرى، وعلى قدر اتجاه اهتمامات الهوية ورقيّ نمط تفكيرها يكون مستوى حضارتها وعلمها مقارنة بالأخرى، وكل هذا لا يأتى من فراغ يسبقه بل تتوارثه الأجيال، جيل بعد جيل عبر تاريخ الهوية، وهذا الإرث يمكن تفسيره بالوراثة البيولوجية والتي تجعل للهوية نمطاً متشابهاً نسبياً عبر تاريخها.

في مستوى الملاحظة العادية لحركات وإشارات وسلوكيات وفكر الأفراد الذين نشأوا في مجتمعات مغايرة لمجتمعاتهم الأصلية العرقية، مجتمعات الآباء والأجداد، نجدها على درجة كبيرة من التشابه، وإن كانت البيئة الثقافية مغايرة للبيئة الثقافية الخاصة بالأصل – الأجداد – إلا أن درجة التشابه في مستوى

الملاحظة، ومن جانب أخر تماثل الأنماط الجسمية التي تحمل الجينات الوراثية، ولا يقتصر عمل تلك الجينات على الصبغة المادية الجسمانية فقط، بل يمتد إلى السلوك ومستوى الفكر، قد يحدث تنازعاً بين الطبع أو طبيعة الهوية وبين البيئة الثقافية المختلفة عنها، على الرغم من نشأة الهوية الفردية وفي كثير من الأحيان الجماعية في تلك البيئة، سواء أكانت تلك البيئة في مستوى أعلى من الهوية الناشئة فيها أم أدنى.

مثال ذلك: السود أو الزنوج الذين نشأوا في المجتمع الأمريكي أو المجتمع الأوروبي، ليس هم فقط بل والآباء وفي كثير من الأحيان آباء الآباء، فهم من أصل أفريقي، نجدهم يعيشون في البيئة الثقافية الأمريكية أو الأوروبية التي نشأوا فيها في جماعات كهوية لها مميزات أو خصائص تميزهم عن هوية المجتمع نفسه، ولا يعني ذلك عدم التأثير والتأثر، بل ظلت خصائص الهوية الأصلية موجودة سواء أكانت بالتماثل الكبير أم الضئيل ولكنها موجودة.

كذلك الهوية الصينية والهوية العربية، فالصينيون والعرب الذين نشأوا وآبائهم في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، يعيشون أيضاً كالأفارقة في جماعات، توحدهم أنماط السلوك والتفكير المتماثلة إلى حد كبير بالأنماط الموجودة في موطنهم الأصلي، على الرغم من اختلاف النشأة والبيئة والثقافة والعلم، بماذا إذن يمكن أن نفسر ذلك؟ ما هو الدافع الذي يجعل ذلك التماثل بين النمط الهووي في المجتمع لتلك الهويات وبين النمط الهووي في الموطن الأصلي؟ على الرغم من الاختلاف الثقافي بين المجتمعين.

يمكن تفسير ذلك في ضوء مفهوم الانغلاق العرقي على نفسه، تلك الجماعات أو الهويات شعرت بالاغتراب في بداية نشأتها في المجتمع الجديد، وللتغلب على هذا الشعور، عاشت في شكل مجموعات كل منها تتغلب على مشاعر الاغتراب عن طريق الانغلاق العرقي، فيكون الزواج من خلال العرق نفسه، يأتي النسل من جنس الهوية نفسها، وقليلاً ما يحدث خلاف ذلك، فتتكون الهوية القومية كامتداد للهوية الأصلية، ولكن في مجتمع آخر مختلف عن الأصل، وتكون تلك الهويات هي هويات الأقلية، لها خصائص وسمات متماثلة بالهوية الأصلية، تلك الخصائص جسمانية وشكلية وكذلك فكرية سلوكية، ولا يعني ذلك عدم التأثر بالبيئة المحيطة ولكن لا ينفي ذلك التأثر بالخصائص الأصلية للهوية، بل يظل وجودها في وجود الهوية متجلية في العقل الجمعي، وإن لم تحافظ هوية الأقلية على الانغلاق العرقي لتلاشت في البيئة الجديدة منذ نشأتها فيها.

ظاهرة الانغلاق العرقي لم تنشأ حديثاً، بل هي ظاهرة تاريخية قديمة تتم في حالة اغتراب الهوية المكاني، وليس السبب الوحيد لتلك الظاهرة هو الشعور بالاغتراب ولكن هناك عوامل أخرى كتماثل العادات والتقاليد والدين، وكل تلك العوامل تتضمن المفهوم الحديث للاغتراب، فالاغتراب المكاني أي وجود الإنسان في نطاق هوية أخرى مغايرة لهويته الأصلية يستتبعه اغتراب فكرى وأيديولوجى واجتماعي، فيحدث فقدان للتجانس بين الذات وبين ما يحيط بها، ولتقليل مشاعر فقدان التجانس تعيش تلك الهوية في ضوء الانغلاق العرقي، فيظل بذلك التماثل بين هوية الأقلية الناشئة في مجتمع آخر غير الموطن الأصلي وبين الهوية في موطنها الأصلي على الرغم من بعد المسافة المكانية وكذلك الزمانية.

إذن عن طريق الانغلاق العرقي تتماثل هوية العقل الجمعي في أنماط السلوك والفكر والعادات والتقاليد والثقافة والدين بين الماضي والحاضر، بين الهوية الأصلية والمغتربة، فإن العامل المتغير لم ينف خصائص تلك الهوية، وهذا العامل الذي تغير هو البيئة الثقافية والاجتماعية، وعلى الرغم من تغيره إلا أنه لم ينسف خصائص هوية الأقلية والعامل الثابت الذي حافظ على خصائصها هو المحافظة على الانغلاق العرقي والذي تكمن فيه هذه الخصائص.

وجدير بالذكر الإشارة هنا إلى التفرقة بين مفهوم الانغلاق العرقي وبين مفهوم النقاء العرقي أو وحدة العرق الصافي، فالانغلاق العرقي يعني الاهتمام والمحافظة على تكوين الأسرة من جنس الهوية الأصلية ذاتها، كأن يتزوج العربى من عربية، أو الصينى من صينية، وهذا موجود في الواقع بكثرة، أما مفهوم النقاء العرقي أو وحدة العرق الصافي، فهو يعني أن قومية مجتمع ما لم تختلط قط بهويات أو قوميات أخرى منذ نشأتها التاريخية البعيدة، وهذا محال.

جـ – التفاعل الجدلى بين الوراثة والبيئة

مما سبق يمكن القول أننا بصدد رأيين مختلفين حول طبيعة هوية العقل الجمعي للمجتمع ، هل الهوية مكتسبة من خلال الجدلية التاريخية للمجتمع؟ أم طَبْعية وراثية جينية كامنة في طبيعة المجتمع؟ الاتجاه الأول رأى أن الهوية مكتسبة غير فطرية أو طَبْعية أو وراثية، والاتجاه الثاني رأى أن الهوية طَبْعية وراثية كامنة في طبيعة المجتمع غير مكتسبة، كل اتجاه قد اختلف مع الآخر، واستخدم المنهج الاستقرائي التاريخي تارة والعلمي تارة أخرى لإثبات صحة رأيه ونفي الرأي الآخر، وعلى الرغم من تساوي قوة الأدلة الاستقرائية العلمية لديهما إلا أن أصحاب الهوية الأكثر تطوراً يميلون إلى النظرة البيولوجية، وأصحاب الهوية

الأقل تطوراً يميلون بل ويتمسكون بالنظرة الاكتسابية لتبرير موقفهم، ولهذا ظهر تيار جمع بينهما، ليس لمجرد التوفيق بل لتساوي الأدلة العلمية لكل منهما.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك إرهاصات قديمة أشارت إلى الصلة بين العاملين الوراثي والبيئي، قال أرسطو(ت322 ق.م): إن الذين ينحدرون من أصول أفضل يرجح أن يكونوا رجالاً أفضل، ويلاحظ هنا أن أرسطو لم يجعل الأمر حتمياً – بالمعنى الحديث: الحتمية البيولوجية – ولكن جعله في معيار الترجيح، وكذلك جالينوس وأيبوقراط حيث أشارا كلاهما إلى أثر التركيب الجسمي على المزاج والسلوك وأنماط التفكير، تلك الإرهاصات أثرت على التيار الجامع بين البيئة والوراثة بجانب تطور علم البيولوجيا الذي أكد على أهمية العوامل الوراثية في تشكيل السلوك وأسلوب التفكير.

ولتوضيح مسألة التفاعل الجدلي بين الوراثة والسلوك يمكن الاستناد إلى ثلاثة مبادىء، الأول: النتائج العلمية الحديثة التي توصل إليها علم الوراثة والبيولوجيا بصدد تأثير الوراثة على السلوك الإنساني ، والثاني: مبدأ تعدد العلل أو الأسباب للظواهر وعلى الأخص العلوم الإنسانية، والذي يُعَبر عن حدوث الظاهرة في ضوء عدة أسباب ولا يرجعها إلى مبدأ واحد بعينه، لأن مبدأ العامل الأوحد للظاهرة قد أثبت عدم جدواه في المناهج العلمية الحديثة، فالظاهرة الإنسانية تتكون من خلال عدة عوامل متفرقة أحياناً ومجتمعة أحياناً أخرى، ويكون هناك عامل أكثر تأثيراً ولا يعني ذلك نفي العوامل الأخرى، وأصحاب الاتجاه الكسبي قد انطلقوا من خلال فرضية العامل الأوحد وهي الجدل التاريخي أو الظروف البيئية الاجتماعية، وأصحاب الاتجاه الطَبْعى البيولوجى انطلقوا من فرضية الطبع الوراثي البيولوجي.

أما المبدأ الثالث فيتبلور في مفهومي التناقض والتضاد، والتناقض يعني الشيء ونفيه في الوقت نفسه، كما نقول: أن الشيء موجود وغير موجود في اللحظة ذاتها أو في الوقت نفسه، وهذا محال فلا يمكن أن يجتمع الشيء ونقيضه في آن واحد، أما التضاد فهو يعني أن هناك شيئين كل منهما مختلف عن الآخر، ويمكن جمعهما كما نقول: "أبيض" وضده "أسود" حيث يؤدي الجمع بينهما إلى شيء ثالث ليس هو الأول وحده وأيضاً ليس هو الثاني وحده، ولكنه مزيج من الأول والثاني، ولهذا المزيج خصائص وصفات ناتجة عن جمع الاثنين.

وعند النظر إلى الهوية الفردية الشخصية من خلال ذلك نجد مسألة جمع الأضداد كامنة في الإنسان، فهو جامع للغرائز المادية المطبوع عليها والجينات الوراثية التي بدورها مؤثرة في السلوك الإنساني

والجانب الثقافي المتبلور في نمط التفكير، لأن السلوك ناتج في أساسه عن العملية الفكرية وهو انعكاس لها، ومن المحال تصور الفكر دون ذات مادية محملة بالغرائز والرغبات والدوافع، فالثقافة لا يمكن تصورها بدون موضوع لأنها في حقيقة أمرها محمول لموضوع وهي انعكاس له.

كل اتجاه من الاتجاهين الكسبي البيئي والطَبْعي الوراثي قد نظر إلى الآخر من خلال مفهوم التناقض وليس التضاد، فكل نظرة اعتبرت الأخرى نقيضاً لها، بحيث إن تقرر عامل الكسب أو البيئة أدى ذلك إلى نفي عامل الطَبْع والوراثة والعكس، ولم ينظر كل اتجاه للآخر من خلال مفهوم التضاد المؤدي إلى جمعهما معاً، ومن أهم العوامل التي جعلت كل اتجاه ينظر إلى الآخر نظرة تناقضية هو أن الهويات الأقل حضارة قد تمسكت بالنظرة الكسبية البيئية رافضة النظرة الوراثية حتى لا تشعر بأنها ذات سمات عرقية أدنى من السمات العرقية للهويات الأكثر حضارة، والهويات الأكثر تقدماً قد تمسكت بالنظرة الوراثية نتيجة لما أثبتته النظرية العلمية وكذلك الواقع وأيضاً الشعور بالتفوق العرقي.

وفي النظر إلى منطلقات الاتجاه البيئي الاكتسابي تتضح نظرته النقيضية للاتجاه الوراثي، فهو ينطلق من تقسيم الهوية إلى مفهومين: وراثي طَبْعي والآخر اجتماعي بيئي، وكل منهما يقف موقف النقيض من الآخر، فيشير إلى خطأ المفهوم الطَبْعي الذي يحدد شخصية الأمم والشعوب بجوهر أو تركيب نفسي عقلي ثابت ينطلق منه بصرف النظر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والفكرية المحيطة به، ويرى الاتجاه البيئي أن الاتجاه الطَبْعي قد فصل الجوهر عن الوقائع والتحولات الخارجية وأهمل أثر الأوضاع التاريخية، وهذا لا يجعل التركيب أو الجوهر خاضعا للتغيير والتعديل. (البيطار، 2002)

يتضح من تلك الرؤية أنها تنفي نفياً قاطعاً وجود الطبع الوراثي في مسألة الهوية، ووضعها كنقيض لرؤيتها الاكتسابية، ومنطلق آخر تعتمد عليه تلك النظرة وهو منطلق التحولات الجذرية التي تحدث في بعض مراحل التاريخ، فتنتقل الشعوب من حالة تاريخية معينة إلى نقيضها، واستدلت على ذلك بما حدث بعد الثورة الفرنسية والروسية والصينية الشيوعية، وجعلت محور أو علة تلك التحولات هو العامل السياسي، إن كانت تلك الأمثلة التحولية في تاريخ الشعوب لا يمكن إنكارها أو إنكار درجة التحول عندها، إلا أن ذلك لا ينفي وجود العامل الوراثي، فإن كانت تقرر التحولات الاكتسابية للشعوب أو الهويات إلا أنها لا تقرر سلب أو نفي وجود العامل الوراثي الجيني الطَبْعي.

من جانب آخر أهمل هذا الاتجاه في استشهاده بتلك التحولات جانب مهم ألا وهو التحول الاكتسابي للبشرية ككل، فإن تلك التحولات كانت في سياق أعم وأشمل وهو السياق التحولي للبشرية عبر تاريخها، فمن الطبيعي أن تكون تلك التحولات مستغرقة داخل تحول أشمل مع الحفاظ بالسمات والخصائص العامة للهوية الجزئية، والذي يميز هوية عن غيرها هو الجانب الطَبْعي الذي هو أيضا في حالة ثبوت نسبي وليس من منظور المطلق كما فهم أصحاب الاتجاه الاكتسابي.

وإن كان الاتجاه البيئي قد استشهد بمراحل التحولات للهويات القومية في التاريخ للاستدلال على التغير المطلق إلى النقيض، فلماذا لم يستشهد بالهويات التي تميزت بالثبات النسبي عبر قرون طويلة على الرغم من تعرضها ومعرفتها بالأيديولوجيات المختلفة؟، مثل الهويات الأفريقية المنغلقة وهويات الجماعات من السكان الأصليين في استراليا والجماعات من البوشمان في إفريقيا والفوبجيين في أمريكا الجنوبية، لماذا أهمل ذلك الاتجاه تلك الهويات في استقرائه التاريخي؟ لم تتحول تلك الهويات إلى النقيض عبر تاريخها الطويل على الرغم من تعرضها إلى صراعات وتفاعلات داخلية وخارجية، ولكن لا يعني ذلك نفي الاتجاه البيئي بل يعني نقد النظرة النقيضية تجاه الرؤية الطَبْعية.

إن فكرة الهوية السرمدية المطلقة الواقفة خارج الزمان والمكان دون تعدد مكاني أو تفاعلات تاريخية كمنطلق استاتيكي مطلق، هي فكرة تأملية ميتافيزيقية متناقضة مع الواقع وتغيراته ومع المشاهدات التاريخية، ولا تعني النظرة الطَبْعية الوراثية ذلك المفهوم السرمدي، بل تعني تماثل أنماط السلوكيات والأفكار والثقافة للهوية الواحدة في ضوء تاريخ الهوية نفسها بين الماضي والحاضر على الرغم من التحولات والتفاعلات التاريخية، وهذا التماثل هو الذي يميز الهوية عن الأخرى وهي نظرة تتسم بالتماثل أو الوحدة النسبية ولا يعني هذا نفي النظرة البيئية الاجتماعية التاريخية.

لا نستطيع إنكار التحولات الكبرى للهويات القومية لأن الاستقراء التاريخي يثبتها، وأيضاً لا يمكن إنكار تماثل أنماط الفكر والسلوك والجانب المادي المتمثل في الأشكال الجسمية للهوية الواحدة، لأن في إنكار ذلك هو في حقيقة أمره إنكار للعلوم الطبيعية البيولوجية، وعلى الأخص علم الجينات، ومن منطلق أن مفهوم البيئة ومفهوم الطَبْع يمكن اعتبارهما متضادين غير متناقضين فيمكن الجمع بينهما وعدم نفي أحدهما بتقرير الآخر، وينتج عن ذلك مفهوم آخر يقوم على تقرير المفهومين ووحدتيهما في مفهوم واحد.

بناء على ذلك يمكن القول بأن الهوية نسبية متغيرة متأثرة بالتفاعل التاريخي المتمثل في الصراعات والتحديات الداخلية والخارجية، تلك العوامل في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، قد يحدث عبر تاريخ الهوية تحديات تنقلها إلى الضد تبعاً لقوة الظروف، وقد تكون التحديات ضعيفة كما هو الحال في المجتمعات والهويات المنغلقة على نفسها، وأيضاً الاستجابة قد تكون التحديات قوية والاستجابة ضعيفة لا تماثل التحدي في القوة كما هو الحال في هوية العقل الجمعي العربي، وقد تكون التحديات ضعيفة والاستجابة قوية كما في الهويات ذات الحضارة المتقدمة، فليس بالضرورة أن تكون الاستجابة بقدر مستوى قوة التحدي، ولهذا تتسم التحولات سواء أكانت كبيرة أم طفيفة بتماثل نمطي طَبْعي إلى حد ما بين ماضي الهوية وحاضرها ويميزها ذلك التماثل عن الهويات الأخرى.

ومما سبق فإن هوية المجتمع تتبلور من خلال التفاعل الجدلي بين الوراثة والبيئة، وسلوكها يتحدد وفقاً لعاملي الوراثة والبيئة، فالعوامل البيئية تمد الهوية بالمثيرات التي تجعل الإمكانات الوراثية تستجيب لهذه المثيرات بطريقة ثابتة نسبياً، ذلك لأن العوامل البيئية على اختلاف أنواعها، الطبيعية والاجتماعية والتاريخية، لا تخرج عن كونها مثيرات متعددة تؤثر في العوامل الوراثية محدثة مجموعة من الاستجابات التي تمثل الصفات العامة للهوية، وهذا يسمى بجدلية التفاعل بين الوراثة والبيئة. وهذه الجدلية تعطى هوية العقل الجمعي نمطها الفكري المؤثر على سلوكها الذي يجعلها ذات سمات وخصائص تميزها عن الهويات الأخرى.

وبذلك يمكن النظر إلى هوية العقل الجمعي من خلال طبيعتها ككائن حي، لها دلالة وجودية تتفاعل وتؤثر وتتأثر، وتتنازع مع ذاتها ومع الآخر أيضاً، تنمو وتنضج، ذات طبيعة خاصة نسبية إلى حد ما تميزها عن الأخرى، كما أن لها دلالة نفسية باعتبارها كائناً حياً، تَمُر بمراحل نفسية عديدة خلال نموها وحياتها، تحدث لها أزمات نفسية في حالات الصراع مع الذات والآخر، تستخدم ميكانيزمات الدفاع النفسية لمواجهة الشعور بالإحباط في حالات الأزمات كالتبرير والإسقاط بصرف النظر عن عوامل الفشل، كذلك لها دلالة اجتماعية وثقافية تتعامل وتتفاعل مع الذات والآخر، لها أنماط من السلوك والفكر والثقافة، لها ماض وحاضر ومستقبل، تحتوي التغير والصيرورة والتماثل والتقابل، وكذلك الصراع والنزاع، ذلك لأن الهوية ما هي إلا مجموع الأفراد في المجتمع الواحد بما لهم من حياة ووجود وفكر وتاريخ ومصالح مشتركة.

هوامش البحث

1- أبو النصر الفارابى، كتاب الحروف، تحقيق وتعليق د. محسن مهدى، بيروت، 1990م، ص 85، ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، ط2، بيروت، 1967م، ص557، الكندى، في الفلسفة الأولى، ضمن كتاب رسائل الكندى الفلسفية للدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة،1950م، ص 113-122.

2- الجرجانى، التعريفات، بيروت، 1995م، ص257.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، 1979م، ص 531.

4- أبو البقاء الكفوى، الكليات، بيروت، 1992م، ص963.

5- الفارابى، كتاب الحروف، ص 88.

6- الموسوعة الهيجيلية، القاهرة، 1996م، ج2، ص 299.

7- الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، 1986، ج1، ص321.

8- أليكس ميكشيللى، الهوية، دمشق، 1993م، ص76.

9- د. عابدين الشريف، الإعلام والعولمة والهوية، ليبيا، 2006م، ص51.

10- د. رشاد عبد الله الشامى، إشكالية الهوية في إسرائيل، الكويت، 1997م، ص 9، 10.

11- المرجع السابق، ص 10.

12- د. محمد عابد الجابرى، العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربى، العدد 228، بيروت، 1998م.

13- ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة د. عثمان أمين، القاهرة، 1952م، ص 53.

14- Zeller, outlines of the Greek philosophy. London, 1948, p. 104.

15- د. فتحى المسكينى، الهوية والزمان، بيروت، 2001م، ص 8.

16- أبو حامد الغزالى، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القاهرة، 1985م، ص 28.

17- أوغسطين، الاعترافات، بيروت، 1981م، ص 23 وما بعدها.

18- د. على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط4، الإسكندرية، 1969م، ج2، ص 168.

19- الشهرستانى، نهاية الإقدام في علم الكلام، بغداد، ب - ت، ص 320.

20- الكندى، رسالة في وحدانية الله، ضمن رسائل الكندى الفلسفية، ص 169.

21- الفارابى، آراء أهل المدينة الفاضلة، بيروت، 1986م، ص 12.

22- ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، ص 558.

23- ابن عربى، فصوص الحكم، القاهرة، 1946م، ج2، ص251.

، عبد الكريم الجيلى، الإنسان الكامل، القاهرة، 1963م، ج1، ص 57.

24- أندريه لالاند، موسوعة لالاند، بيروت، 1983م، ص 605.
25- ليبنتز، المونادولوجيا، ترجمة: د. عبد الغفار مكاوى، القاهرة، 1974م، ص 201.
26- د. رسول محمد رسول، محنة الهوية، بيروت، 2002م، ص 31.
27- ولتر ستيس، فلسفة هيجل، الموسوعة الهيجيلية، 1956م، ج2، ص250-256.
28- د. رسول محمد رسول، محنة الهوية، ص 30.
29- المرجع السابق، ص 32.
30- د. أبوبكر مرسى، أزمة الهوية في المراهقة، القاهرة، 2002م، ص 52.
31- سيجموند فرويد، الكف والعرض والقلق، ط5، ترجمة: محمد عثمان نجاتى، القاهرة 1982م، ص 42. وللمزيد: فرويد، الأنا والهو، ترجمة: محمد عثمان نجاتى، 1982م.
32- للمزيد: د. مصطفي فهمى، علم النفس الكلينيكى، القاهرة، 1967م، ص 176 وما بعدها، د. كمال الدسوقى، علم النفس ودراسة التوافق، الزقازيق، 1985م.
33- د. أبو بكر مرسى، أزمة الهوية، ص 53.
34- للمزيد:

Erikson. E, Identity: Youth and Crisis. New York, 1950, p. 38-50.

35- هنرى و.ماير، ثلاث نظريات في نمو الطفل، ترجمة: د. هدى قناوى، القاهرة، 1981م، ص 63 وما بعدها.

36- Erikson, E.H. On the sense of inner identity. New York, 1953, p. 124.

37- المرجع السابق، ص 69-72.
38- د. أبو بكر مرسى، أزمة الهوية، ص 64.
39- هنرى و.ماير، ثلاث نظريات في نمو الطفل، ص 96 وما بعدها.
40- المرجع السابق، ص 164 – 165.

41- للمزيد عن ميكانيزمات الدفاع: أنا فرويد، الأنا وميكانيزمات الدفاع، ترجمة د. صلاح مخيمر، د. عبده ميخائيل، القاهرة، 1972م، 47، 48.

42- للمزيد:

- Kline, P. Fact and Fantacy in Freudian theory, London, 1972, p. 87-93.
- Eysenck, H.J and Wilson, G.D, The Experimental study of Freudian theory. London, 1973.

43- سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ترجمة: أحمد عزت راجح، القاهرة، 1966م، ص 53.

وللمزيد: د. أحمد عبد الخالق، أصول الصحة النفسية، القاهرة، 1993م، د. عبد السلام عبد الغفار، مقدمة في الصحة النفسية، القاهرة، 1990م.

44- سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ص 64.

45- د. أحمد عبد الخالق، أصول الصحة النفسية، ص186.

46- د. نديم البيطار، حدود الهوية القومية، ط 2، بيروت، 2002م، ص 16.

47- المرجع السابق، ص 54، 55.

48- المرجع السابق، ص 86.

49- ستيفن روز وآخرون، علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 148، الكويت، 1990م، ص 18.

50- د. نديم البيطار، حدود الهوية القومية، ص11.

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

دور الانترنت في تحسين جودة التدريس بكلية الآداب بجامعة طبرق

د. عبدالكريم محمد على قناوي

أستاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة طبرق

Amagnawi72@yahoo.com

00218922975104

أ.صالحة خميس على عبدالمولى

محاضر بقسم المكتبات والمعلومات بجامعة طبرق

Sallha.khames@tu.edu.ly

00218945879259

العدد: الأول

يناير 2020

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على دور شبكة الانترنت في تحسين جودة التدريس بكلية الآداب بجامعة طبرق. و تم استخدم المنهج الوصفي التحليلي في عرض موضوعها، من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، لفهم طبيعة تأثير الانترنت في التعليم العالي، وتحديد أهم العوامل والمفاهيم المؤثرة في عملية استخدام الانترنت وتوظيفها لتحسين جودة التعليم. وتكون مجتمع الدراسة من 123 أستاذاً جامعياً بكلية الآداب، تم اختيارهم وفق عينةٍ عشوائيةٍ ممثلةٍ للمجتمع قدرها 31 أستاذاً شكلوا نسبة 25% من المجموع الكلي للمجتمع. كما تم تجميع البيانات عن طريق استمارة استبيان صممت خصيصاً لتلبية غرض الدراسة. كما تم الاعتماد على الإحصاءات والمجاميع الوصفية والنسب المئوية لرسم صورة واضحة عن طبيعة استخدام الأساتذة لتكنولوجيا الانترنت في تحسين جودة التدريس والتعليم بالكلية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: ان الغالبية العظمى من اساتذة كلية الآداب بجامعة طبرق يؤكدون على اهمية استخدام الانترنت في العملية التعليمية وذلك بنسبة مرتفعة بلغت 96.7% ؛لحداثة معلوماتها، واتفاق اغلب عينة الدراسة على نقص برامج التدريب الجيد ومهارات استخدام الانترنت لأغراض التدريس، اما اهم توصياتها فكان: الاعتماد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في جميع المجالات المتعلقة بالعمل الأكاديمي وخاصة في العملية التعليمية، اختصاراً للوقت وتوفيراً للجهد، وتحسيناً لجودة المخرجات.

Abstract

This study aims at examining use of the Internet to enhance quality of teaching by the Arts faculty members at the University of Tobruk- Libya. The study used descriptive analytical approaches to draw out a clear picture of the nature of use and identify the major factors that influence the adoption and use of the Internet to improve quality of teaching and learning. The sample of the study consisted 31 a faculty members from 9 scientific department at the college.

The study found that the majority of the academic staff members have positive attitude towards use of the Internet for teaching purposes. However, lack of their use experience and poor telecommunication infrastructure affected negatively their adoption and use . The study recommended the need to enhance quality of Internet service, train educators and spread culture of the Internet instructional use.

الجزء الأول: الإطار العام للدراسة

المقدمة

تعد تكنولوجيا الانترنت أهم التكنولوجيات المعاصرة التي أثرت بشكلٍ مباشرٍ على التعليم العالي، وخاصة في مجالات البحث العلمي والاتصال والتعليم. كما أثرت أيضاً على تطبيقات التدريس، فتنوعت أدواته وأساليبه، وأثرت على محتواه، وأدت إلى نشره والتشارك فيه. إلا أن المستعرض لطبيعة الدراسات التي أجريت عن تأثير هذه التقنية على قطاع التعليم العالي يجد ندرة في الدراسات التي تصدت لاستخدامها في التدريس، وخاصة عندما يتعلق الموضوع بمجال تكوين المحتوى التعليمي وضبط جودته. والأمر يزداد ندرة إذا ما نظرنا إلى طبيعة الدراسات المنجزة في المنطقة العربية، حيث نكاد نجزم أن هذه الدراسات لا تكف لفهم طبيعة تأثير هذه التقنية على التعليم والتعلم في المنطقة العربية، فقررنا حينها التصدر لهذا الموضوع ولو بإضافةٍ بسيطةٍ إلى مكوناته.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، جاء الأول بعنوان الإطار العام للدراسة، ويعرف بالخلفية العامة للدراسة من حيث الأهداف ومبررات القيام بها وكل الجوانب المتعلقة بتحديد ماهيتها. أما الجزء الثاني فقد كان بعنوان الإطار النظري للدراسة، وتناول أهم الدراسات السابقة، وكذلك أهم المفاهيم المتعلقة بموضوع جودة التدريس. أما الجزء الثالث فقد خصص للدراسة الميدانية، ويستعرض أهم بياناتها ويعمل على تبويبها وتحليلها، ثم تختتم الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

مشكلة الدراسة

تتمثل المعضلة الرئيسة لهذه الدراسة في إشكالية فهم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتبنيها في الأوساط التعليمية العليا، حيث يرى الباحثان أن هناك قصوراً في اعتبار هذه التكنولوجيا أداة تعليمية معاصرة يمكن توظيفها بفاعلية لتحسين جودة الأداء التعليمي والبحثي في الجامعات، فقد أظهرت دراسة Agnawe (2013) أن استخدام تكنولوجيا الانترنت لأغراض التدريس في جامعة بنغازي أقل من استخدامها لأغراض

مراجعة أدبيات الموضوع أو للتواصل مع الطلاب. ومن هنا فإننا نحاول في هذه الدراسة تعميق فهمنا لهذه الظاهرة واستطلاع أهم التجارب المحلية في هذا الجانب.

أهمية الدراسة

يمكن بلورة اهمية الدراسة في النقاط التالية:

1. أنها تبين أهمية شبكة الانترنت ودورها الايجابي في تحسين جودة التعليم العالي عامة.
2. أنها تسلط الضوء على إيجابيات استخدام الانترنت وتوظيفها في العملية التعليمية بجامعة طبرق.
3. أنها تحاول وضع نقاط واضحة للفرص التي يتيحها استخدام شبكة الانترنت في التعليم والتواصل العلمي بين المعلمين والمتعلمين بالطرق الفردية والجماعية.
4. أنها تحدد أهم العقبات والتحديات التي تحول دون استخدام الانترنت في تحسين جودة التدريس بجامعة طبرق.

أسئلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى فهم شاملٍ لمدى إسهام تكنولوجيا الانترنت في تطوير جودة التعليم بكلية الآداب بجامعة طبرق، وذلك من خلال طرح الأسئلة الأتية:-

س1: ما طبيعة إسهام تكنولوجيا الانترنت في تحسين جودة التعليم بوجهٍ عامٍ؟

س2: ما إيجابيات استخدام تكنولوجيا الانترنت في التواصل العلمي بين المعلمين والمتعلمين؟

س3: ما العقبات التي تحول دون الاستغلال الأمثل لتكنولوجيا الانترنت من أجل تحسين جودة التدريس، وكيف يمكن التغلب عليها؟

أهداف الدراسة

1. التعرف على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو استخدام تكنولوجيا الانترنت لأغراض التعليم والتعلم.
2. التعرف على أهم المصادر التي يعتمد عليها الأساتذة في إعداد المواد التعليمية.
3. التعرف على طبيعة الخبرة التعليمية والتقنية لأعضاء هيئة التدريس، ومدى تأثيرها في تحسين جودة التدريس.
4. تحديد أهم العراقيل التي تحد من فاعلية استخدام الانترنت لأغراض التدريس والتعلم.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لمعرفة مستوى توظيف تكنولوجيا الانترنت في التدريس الجامعي، وكذلك تحديد بعض سمات الاستخدام الواقعي لهذه التقنية.

عينة الدراسة

تمثلت عينة الدراسة في 31 أستاذاً، تم اختيارهم عشوائياً من بين 123 عضو هيئة تدريس بالكلية، حيث كانت نسبة تمثيل العينة 25% من المجموع الكلي للأساتذة الذين ينتمون لأحد عشر قسماً علمياً، وفق أحدث إحصاءات الكلية للعام الجامعي 2019-2020.

أدوات جمع البيانات وتحليلها

تم الاعتماد في المرحلة الأولى من الدراسة على الأدبيات المتعلقة بالموضوع لتكوين خلفية نظرية تمكننا من فهم الموضوع وتحديد أهم اتجاهاته، ومن ثم انتقلنا إلى مرحلة تصميم استمارة الاستبيان التي مكنتنا من تكوين صورة واقعية عن طبيعة اتجاهات الأساتذة نحو استخدام تكنولوجيا الانترنت لأغراض تحسين جودة التدريس، وأخيراً قمنا بكتابة الخلاصات النهائية والنتائج.

حدود الدراسة

الحد الموضوعي

يتمثل الحد الموضوعي لهذه الدراسة في تناول موضوع استخدام تكنولوجيا الانترنت لأغراض التدريس بكلية الآداب بجامعة طبرق، واستطلاع مدى الاعتماد عليها في تحسين جودة المواد التعليمية التي يتم تدريسها.

الحد المكاني

يتمثل الحد المكاني لهذه الدراسة في كلية الآداب بجامعة طبرق، المكونة من أحد عشر قسماً علمياً.

الحد الزماني

يتمثل الحد الزماني لهذه الدراسة في الفترة الممتدة من بداية شهر أكتوبر وحتى منتصف العام الجامعي 2019-2020.

التعريفات الإجرائية

في هذا الجزء حاولنا وضع تعريفات إجرائية تتسم بالوضوح كي تفي بأغراض الدراسة، ولا ترتبط بأي تفسيرات مغرقة في التخصصات الأخرى ذات الصلة بالموضوع مثل التربية وتكنولوجيا التعليم وغيرها.

تكنولوجيا الانترنت:

مجموعة الأدوات والوسائل المادية والبرامج التي تساعد في الحصول على خدمات الانترنت، وتساعد في إدارة العملية التعليمية.

التعليم:

ويشمل كل الأنشطة التي تشمل التدريس والتعلم وإدارة الموارد التعليمية.

تطبيقات الانترنت في التعليم:

التطبيقات والبرامج التي تعتمد على تكنولوجيا الانترنت، وتساعد في إدارة الأنشطة التعليمية بمختلف أنواعها.

جودة التدريس

كل ما يتعلق باستخدام أحدث الأساليب التكنولوجية في خلق محتوى المواد التعليمية، واستخدامه من أجل التعلم، ومشاركته بين أوساط المتعلمين.

التحديات التي تواجه توظيف تكنولوجيا التعليم

أي ظروف تعمل على إعاقة تبني تكنولوجيا المعلومات واستخدامها من أجل التعليم في جامعة طبرق.

الجزء الثاني: الإطار النظري للدراسة

أولاً/ استعراض أهم الدراسات السابقة

يتعرض هذا االجزء لأهم الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع دراستنا، ويقدم ملخصاً لأهم الأعمال المنجزة، بهدف الحصول على أوضح صورة عن طبيعة استخدام تكنولوجيا الانترنت لأغراض التعليم والتعلم، وفيما يلي عرض لأهم هذه الدراسات:-

1. دراسة كيريف Kireev وزونديبابيف Zhundibayeva وأكتانوفا Aktanova (2019) التي جاءت بعنوان "التعليم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي" حيث تذكر الدراسة أن التعليم الإلكتروني يعد أحد أكثر الأشكال الواعدة لتنفيذ أساليب التدريس النشطة، عبر ما يسمى بالدورات المفتوحة الجماعية عبر الإنترنت Mass Open Online Courses ، والمعروفة اختصاراً ب (MOOCs). وأشارت الدراسة إلى أن الجامعات الروسية والكازاخستانية غالبًا ما تعتمد على مزج التعليم الإلكتروني مع التعليم التقليدي، فيما يُعرف "بالتعليم المدمج". وقد قامت الدراسة بتجربة نمط التعليم المختلط في ست مجموعات دراسية من طلاب الهندسة العامة في كلية الهندسة والتكنولوجيا في معهد Elabuga التابع لجامعة Kazan الاتحادية، بالإضافة إلى تخصصات فقه اللغة في كلية فقه اللغة الكازاخستانية التابعة لجامعة ولاية Shakarim في

مدينة Semey خلال العام الجامعي 2017–2018. وقد أظهرت الدراسة أن هناك موقفاً إيجابياً من استخدام التعليم الإلكتروني، وخلصت إلى فاعلية استخدام منهج التعليم المدمج.

2. دراسة جان Jan وحسين Hussain وإبراهيم Ibrahim وسعيد Saeed (2018) التي جاءت بعنوان "استخدام الانترنت من قبل أعضاء هيئة التدريس بكلية الطب في بيشاور بالباكستان" فقد استطلعت طبيعة استخدام مصادر التعلم على شبكة الانترنت من قبل أساتذة كلية الطب في بيشاور. واستخدمت الدراسة الاستبيان لجمع البيانات من 115 عضو هيئة تدريس في تخصصات العلوم الأساسية والطبية، وقد تم الحصول على استجابة 66 عضو هيئة تدريس مثلوا 57.6% من العدد الكلي للأساتذة، وتضمنت العينة مشاركة الجنسين بواقع 38 أستاذاً و28 أستاذة.

كما تم استخدام منظومة التحليل الإحصائي SPSS للحصول على المؤشرات والنتائج النهائية، حيث أظهرت الدراسة أن غالبية الأساتذة بواقع 51 أستاذاً مثلوا نسبة 77.27% من مجتمع الدراسة قد استخدموا الانترنت لأغراض التدريس والبحث العلمي. كما بينت الدراسة أن المكتبة كانت المكان المفضل لاستخدام الانترنت بواقع 22 استجابة مثلت 33.33% من مجموع أفراد الدراسة. أما نوع مصادر المعلومات المستخدمة، فقد بينت الدراسة أن معظم أساتذة كلية الطب يعتمدون على المجلات الإلكترونية، وقواعد البيانات، والرسائل العلمية في الحصول على المعلومات العلمية. وفي مقابل ذلك، أظهرت الدراسة أن أكثر العقبات التي تحد من استخدام الانترنت بفاعلية هي بطء سرعة الانترنت، وحماية الأجهزة من الفيروسات، وقلة التدريب الحديث.

3. دراسة عبدالله بن عواد الحربي المعنونة: **معايير مقترحة لقياس جودة التعلم الالكتروني في الجامعات السعودية** فقد هدفت إلى تسليط الضوء على التعليم الالكتروني، فتناولت الخلفية النظرية للموضوع من خلال عرض الإطار النظري للتعليم الإلكتروني، وتعريفه وأهدافه ومنظومته وخصائصه. كما عرضت الدراسة تجارب عددٍ من المعايير لدولٍ متقدمةٍ دعت في مجملها إلى الاهتمام بزيادة الفعالية، والإنتاجية، وإنقاص الزمن، ووضوح تقديرات تكلفة إيصال التعليم. كما أشارت أيضاً إلى ضرورة تحسين المحتوى التعليمي ومرونته، وأهمية تبسيط برامج التعلم الإلكتروني لضمان تحقيق الفهم، وتمكين المتعلمين من إجراء

البحث والتقييم، واستخدام الوحدات التعليمية بطريقة مناسبة. ولتحقيق أغراض هذه الدراسة تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وقامت الدراسة باقتراح عددٍ من المعايير المناسبة لقياس جودة التعلم الإلكتروني في الجامعات السعودية. كما أوصت الدراسة بأن تتضمن أنظمة عمادات التعلم الإلكتروني في الجامعات السعودية وحداتٍ أو أقسامٍ خاصة بتقييم ومراجعة أهداف التعلم الالكتروني، وتقدير مدى نجاحه في تطبيق الأهداف المخطط لها مسبقاً.

4. دراسة سلطان بالغيث تحت عنوان **واقع استخدام الانترنت في الجامعة دراسة ميدانية بجامعة تبسة بالجزائر** سعت إلى تناول خدمة الانترنت وسبل توظيفها والاستفادة من تطبيقها في مجالات التواصل والبحث لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة المذكورة، من خلال استطلاع أراء عينةٍ من أساتذة جامعة تبسة، لتحديد واقع استخدامهم للإنترنت، والتعرف على سبل استثمارها في إثراء رصيدهم المعرفي و العلمي. وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها أن نسبة 60% من أفراد العينة يستخدمون الانترنت بصفةٍ مستمرةٍ في الاطلاع على المعلومات الجديدة، ومواكبة التطورات العلمية في مجال تخصصهم. كما بينت الدراسة أيضاً أن نسبة 50% من المبحوثين يرون أن ثقافة الاستخدام الرشيد للإنترنت، كفيلة برفع مستوى العائد المعلوماتي والمعرفي لدى الباحثين عن المعلومات.

5. دراسة فيصل عبد اللطيف العطشان، عبد المجيد محمد التلماتي، عبد السلام أحميدة خميس التي كانت بعنوان **توظيف الإنترنت في مؤسسات التعليم العالي الليبية بين الواقع والتحديات**، والتي تهدف إلى تسليط الضوء على واقع توظيف الإنترنت في العملية التعليمية في ليبيا، ودراسة المعوقات التي تقف أمام تعزيز أسلوب التعليم الإلكتروني في مؤسسات التعليم العالي. بالإضافة إلى تناول أهم الإشكاليات التي تواجه التعليم العالي في ليبيا، وتقدير مستوى جودة التعليم في ليبيا، مقارنةً بالمحيط الإقليمي والدولي بالاعتماد على بعض الدراسات السابقة. كما وضفت الدراسة نتائج عددٍ من الدراسات والتقارير المحلية والدولية لرسم صورة عن معاناة مؤسسات التعليم الليبية، فأظهرت الدراسة أن مؤسسات التعليم العالي الليبية تعاني من مشاكل مستديمة، ولها تصنيفٌ متأخرٌ جداً على المستويين الإقليمي والدولي، وأن حجم مشاركة الجامعات الليبية على شبكة المعلومات الدولية متدنٍ جداً. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وأسلوب المسح بالعينة،

وتوصلت إلى أن معظم أعضاء هيئة التدريس مقتنعين بجدوى توظيف الإنترنت في العملية التعليمية، وعلى الرغم من ذلك فإن جزءاً كبيراً منهم لا يستخدمها واقعياً، وأن حجم استغلالها يعد ضعيفاً جداً.

ثانياً/ التكنولوجيا وخصائص جودة التعليم

يهدف هذا الجزء من الدراسة إلى تقديم خلفية مختصرة عن أهم المستويات المطلوبة لتحقيق فعالية استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في النظام التعليمي. كما يتطرق لخصائص جودة بيئة التعلم، والأهداف المرجوة من اعتماد أساليب جودة التعليم، والمبررات التي تدعو لاعتمادها وتطبيقها.

فعالية استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التدريس

تشير بعض الدراسات السابقة إلى أن هناك فئاتٍ مختلفةٍ من أعضاء هيئة التدريس تنظر إلى أهمية استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لأغراض تحسين جودة التدريس بشكلٍ مختلفٍ. كما أشار البطينة Al-bataineh وبروكس Brooks (2003) إلى أن هناك بعض المستويات التي تعطي مؤشراً واقعياً عن فعالية استخدام الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات لأغراض التدريس تتمثل في:-

1. **مستوى المعرفة،** ويتمثل في مستوى دراية عضو هيئة التدريس بأجهزة الكمبيوتر بغض النظر عن ما إذا كانوا مستخدماً فعلياً أو غير مستخدمٍ. وكذلك مدى قدرتهم على اتباع إرشادات الاستخدام المكتوبة بشكل جيد خطوةً بخطوة.
2. **مستوى التطبيق،** يجب أن يكون أعضاء هيئة التدريس على استعداد لاستخدام البرامج والتطبيقات التعليمية (أو السماح للطلاب باستخدامها مع التحكم فيها).
3. **مستوى التحليل،** حيث يجب أن يكون الأساتذة قادرين على استنباط الأهداف الكلية أو الجزئية من استخدام التطبيقات المطلوبة، للمساعدة في تحقيق الأهداف المحددة للمناهج الدراسية.
4. **مستوى التوليف،** ويقوم فيه المعلمون بإنتاج ودمج المواد التعليمة، واستخدام التقنيات التعليمية المناسبة التي تدعم المناهج الدراسية.

5. **مستوى التقييم**، ويقوم المعلمون في هذه المرحلة بتقييم فرص التعلم، وفاعلية استخدام البرمجيات التعليمية المصممة، والمواد المصاحبة للمناهج الدراسية.

جودة بيئة التعلم

يشير إيزي Eze (2009) إلى العناصر التي يجب أن توفرها لضمان الوصول إلى جودة برامج التعليم تتمثل في:-

* المتعلمون الأصحاء جسدياً وعقلياً الحاصلين على الدعم الأسري والمجتمعي.
* توفر البيئة الصحية والآمنة التي تراعي خصوصية الجنسين و/أو توفر الموارد والمرافق الكافية.
* المحتوى الذي ينعكس في المناهج والمواد ذات الصلة للحصول على المهارات الأساسية، لا سيما في مجالات محو الأمية والتعلم والحساب والرقمنة ومهارات الحياة... إلخ.
* العمليات التي يستخدم من خلالها المعلمون المدربون طرق التدريس التي تركز على المتعلمين، وتعتمد على برامج تقييم متطورة تسهل التعلم وتحد من الفوارق بين المتعلمين.
* النتائج التي تشمل المعرفة والمهارات والمواقف، وترتبط بأهداف التعليم والمشاركة الإيجابية في المجتمع.

مبررات تطبيق الجودة الشاملة في النظام التعليمي

يذكر محسن (2008) أن هناك العديد من المبررات التي تدعو إلى تطبيق برامج الجودة الشاملة في النظام التعليمي تتمثل في:-

1- إقبال معظم المجتمعات على التوسع في التعليم، باعتباره العامل الحاسم في التنمية المجتمعية.
2- انخفاض مستويات التحصيل الدراسي للطلاب، وخاصة في الدول النامية.
3- تزايد الرغبة عالمياً في الوصول إلى معايير جديدة لجودة التعليم، تتركز في تحسينها نظرياً وتطبيقياً.
4- الحاجة إلى مواجهة المتغيرات العالمية مستقبلاً، وذلك من خلال إعداد الفرد لمواجهتها والتعايش معها.
5- تخفيف حدة التناقضات التي ظهرت في القرن الواحد والعشرين والتي من بينها:-

أ- التناقضات بين المستويين العالمي والمحلي، و ذلك بمطالبة الفرد أن يكون عالمياً دون الانفصال عن جذوره.

ب- التناقضات بين المستوى الكلي والخصوصي، و ذلك في كيفية المحافظة على التقاليد والثقافة الخاصة وسط التطورات الجارية.

ت- التناقضات بين التقليد والحداثة، و ذلك في كيفية التجاوب مع التغيير دون التنكر للهوية.

ث- التناقضات بين التوسع الهائل في المعارف، وقدرة الإنسان على استيعابها.

ج- التناقضات بين الروحي والمادي، فالعالم يتطلع إلى قيم وأخلاقيات سامية وهذه مهمة نبيلة للتربية.

6- إن الثورة التكنولوجية الشاملة والقائمة على تدفق علمي ومعرفي لم يسبق له مثيل، يمثل تحدياً للعقل البشري، وهو ما يجعل المجتمعات تتنافس في تحسين جودة نظمها التعليمية (أحمد، 2003).

أهداف تطبيق إدارة الجودة الشاملة

تشير بعض الدراسات السابقة إلى أن الهدف الرئيسي من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، هو العمل على تطوير الخدمات وتحسين المخرجات التعليمية، وتخفيض التكاليف، والوقت والجهد اللازم لكسب رضا العملاء. وتذكر رافدة (2010) إلى أن هناك بعض الأهداف الفرعية الأخرى تتمثل في:-

1- تعليم الإدارة والعاملين كيفية تحديد وترتيب وتحليل المشكلات وتجزيئها، للتمكن من السيطرة عليها.

2- التعرف على احتياجات الزبائن والعمل على تلبيتها.

3- البقاء والاستمرار والتفوق على المنافسين.

ومن خلال كل ما ذكر أعلاه فإن هذه الدراسة تسعى للفت أنظار القائمين على العملية التعليمية لضرورة اعتماد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وخاصة تكنولوجيا الانترنت كخيارٍ استراتيجيٍ لتحسين جودة التدريس في الجامعات الليبية، والوصول بها إلى العالمية، اعتماداً على ما توفره من مصادر تعلمٍ مجانيةٍ تتسم بالحداثة والتنوع، مقارنة بما يتاح في مكتباتنا التقليدية.

الجزء الثالث: الدراسة الميدانية

أولاً/ المعلومات العامة

من خلال الجدول رقم (1) يتبين أن العدد الكلي للمشاركين في هذه الدراسة هو 31 أستاذاً مثلوا ما نسبته 25% من المجموع الكلي للأساتذة بكلية الآداب البالغ 123 أستاذاً، كما ذكرنا سابقاً. كما يتبين أن المشاركين في هذه الدراسة ينتمون إلى تسع أقسام علمية فقط، نظراً لأن قسمي اللغة الفرنسية والخدمة الاجتماعية لا يوجد بهما أساتذة باستثناء رئيسي القسمين في الوقت الحالي. كما يتبين أيضاً أن غالبية الأساتذة ينتمون إلى الدرجتين العلميتين المتمثلتين في محاضر بواقع 15 أستاذاً (48.4%)، ومحاضر مساعد بواقع 9 أساتذة (29%)، بينما ينخفض عدد المشاركين في هذه الدراسة عند ارتفاع الدرجة العلمية، وينعدم عند الوصل إلى درجة الأستاذية. وعند مقارنة نسبة مشاركة الجنسين، يتبين أن غالبية المشاركين ينتمون إلى فئة الذكور بواقع 23 عضو هيئة تدريس مثلوا 74.2% من مجموع المشاركين، في مقابل 8 أستاذات مثلن 25.8% من المجموع الكلي. أما من حيث الفئات العمرية المشاركة في الدراسة، فيتبين أن غالبية المشاركين ينتمون إلى الفئة العمرية بين 35–44 عاماً، حيث كان عددهم 18 أستاذاً مثلوا ما نسبته 58.1% من المجموع الكلى، بينما تأت الفئة العمرية 45–54 في الترتيب الثاني بواقع 8 أساتذة مثلوا نسبة 25.8%، كما هو مبين بالجدول أدناه.

جدول (1) البيانات العامة لأفراد عينة الدراسة

القسم العلمي			الدرجة العلمية			الجنس				الفئة العمرية		
–	ع	%	–	ع	%	ذكر		أنثى		–	ع	%
التاريخ	03	9.7	مساعد محاضر	09	%29	ع	%	ع	%	34-25	04	12.9
اللغة العربية	03	9.7	محاضر	15	%48.4	23	74.2	8	25.8	44-35	18	58.1
الجغرافيا	03	9.7	استاذ مساعد	04	%12.9	–	–	–	–	54-45	08	25.8
علم الفلسفة	03	9.7	استاذ مشارك	03	%9 .7	–	–	–	–	55 فأكثر	01	3.2
المكتبات	06	19.3	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
علم اجتماع	02	6.45	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
اللغة الانجليزية	03	9.7	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
علم النفس	02	6.45	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
الاعلام	06	19.3	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
المجموع	%100=31											

ثانياً/ استخدام الانترنت في التعليم

من خلال بيانات الشكل رقم (1) يتبين أن الغالبية الساحقة من أساتذة كلية الآداب بجامعة طبرق يؤمنون بأهمية استخدام الانترنت في التعليم فقد أجاب 96.7% أنهم يعتقدون بأهمية استخدام الانترنت، وخاصة من أجل الحصول على مصادر التعليم الأكثر حداثةً، حيث أجاب 96.7% منهم بالإيجاب على السؤال.

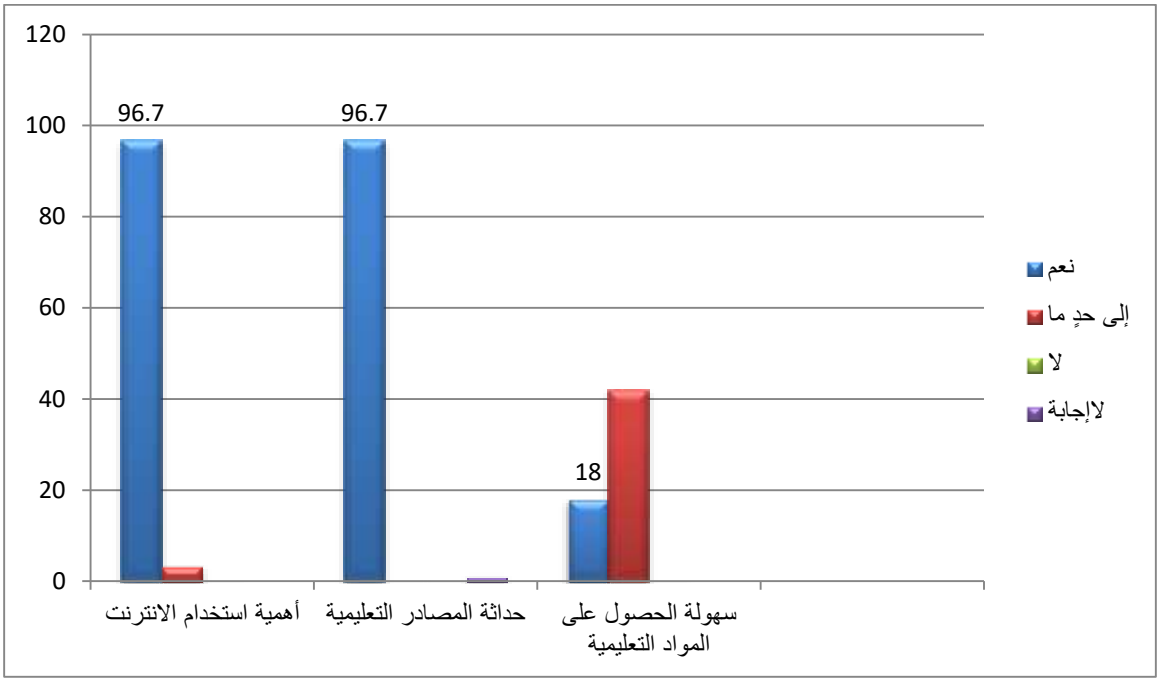

الشكل رقم (1) أهمية استخدام الانترنت في التدريس

وبخلاف هذا الموقف الإيجابي من استخدام الانترنت لأغراض التعليم، فقد تبين أن هناك بعض الأساتذة يواجهون بعض الصعوبات في الحصول على المواد التعليمية من الانترنت. فعند سؤالهم عن هذه النقطة انخفضت نسبة الأساتذة الذين أجابوا بنعم إلى 58%، بينما أجاب 13 أستاذاً بإلى حد ما، مثلوا ما نسبته 42% من المجموع الكلي للأساتذة، ولم تكن هناك أي إجابات توضح طبيعة الصعوبات التي تواجههم في البحث عن المواد التعليمة في فضاء الانترنت. أما أهم المواقع التي يستخدمها أساتذة الكلية، فقد اعتمدت على الطبيعة التخصصية للأقسام وكذلك المواد التعليمية التي يقومون بتدريسها، إلا أن غالبية الأساتذة يتفقون في استخدام محرك البحث قوقل العام Google وقوقل العلمي Google Scholar وبوابة البحث العلمي Research gate، بالإضافة إلى بعض مواقع المكتبات الإلكترونية، مثل مكتبة جامعة القاهرة ومواقع بعض المجلات العلمية، والمنتديات المتخصصة. ومن هنا فإننا نرى ضرورة القيام بدراسات أكثر دقة لمعرفة المواقع المستخدمة في الحصول على مواد التعلم، وكذلك الصعوبات التي تحد من إمكانية الحصول عليها.

كما بينت الدراسة أن نسبة الاعتماد على مصادر الانترنت في التعليم كانت متوسطة، فقد أجاب 45.2% من الأساتذة أن نسبة مواد التعلم المستخدمة في التدريس تمثل حوالي 50% من مكونات المادة التعليمية للمناهج الدراسية التي يدرسونها، كما ذكر 16.1% أن نسبة هذه المواد لا تتعد 25% من مكونات مناهجهم.

وقد كانت وجهة نظر الأساتذة فيما يتعلق بموقف الطلاب من استخدام الانترنت للأغراض التعليمية جيداً، فقد أبدى 77.4% من الأساتذة أن لديهم قناعةً إيجابية بضرورة توجيه الطلاب لاستخدام مصادر معلومات الانترنت، إلا أن نسبة اعتقادهم بامتلاك الطلاب للمهارات اللازمة لاستخدام هذه المصادر وتقييمها والتعلم منها جاءت منخفضة حيث أجاب الغالبية وهم 16 أستاذاً مثلوا نسبة 51.6% بإلى حدٍ ما عن هذا السؤال، ولم تتعد نسبة من أجابوا بالإثبات 9.7% فقط، بينما كانت نسبة من أجابوا بلا 38.7%. أما ما يخص تأثير الانترنت على طرق إدراك المادة التعليمية، فقد أجاب 15 أستاذاً يمثلون 48.4% من مجموع الأساتذة بنعم، وبنفس العدد والنسبة بإلى حدٍ ما على هذا السؤال مما يعني أن هناك توافقاً عاماً مفاده الإحساس بالتغيرات العامة التي تحدثها تكنولوجيا الانترنت في طبيعة فهم المواد التعليمية. وعند سؤال الأساتذة عن تقييمهم لتجربة استخدام برامج الانترنت في التدريس، أجاب 48.4% أنها جيدة، بينما أجاب 41.9% بأنها جيدة إلى حدٍ ما، ولم تتعد نسبة من أجابوا بأنها غير جيدة 9.7% من المجموع الكلي للأساتذة.

ثالثاً/ فرص التعلم

كما أظهرت الدراسة أن الانترنت قد ساعدت في منح فرص تعلم أكثر نفعاً. فقد تبين أن معظم الأساتذة يتفقون أن الانترنت قد منحتهم فرصة التعلم عن بعد بواقع 84% من أفراد العينة المشتركين في الدراسة. ويأتي في المقام الثاني فرصة التعلم بشكلٍ فرديٍ، فقد بينت الدراسة أن 77.4% من الأساتذة المشاركين في الدراسة يفضلزن هذه الميزة من وراء استخدام الانترنت لمعالجة أوضاع التعلم الفردي. أنظر الجدول رقم (3).

جدول (2) فرص التعلم باستخدام الانترنت

فرص التعلم	نعم		إلى حدٍ ما		لا		لا إجابة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
التعلم الفردي	24	77.4	7	22.6	–	–	–	–	31	100
التعلم الجماعي	13	41.9	17	54.8	1	3.3	–	–	31	100
مشاركة المواد التعليمية	18	58	12	38.7	1	3.3	–	–	31	100
التعلم عن بعد	26	84	3	9.6	0	0	2	6.4	31	100

وعند سؤال الأساتذة عن تأثير تعلم اللغة الإنجليزية أو أي من اللغات الأجنبية الأخرى في استخدام تكنولوجيا الانترنت للأغراض التعليمية، كانت معظم الإجابات بالإثبات، حيث أجاب 26 أستاذاً، مثلوا نسبة 84% بنعم، وأجاب 9.7% بإلى حدٍ ما، في حين امتنع إثنان عن الإجابة. أما فيما يتعلق باستخدام المواد التعليمية الأجنبية، فقد تبين أن غالبية الأساتذة يعانون إلى حدٍ ما من أعباء ترجمتها بواقع 64.5%، بينما كانت نسبة المقرين بإضافة أتعاب الترجمة 25.8%، ولم يجدها سهلة سوى 9.7% من الأساتذة فقط.

رابعاً/ التواصل العلمي

أظهرت الدراسة أن الانترنت تلعب دوراً محورياً في زيادة فاعلية التواصل العملي. فقد أفاد 93.6% من الأساتذة أن الانترنت تزيد من التواصل والتعاون بين الأساتذة والطلاب وبين الطلاب أنفسهم. كما أظهرت أن 51.6% من الأساتذة يرسلون من حين لأخر محاضراتهم عبر وسائل التواصل التي تتيحها خدمات الانترنت، بينما كانت نسبة المنتظمين في التواصل عبر الانترنت 32.3%، ولم تزد نسبة غير المستخدمين عن 16.1%. كما يرى 74.2% من الأساتذة أن خدمات التواصل عبر الانترنت قد ساعدت على تخطي حواجز الاتصال المجتمعي بين الأساتذة والطلاب وبين مجموعات المتعلمين فيما بينهم. كما أظهرت الدراسة أن 64.5% من الأساتذة قد سبق لهم استخدام البريد الإلكتروني للأغراض التعليمية، وأن 54.8% منهم قد استعملوا وسائل بث الصوت والصورة، وأن ما نسبته 38.7% يستخدمونه في بعض

الأحيان. كما أظهرت الدراسة أن 35.9% من الأساتذة يستخدمون وسائل اتصال الانترنت لإدارة مجموعات النقاش، وأن 41.9% منهم يستخدمونها من وقت لأخر، بينما بلغت نسبة من لم تكن لهم أي تجربة سابقة 22.6%. كما بينت الدراسة أيضاً أن الأساتذة يميلون إلى استخدام أساليب التواصل الجماعي لأغراض التعليم، فقد ذكر ما نسبته 48.4% من الأساتذة أنهم يفضلون الاتصال الجماعي بمجموعات المتعلمين. كما أظهرت الدراسة أن الاتصال الفردي بالمجموعات يأت في المقام الثاني بواقع 38.7%، بينما كان الاتصال الفردي (فرداً بفرد) أقل أنواع الاتصال تفضيلاً، حيث مثل نسبة 22.6% فقط.

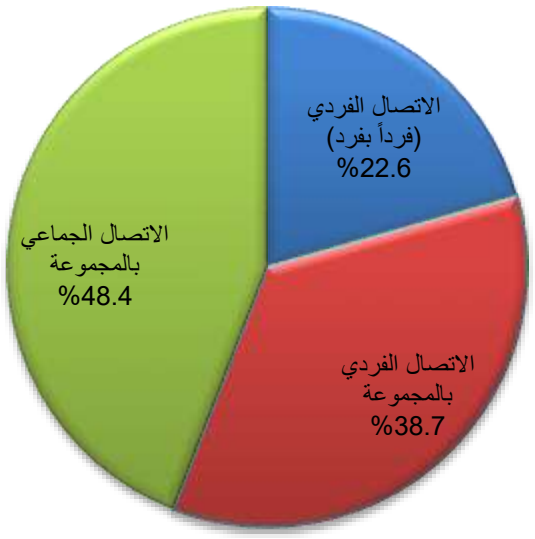

الشكل رقم (2) نوع الاتصال المفضل

خامساً/ جودة التعلم

من خلال استطلاع أراء الأساتذة عن طبيعة الفوائد المتحصل عليها من استخدام الانترنت في تحسين جودة التعليم، تبين أن معظم الأساتذة ولو بنسب متفاوتة يؤمنون بأن تكنولوجيا الانترنت تزيد من جودة العملية التعليمية، فقد أجاب 71% منهم بنعم، والبقية 29% بإلى حدٍ ما. أما فيما يتعلق باستثمار وقت الأساتذة، فقد تبين أن 74% من الأساتذة يعتقدون بأن استخدام الانترنت يساعدهم في تقليل الوقت

اللازم لإعداد المواد التعليمية وإيصالها للطلاب. ويبدو أن نسبة كبيرة من الأساتذة تعتقد أن تكنولوجيا الانترنت ساعدتهم في رفع مستوى التنافسية في التعليم، فقد بلغت نسبة المجيبين بنعم 41.9%، والمجيبين بإلى حدٍ ما بنفس النسبة.

جدول (3) فوائد استخدام الانترنت

فوائد استخدام الانترنت	نعم		إلى حدٍ ما		لا		لا إجابة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
زيادة الجودة	22	71	9	29	–	–	–	–	31	100
استثمار الوقت	23	74	6	19.4	1	3.3	1	3.3	31	100
رفع مستوى التنافسية	13	41.9	13	41.9	4	12.9	1	3.3	31	100

كما تم استطلاع الأساتذة عن حاجتهم لوجود مختصين في تكنولوجيا التعليم لتقديم الدعم الفني والتعليمي، وقد أبدى الجميع رغبةً في الحصول على هذه الخدمات، فقد أجاب 87.1% بنعم، 12.9% بإلى حيدٍ ما. كما عبر الأساتذة أيضاً عن رغبتهم في الحصول على برامج تدريب حديثة تزيد من فرص استثمار تكنولوجيا الانترنت في التعليم، حيث أجاب 96.7% بنعم و 3.3% بإلى حدٍ ما. وأخيراً، أكد غالبية الأساتذة على أن الانترنت تغير من قيم وأخلاقيات التعليم، حيث أجاب 54.2% بنعم، و22.6% بإلى حدٍ ما، بينما لم يعترض سوى 9.7%.

سادساً: التحديات التي تواجه استخدام الانترنت لغرض التدريس

أظهرت الدراسة أن هناك عدداً من التحديات التي تضعف من الاعتماد على تكنولوجيا الانترنت في التدريس أهمها:-

1. ضعف البنية التحتية للاتصالات

أظهرت الدراسة أن معظم القضايا التي تحد من استخدام تكنولوجيا الانترنت في التدريس تتعلق بنقص الإمكانيات المادية وضعف وسائل الاتصالات، ونقص الخدمات الأساسية. فالمشكلة الأساسية تتعلق

بالانقطاع المتكرر للتيار الكهربائي، على الرغم من توفر مولد كهرباء بالجامعة. إلا أن الأمر قد كان له تأثير سلبي على الموقف من استخدام الانترنت في التدريس. كما أن ضعف بنية الاتصالات التحتية، ورداءة جودة خدمة الانترنت، وعدم إتاحتها على نطاق واسع قد كان له تأثير سلبي على استخدام الانترنت لهذا الغرض. بالإضافة إلى ذلك فإن نقص بعض الإمكانيات المادية والوسائل التعليمية الحديثة، ونقص البرامج التي تساعد على الاستخدام التعليمي لتكنولوجيا الانترنت في التدريس، قد قلل من اهتمام الأساتذة باستخدام الانترنت لهذا الغرض.

2. ضعف تجربة استخدام الانترنت لأغراض التدريس

أظهرت الدراسة أن نقص خبرة استخدام الانترنت لأغراض التدريس، وتدني الوعي بكيفية استخدامها، قد أثرا سلباً على تجربة الاستخدام. كما أن غياب البرامج التثقيفية التي تحفز الأساتذة والطلاب على استخدام برامج التعليم عن بعد، بالإضافة إلى اعتماده كوسيلة رسمية للتعليم الجامعي كان له الأثر السلبي أيضاً. كما أن بعض الأساتذة قد ذكر أن عدم وجود قاعدة متينة للاستخدام ووضع برنامجٍ واضحٍ، بالإضافة إلى توفر قاعدة بيانات للمصادر التعليمية، وكذلك غياب برامج التقييم والتغذية الراجعة، قد كان له أثرٌ سلبيٌ على تجربتهم في استخدام الانترنت للتدريس.

3. نقص برامج التدريب والدعم الفني

أشار عدد من أعضاء هيئة التدريس إلى أن نقص برامج التدريب الجيد على استخدام الانترنت لغرض التدريس، وعدم وجود واعتماد برامج التطوير الذاتي لتحسين مهارات استخدام الانترنت في التدريس قد كان أحد الأسباب التي قللت من استخدام الانترنت.

4. عوامل أخرى

أشار بعض الأساتذة ولكن بأعدادٍ قليلةٍ جداً إلى أن عدم توفر التراخيص والاشتراكات في قواعد البيانات، ومواقع الانترنت العالمية المتخصصة من أجل الحصول على المواد التعليمية الحديثة، وكذلك ضعف مستوى

استخدام اللغة الإنجليزية، وقلة رغبة بعض الأساتذة، كلها عوامل لا تشجع على استخدام الانترنت للغرض الذي تمت دراسته.

النتائج

1. أوضحت الدراسة أن الغالبية الساحقة من أساتذة كلية الآداب بجامعة طبرق، يؤكدون على أهمية استخدام الانترنت في العملية التعليمية بنسبةٍ مرتفعةٍ بلغت 96.7%؛ نظراً لحداثة المعلومات التي يحصلون عليها.
2. بينت الدراسة أن نسبة مشاركة مواد الانترنت في محتوى المواد التعليمية بلغ 50% مما يدرسونه.
3. أكد الأساتذة على أن الانترنت تلعب دوراً محورياً في زيادة فعالية التواصل العلمي بين الأساتذة والطلاب، وبين الطلاب فيما بينهم، حيث بلغت نسبة المجيبين بنعم 93.6% مجموع الأساتذة.
4. أكد 74% من الأساتذة على أن استخدام الانترنت في إعداد المقررات الدراسية يقلل الوقت اللازم والجهد المبذول في إعداد المواد الدراسية.
5. يتفق أغلب أفراد عينة الدراسة على نقص برامج التدريب الجيد، وكذلك مهارات استخدام الانترنت لأغراض التدريس والتعليم.
6. أظهرت الدراسة أن ضعف البنية التحتية للاتصالات، وعلى رأسها نقص الأجهزة التقنية المستخدمة في التعليم وضعف خدمة الانترنت، بالإضافة إلى قلة الخبرة في استخدام الانترنت لأغراض التدريس، قد قلل من استغلال تكنولوجيا الانترنت في تحسين جودة التدريس بالكلية.
7. أخيراً، أظهرت الدراسة أن هناك نقصاً في برامج التدريب على استخدام الانترنت لأغراض تحسين جودة التدريس، ونشر ثقافة الاستخدام، بالإضافة إلى مجموعة من العوامل الأخرى قد أثرت سلباً على تجربة الاستخدام.

التوصيات

* العمل على تحسين مستوى إتاحة شبكة الانترنت، وتوفير خدمة سريعة بأسعار مناسبة للأساتذة والطلاب ليتسنى لهم اعتماد وممارسة برامج التعليم عن بعد، وخاصة في المناطق البعيدة.
* الاعتماد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في جميع المجالات المتعلقة بالعمل الأكاديمي، وخاصة في العملية التعليمية، اختصاراً للوقت وتوفيراً للجهد، وتحسيناً لجودة المخرجات.
* نشر وتوسيع ثقافة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأوساط الأكاديمية، وتلافي الأخطاء السابقة، وتذليل الصعاب أمام استغلالها.
* العمل على نشر ثقافة استخدام الأدوات والبرامج والتطبيقات التكنولوجية المصاحبة في العملية التعليمية، وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل الاتصال الفردي والجماعي.

المصادر

1. Agnawe, M. A. (2013) An investigation into the influence of cultural dimensions on the use of the Internet by Libyan academics. PhD thesis. Information School, Sheffield University.
2. Khan, M.A., Omrane, A., & Rodriguez, A. M. (2017). A Theoretical Analysis of Factors Influencing the Decision of Faculty to Use Educational Technologies in the Context of Institutions of Higher Education. Advances in Social Sciences Research Journal, 4(1) 147-16
3. Kireev, B., Zhundibayeva, A. & Aktanova, A. (2019). Distance Learning in Higher Education Institutions: Results of an Experiment. *Journal of Social Studies Education Research, 10* (3), 387-403. Retrieved October 12, 2020 from https://www.learntechlib.org/p/216453/.
4. Law, N., W.J. Pelgrum, C. Monseur and R.E. Anderson (2008). "Study design and methodology" in N. Law, W.J. Pelgrum and T. Plomp (eds.) (2008). *Pedagogical Practices and ICT Use Around the World: Findings from an International Comparative Study*. CERC Studies in Comparative Education. Hong Kong: Comparative Education Research Centre, University of Hong Kong and Dordrecht: Springer.
5. Mojca Ciglarič, Tone Vidmar (2004) Use of Internet Technologies for Teaching Purposes. European Journal of Engineering Education.

6. S.G.N.Eze (2009) Features of quality education. https://www.researchgate.net/publication/317570906_FEATURES_OF_QUALITY_EDUCATION/link/594065b10f7e9ba171b2447d/download
7. Saeedullah Jan, Abid Hussain, Muhammad Ibrahim, Sarah Saeed, (2018) Use of internet by the teaching faculty of Peshawar Medical College, Peshawar, Khyber Pakhtunkhwa, Pakistan. https://d1wqtxts1xzle7.cloudfront.net/56568429/Use_of_internet_by_the_teaching_faculty_of_Peshawar_Medical_College__Peshawar__Khyber_Pakhtunkhwa__Pakistan.pdf?1526359123=&response-content-disposition=inline%3B+filename%3DUse_of_internet_by_the_teaching_faculty.pdf&Expires=1602538599&Signature=OP4aPou6-MFUsJF2BhG68l9Jx8gijXfCF2cju80Pnbyho8cwq2Glq4bxt3q-RnAfXnwSgU8qp6vzGUODS7z5mAssMbmgfqoXjVszAEzyuFjWzAzqq7DSztlWnd3FdRznnB7LHu0ToLgKaBizwENv6Pp12vA8Rpzbuj9r92EPa8u9UY3f1rQYFF7ezVclegPTGg3J-WVU4Gz9-KvuUxafNMbuZUo1kAuPrA8G6yXMF24qvAOpVR4A5xJmafG2tjlh3iC8YVY~DDdLK7bibMszi7XREHOP1RpDTbmHt2UM6Z500Pi9A3TISKMR4dD8d5aguX5FOMhGn3Z8qyzsZtyn1w__&Key-Pair-Id=APKAJLOHF5GGSLRBV4ZA
8. أحمد إبراهيم أحمد (2003) الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية. الأسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
9. بلغيث، سلطان (2015) واقع استخدام الإنترنت في الجامعة : دراسة ميدانية بجامعة تبسة-الجزائر. مجلة شؤون اجتماعية. المجلد 32، العدد 126 (30 يونيو/حزيران 2015)، ص ص. 43-76، 34ص.
10. رافدة عمر الحريري (2010) القيادة و إدارة الجودة في التعليم العالي. عمان: دار الثقافة للنشر و التوزيع.
11. محسن عبد الستار محمود عزب (2008) تطوير الإدارة المدرسية في ضوء معايير الجودة الشاملة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

12. معهد اليونسكو للإحصاء. دليل لقياس تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم (2009) متاح على الرابط: http://uis.unesco.org/sites/default/files/documents/guide-to-measuring-information-and-communication-technologies-ict-in-education-ar.pdf

13. منظمة التعاون االقتصادي والتنمية (2007) تقديم المعرفة دون مقابل: نشوء المصادر التعليمية المفتوحة. باريس: منظمة التعاون االقتصادي والتنمية.

14. اليونسكو (2002) منتدى تأثير المناهج الدراسية المفتوحة للتعليم العالي في الدول النامية، التقرير النهائي. باريس، 5 – 3 يوليو 2002.

15. اليونسكو (2012). إعلان باريس الخاص بالمصادر التعليمية المفتوحة http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/WPFD2009/Arabic_Declaration.html

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

البيواتيقا من منظور العلم

د. إبراهيم حسين إبراهيم الشريف

أستاذ مشارك بقسم الفلسفة، جامعة بنغازي

العدد: الأول

يناير 2020

المستخلص

واكب العلماء مسيرة العلم التقني المعاصر محاولين الارتقاء بالبشرية نحو الأفضل ، مستخدمين أحدث التقنيات في تحسين النسل البشري ، إلا أن هذه التقنيات المعقدة تسببت في إحداث تغيرات جذرية في طبيعة الكائن البشري .

لقد لوحظ إن التقدم المستمر في علوم الحياة ، مكن العلم اليوم من تحديد الخلايا المسؤولة عن عدة وظائف في جهازه العضوي ، بل تعداه إلى معرفة المورثات المسؤولة عن الأمراض الأكثر تعقيدا" .

دعا هذا التدخل الفني الفلاسفة إلى استحداث مصطلح البيواتيقا لمعالجة الخلل في تلك التطبيقات العلمية ونقدها إن أمكن لهم ذلك نقدا" بناءا " باعتباره كما يري الفلاسفة بوصلة تحدد اتجاهات العلم نحو السلوك الإنساني للوجهة الصحيحة لمسار العلم التطبيقي ، وإن البيواتيقا تعمل في ذات الاتجاه لضبط سلطة العقل البشري للنظر في حدود التحكم والسيطرة العلمية وأثاره علي الوجود الإنساني.

Abstract

Scientists have kept pace with the march of Contemporary technical Science , trying to improve humanity to the best , using the latest technologies to the improve human reproduction but these Complex technologies have Caused radical Changes in the life Sciences has enabled Science today to identify the cell.

Responsible for several functions in its Organic system , but rather to Know the genes responsible for more Complex diseases . " This technical intervention Called on philosophers to introduce the term Biotaga to address the defect in those scientific applications and Critiquing it , if possible , Constructive Criticism , " as the philosophers See a Compass that determines the directions of Science towards the human behavior of the Correct direction of the path of applied Science , and that the powers work in this direction to Control the authority of the human mind to Consider the limits of Scientific Control and Control and its effects on human existence .

المقـــــدمة

أخذت البيواتيقا وجهتها من الفحص العقلي لنتائج التطبيقات التقنو علمية علي الحياة بوجه عام. ومن ثم فهي تتجه إلى البحث عن المعايير القيمية التي يجب مراعاتها في هذه التطبيقات ، فقد تمكن العلماء من فصل وإعادة جمع مكونات الجينوم البشري ، مما فتح المجال أمام العلماء البيولوجيين لممارسة التدخل المباشر علي الخلايا الجينية من خلال عملية التحوير والانتقاء .فعندما يُشرع في بناء أنظمة حية وإدخالها مرحلة البحُوث الفعلية التنفيذية فيجب علينا كفلاسفة معرفة إبعادها الإتيقية علي حياة الإنسان وصحته.

هنا تكتمل الصورة في الحكم إذا كان هناك تناقض بين تطور العلم وتطبيقاته ، والنقد المعياري لمساره ، هذه الرؤية الفلسفية الثاقبة تجعلنا نتسأل : . ما المدى الذي قد يفسحه هذا النقد الفلسفي لتقدم قادم للعلوم؟

مفهـــوم الأخـــلاق وظهـــور مصطلح البيواتيقا

ساد الاعتقاد في العصر الحديث إلى حد بعيد أن الفلسفة تهتم بدراسة المشكلات الميتافيزيقية، كما اعتقد في الفترة المعاصرة لدى البعض ، أن مهمتها تقتصر علي التحليل اللغوي .

لقد سعى التحليليون إلى حصر الأخلاق في مجال ضيق أطلقوا عليه اسم ، ما بعد الأخلاق ، وبالتالي لم تعد الفلسفة في نظرهم ذلك الكل المنظم لمعتقداتنا في إطار نظريات شاملة ، وإنما تركز علي تحليل الألفاظ ، ومعرفة مدى مطابقتها للواقع . وهذا يعنى من دون شك، قصر الفلسفة علي وضع نظريات أخلاقية ذات طابع تطبيقي (أخلاق عملية) ، ولذا ، كانت في التاريخ وجهتا نظر في تأسيس الأخلاق : -

*وجهة تؤسس الأخلاق على الدين ، "خصوصاً" في الديانات السماوية (اليهودية _ المسيحية _ الإسلام).

*وجهة تؤسس الأخلاق على العقل البشري ، ليس فقط لأجل فطرته القادرة على التمييز بين الخير والشر ، بل كذلك قدرته على الارتقاء من هذا التمييز إلى التنظير العقلي . " (الجابري، 2003)

وبالتالي إرجاع الأخلاق إلى مبدأ يؤسسها ، مبدأ متعال مثلما نجد ذلك عند أفلاطون ، وحتى كانط من خلال إجالته عن السؤال ، ما الذي يجعل الأخلاق ممكنة ؟ وكيف نجعـل من القيم الأخلاقية قيما كلية مثل القوانين العلمية ؟ .

إن قواعد الواجب في العقل العملي ، توازي القوانين في العقل النظري . فنظرية الأوامر المطلقة كأساس للأخلاق ، هي دعوة من الفيلسوف كانط للفصل بين العلم والأخلاق ، كما أنه عمل على تخليص الأخلاق من قيود المسيحية ، وجعل الأخلاق أساس الدين ، بدلا من أن يكون هو أساسا" لها . " (الجابري، 2003)

إلا أن التطور العلمي والتكنولوجي ، في جميع المجالات خاصة منهـــا البيولوجية الطبية ، أثار تساؤلات فلسفية حول القيمة الأخلاقية للتقنيات الطبية ، دفعهم إلى وضع قواعد أخـــلاقية تقترب أكثر من الواقع ، تعمل علي حل المشكلات التي يواجهها المجتمع ، وقد أطلق على المهتمين بهذا المجـــال اسم الفلاسفة الأخـــلاقيين Philosophes Moralistes يترتب عـــن هـــذا ، ظـــهور الأخلاق بمظهر جديد وبطبيعة جديدة من خلال اتصالها بالواقع جعل منها أخلاقا عملية . كـــانت دعوة بعض الفلاسفة والعلماء إلى إخضاع العلوم ومنتجاته للقيم والمعايير الأخلاقية ، مظهرا من مظاهر " دعوة الأخلاق " ، فالتساؤلات ذات الطابع الأخلاقي ، المتولدة عن الإحـــراج والتحدي الناتجين عن ذلك التطور المذهل الذي شهده العلم في الآونة الأخيرة هو دليل على ذلك . ويبدو أن ما حصل في الحقيقة عكس ما كان حاصلا" في القرن الماضي ، حين كانت بعض النزعات في أوروبا تنادي بتأسيس الأخلاق علي العلم . وذلك من خلال إثارتها لمشكلة قديمة ، وهي " مشكلة أساس الأخلاق " ومحاولة الإجابة عن السؤال :

علام تستند القيم الأخلاقية في مشروعيتها ؟ .

إن المقصود بالأخلاق هنا ليست تلك العادات والأعراف أو ما يصدر عن الطبيعة البشرية بل المقصود بها هنا الخير والشر ، وما يتفرع عنهما من قيم تشكل الضمير الخلقي الفردي أو الجمعي . " (الجابري، 2003)

ما يهم هنا هو أن الأخلاق ترتبط ارتباطا وثيقا" بالفلسفة ، بل كانت والحكمة قيمة أخلاقية ، وهي الخير .

لقد اتسع مفهوم الأخلاق بحيث أصبحت لا تستند إلى دعامة صورية بل غدت إرشادا أو اختيارا معززا" بالوقع وتتعلق أكثر بالعلوم " (غريس، 1981)

لقد بدأ التساؤل فيما إذا كان العلم مؤسسة تعمل لصالح الفرد والمجتمع . أم يحمـــل تأثيرا سلبيا علي حياة ومستقبل الإنسان، ومن هذه التساؤلات نشأ نوعان من الأخلاق : **أخـــــــلاق الثقة، وأخـــــــــلاق الخوف.**

أمـــا **أخـــــــلاق الثقة:** فهي ناتجة عن تطور العلم الذي يقدم للإنسان في كل مرة مختلف الوسائل التي تخفف عنه متاعب الحياة ، والأكثر من هذا الارتقاء به إلى المستوى الحضاري وبالتالي تخليصه من الوحشية والهمجية التي كان يتصف بها .

أمـــا **أخـــــلاق الخـوف:** فهي ناتجة عن الآثار السلبية التي يمكن أن يحدثها التطور العلمي ، والأكثر تأثيرا منها البيولوجي والطبي . إن العالم منشغل بالتقنية وبتطبيقاته ، وهذا جعل منه قليل التساؤل حول ما يمكن أن ينجم في المستقبل عن القرارات التي يتخذها . إنه متقوقع في مجال القضايا التي تحتاج إلى السرعة في الإنجاز ، وليس في مجال نظرية القيم نفسها ، حتى تكون له لغة أكثر فلسفية .

بهـــذا التحليل للقيم الأخلاقية يمكن القول أن للفلسفة اليوم طالع مغاير تمام لما هو في السابق، فقد جعلت الفلسفة لنفسها أهمية خاصة أكثر من أي وقت مضيء ، لأنها تهتم بالمستقبل ، تهتم بما تعده العلوم ، وهذا يصدق أكثر علي البيولوجيا ، فالعالم على ما يبدو لا يستطيع تقرير مـــا ينبغي فعله ، أو ما لا ينبغي أن صح التعبير فهو لا يختار في مجال القيم .

إنها مهمة الفيلسوف متمثلة في صنع نوع التفكير حول البيولوجيا ، أو بسط نوع من النفوذ خاص بالبيولوجيا التي تخبرنا بما هو مسموح به ، وبما هو غير مسموح . إن مبدأ الاحتياط له قيمة فيالفلسفة ، في مجال الحياة ." (rubrique, 2006)

ولذا نجد من أهم المجالات التي أثيرت فيها هذه التساؤلات . مجال البيولوجيا والطب لما لهما من تأثير علي حياة الفرد والمجتمع من جهة ، والمفاهيم التي تقدمها حول الإنسان والحياة والمـــوت من جهة أخرى ، وهى مفاهيم كانت ولا تزال تشكل محور نقاش فلسفي حاد . ولعل من بين هـذه المفاهيم الجديدة ، **تلك التي تتعلق بالبيواتيقا** .

فمن خلال المناقشة الدائرة حـــول القيمة الأخلاقية للممارسـات العلمية الطبية ، والتطبيقـــات البيولوجية الطبية اللاإنسانية ، جعل مصطلح البيواتيقا* يبدأ بالظهور ، أما الدافع الثاني فيتعـــلق بالاهتمامات والتساؤلات الجديدة التي يطرحها التطور الطبي ، وهذا أدي إلى الشـــك في كـــل الأفكار التي بنيت وبشكل تام ، حول الحياة والموت والكائن الحي الإنساني ، وهي من غير شك من أهم المسائل الفلسفية في تاريخ الفلسفة . (Douce, 2006)

إن آثار الاختراعات ، ينبغي أن تؤخذ إذن بعين الاعتبار من طـــرف الفيلسوف حتى يتم وضع تصور وخلق مستقبل أفضل ، وذلك باحترام القيم الأساسية ، وهذا يبين مـــن دون شك أن مفهوم الأخلاق قد تغير بفعل هذا التطور ، فلو تأملنا مسألة التقييم الأخـــلاقي للتقنيات ، لوجدنا فيه تلك الدعوة إلى ربط الأخلاق بالواقع كدعوة ربط الفلسفة كذلك بالواقع .

إن التطورات التي شاهدتها علوم الحياة والعلوم الطبية ، أدت من دون شك إلى إحيـــاء الفلسفة ، بحيث أصبح لها دور فعال في المجتمع ، مثلها مثل بقية العلوم ، حتي أصبح القرن الحالي يعرف **بقرن الأخلاق العملية** ، فرضتها طبيعة المشكلات التي أصبح يواجهها الإنسان في حياته ، والتي لا يجد لها ردا إلا من خلال التفكير الفلسفي .

البيواتيقا ميزان العلم التطبيقي

البيواتيقا تعنى البحث في القواعد الأخلاقية التي تحكم الممارسة التطبيقية في مجالات الوجود الإنساني،إنها حالة من التصور الديونطولوجي الذي يعني إحصاء مجملا للواجبات التي يجبالالتزام بها في وضع من الأوضاع المهنية . فالبشرية اليوم تعيش في عصريتطلب وجود أخلاق،فإذا كانت الإشكاليات التقنية وصلتها بالقيم تزداد بتزايد العلوم التطبيقية، فلابد من تزايد الأيديولوجيات الفلسفية الأخلاقية لمواكبة التقدم السريع في تلك التقنيات العلمية ،تلك القيم" التيتبين لنا ماينبغي علينا فعله" (يرغنهابرمار، 2010)

*البيواتيقا تعد فكراًأخلاقياً من فروع الفلسفة وتسمى بمصطلح الإكسيولوجيا (مبحث القيم) .

لذا فأخلاق البيوايتيقية جزء من الفلسفة،وهي فرع من مبحث القيم

إن البشرية بحاجةإلى أن تعرف الذي ينبغي عليها فعـــله، فالتقنية مـــا فتأت تخترق مجالات جديدة، كانت فيما مضي بعيدة كل البعد عن التفكير البشري، وبالتالي من غير الممكن الاعتماد على الفكرالأخلاقيا لكلاسيكي، لأنه عاجز عـــن استيعاب وإيجاد الحلول للمسائل التي تطرحها التقنية، لذلك كانت الأخـــلاق التطبيقية حاجـــة ملـــحة وضرورية داخل ميادين العلم المتعددة، " لأن كل ممارسة تستلزم اللجوء إلى معايير أو مبادئ تستهدف إنارة العمل (روس، 2010)

ويرى فلاسفة البيواتيقا، إن الأخلاق التطبيقية ماهي إلاأخـــلاق نظـــرية مُترجمة على أرض الواقع، وهذا المزج بين التنظير والتطبيق، هو الذي يحول دون تحول الأخـــلاقا لتطبيقية إلى " علم واجبات " ، أي جملة القواعد المهنيةا لتي ينبغي التحلي بها داخل اللجان العلمية المتخصصة، والتي غالبا" ماتكون موضوعة على شكل مدونات سواء تعلق الأمر بالطب أو البيولوجيا .

وهنا يظهر التساؤل الذي تطرحه " جاكلينروسو " في كتابها (الفكر الأخلاقي المعاصر) ، حول طبيعة " منظري الأخلاق التطبيقية ، هل هم حكماء أم منظري علم الواجبات؟ ." (حسن، 1979).

ولكي لا تسقط الأخلاق التطبيقي في فخ النزعة العلموية، التي تحتكم إلى قواعد الربح والنجاح، وإلى الإيمان المطلق بقدرة العلم على إيجاد الحلول لمختل فمشاكل الحياة اليومية، ينبغي أنتكون هنا كلجان مشتركة يشارك فيها الجميع، من رجل العلم، والدين، والفلسفة والقانون ... الخ . لأن العمل المشترك هو الوحيد القادر على أن يزودنا " بمصادر مقاومة تمكننا من مواجهة الواقع المحيط " (يرغنهابرمار، 2010).

فالمسؤولية اليوم هي مسؤولية جماعية، تتطلب مناقشة ذات طابع عملي، قصد التأسيس لأخلاق كلية ذات بعد عقلاني . هكذا يرى الفيلسوف الألماني هابر ماس لكن هذا يبعد الفكر بعيداً عن الأحكام والمعايير القيمية الصارمة لمخرجات الأديان وأحكامها الأخلاقية الداعية إلى رفض الموضوع أو التحفذ عليه إذا كان يمس الطبيعة البشرية .

لأنه يخالف العقيدة ويشوه القيم الأخلاقية للمجتمعات، لهذا لجاء هابر ماس إلى قول " كل ما هو عقلي واقعي، وكل ما هو واقعي عقلي" (يرغنهابرمار، 2010) يشترك فيها الكل، وتلقى القبول من الكل، في ظروف تتميز بالحرية، وتتضمن مناقشة ذات طابع عملي يُمكنه من إرساء معيار صالح أو أن يثبت صلاحته، فالمعايير الصالحة لاتوجد أصلا وما يوجد فقط هو ذلك الشكل الذي يُمكن من خلاله القول بأنها تتمي بالصلاحية . لهذه الرؤى البيواتيقية في العلم، أحيانا" تُرى الحقيقة ليست واحدة، وإن الذي اعتقدنا في لحظة ما نه يمثل الحقيقة، يمكن أن يتحول إلى اللاحقيقة، فكل شيء يقوم على أساس الحُجة الأقوى التي تصمُد أمام سهام المناقشة النقدية . فإتيقا المناقشة تود بالفع لأن تثبت بأن الديناميكية المحصلة مبنية على أساس من البحث المتبادل الموجه لتبني رؤية الآخر ومن ثمة إدماجها داخل الافتراضات التداولية للمناقشة العملية ذاتها" (الرحمن، 2000). قصد التأسيس لخطاب عقلي قائم على الحوار والاتفاق .

تسمية مصطلح البيواتيقا ومراحل نشأتها

ظهر مصطلح البيواتيقا في سبعينيات القرن العشرين ، وفي بدايات ظهور النشأة لم يجرى داخل الحقل الفلسفي ، بل كانت الممارسة التطبيقية العلمية هي موقع مولده.

مؤسس المصطلح وناحته الطبيب الأمريكي فان روسلاير بوتر Van Rensselaer Potter ، طبيب السرطان الأمريكي ، لاحظ أن المسائل الأخلاقية تنبثق مباشرة وتباعا" عن الممارسات التقنية والبحثية الخاصة بالبيولوجيا والطب ، وقد أنتبه إلى أن التطور الوضعي للعلم ، لأبد أن يواكبه تفكير أخلاقي يتمثل في المراقبة الدائمة لممارسات العلم علي الكائن الحي " (بوحناش، 2013) هذه الصلة جعلت من البيواتيقا مسارا جديدا يعيد ربط العلم بالفلسفة بعدما تم الفصل بينهما فصلا تاما" .

هنا يفرض علينا دقة المصطلح سؤال يُعنى بمعرفة حقل البيواتيقا مفاده : _ هل البيواتيقا مراقبة أخلاقية لمسار العلم في ممارساته الطبية والبيولوجية بالنظر للتطبيقات التقنية التي أستلزمها التطور العلمي عموما" ؟ . من الوجه العامة يرى فلاسفة العلم أن : ـ حقل البيواتيقا يعنى حقل الموت والحياة |، والصحة والمرض ، نوعية الحياة والألم ، إنه حقل أمتثل للتطورات البيوطبية وتطبيقاتها. (بوحناش، 2013)

تعبر إذن البيواتيقا عن اهتمام علمي وفلسفي ، ولكنها قبل ذلك هي ظاهرة اجتماعية مكنت منها التطبيقات التقنوعلمية علي الكائن الحي ، وعلى الرغم من أن السؤال الفلسفي والإيتيقي قد أنبثق عفويا"

داخل حقل العلم التقني إلا أن العلوم البيوطبية قد اختصت أكثر من غيرها بالمساءلة الأخلاقية ، ولعل السبب الأول في ذلك هو اعتناؤها بالحياة الإنسانية ، وكذا طرحها الاهتمامات السيكولوجية والأخلاقية والاجتماعية التي تؤلف محيط هذه الحياة .

وهكذا يكون مصطلح البيواتيقا مصطلح منحوت داخل عالم الأبحاث الطبية والبيولوجية وتطبيقاتها التقنية ، وتنقسم كلمة البيواتيقا إلى شقين ، بيوس Bios : ومعناه الحياة وفق الدلالة اليونانية إيتيقا Ethikos وهي الأخلاق وفق الدلالة اليونانية أيضا" ، وهو مصطلح ورد في مقالة كتبها طبيب السرطان الامريكي فان روسلاير بوتر وعنوانها (البيواتيقا علم الحي) ، وذلك سنه 1970 م ثم أدمج هذه المقالة في كتاب عنوانه (البيواتيقا جسر نحو المستقبل) وذلك سنه 1971 م وقصد فان روسلاير بوتر بهذا المصطلح ضرورة التنبيه الأخلاقي إلى الممارسات التي قد يؤديها العلم علي الكائن الحي . وعلي الرغم من أن المصطلح يثير لبس في المفاهيم ، فسوف نسوى الوضع في حديثنا عن كيف تتألف كلمة البيواتيقا. (بوحناش، 2013)

تتألف كلمة البيواتيقا من شقين ، البيو ومعناه الحياة ، وإيتيقا وتعنى الأخلاق ، وهى نسبه إذا ما تمت ترجمتها الترادفية إلى العربية فستعنى أخلاق الحياة ،ستثير مثل هذه الترجمة العربية التباس مضموني يؤدي إلي دمج حقلين فلسفيين مختلفين اختلافا" كليا ، وتعنى أخلاق الحياة البيواتيقيا ، وأخلاق الحياة تلك النظريات الفلسفية التي تعتمد علي مفهوم أنطولوجي للحياة ، وإن كان الفهم البيولوجي يعد مبدأ لهذا التأسيس الأنطولوجي ، وهي النظريات الفلسفية التي أسسها الفلاسفة منهم سبنسر __ نيتشه وغيرهم ، وإنها أخلاق ذات بنية فلسفية حبلى بالمفاهيم العقلية والدلالات الأنطولوجية ، وهي تشريع أخلاقي علي قاعدة مفهوم أنطولوجي للحياة ، أستقى قواعده من الرؤية الداروينية التي ميزت الحياة بقوانين ، هي الصراع من أجل الحياة ، والانتخاب ، والبقاء للأصلح هي المفاهيم التي امدت نيتشه بالطابع التجاوزي لإدارة الحياة ، بينما تعنى البيواتيقا انبثاق لمسائل أخلاقية ذات صبغة فلسفية ، ولكن داخل إطار الحياة بمفهومها البيولوجي المحض الخال من كل تأويل فلسفي ، إنها أخلاق الحياة أو الحي .وتعنى كذلك انبثاق السؤال السلوكي داخل ميدان العلم ، فكيف يتعامل البحث العلمي مع الشخصية الإنسانية بأبعادها النفسية والأخلاقية والاجتماعية والحقوقية ؟ بالنظر إلى أن الجسد البشري يمثل موضوع البحث وكذا يتمظهر عبر تردد سلبي يتلقى التغيرات التقنية مما يحيله ألي مجرد شيء ، هنا يأتي السؤال الأخلاقي ليؤسس نسقية جديدة تبحث عن القواعد التي تضبط هذا العلاقة بين التقنية والجسد. (بوحناش، 2013)

فالبيوإتيقا من منظور فلاسفة العلم نقد عقلي للتجاوزات العلمية التي تعود بالضرر علي الكائن الحي ، ثم هي أيضا بناء أخلاقي وحقوقي يقنن العلاقة بين الممارسات العلمية من جهة وموضوعها الذي هو الحي من جهة أخري ، وداخل الممارسة البيوطبية يكون هو الجسد البشري ، بهذا يكون موضوع البيوإيتيقا لقاء بين عالمين مختلفين عالم العلم وعالم القيم والأخلاق لتعنى بذلك البيواتيقا (إجبار البيولوجيا وخاصة تطبيقاتها التقنية علي اعتبار القضايا الأخلاقية تجيب علي المسائل التطبيقية التي تجري علي الكائن الحي) (بوحناش، 2013)

هكذا تكون كلمة بيواتيقا تأليف بين عالمين مختلفين عالم العلم وعالم القيم وهي المفارقة التي ما كان العلم الوضعي والفلسفة الوضعية ليستسيغاها ، فالعلم قصل فصلا جازما بين المعايير والوقائع وقد حدد ديفيد هيوم هذه المفارقة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون تحديدا ابستمولوجيا ، أي بين القضايا المعيارية والأخرى الوصفية ، فالرغبة لا علاقة لها بأمر الصياغة العقلية للوقائع وهو عالم العلم ، ولذلك تكون البيواتيقا هي عودة إلى الرؤية المعيارية لكن داخل العلم وتطبيقاته التقنية ، لتنبثق مسائل فلسفية تعتني بالبحث عن أسبقية السلطة في البيواتيقا (بوحناش، 2013).

سؤال يحاول الباحث الإجابة عليه من خلال سياق البحث وفهم عمل البيواتيقا وتعقلها بالمسال الأخلاقية في إطار تطبيقات العلم ، مفاده هل العلم يسبق الأخلاق أم الأخلاق هي التي تسبق العلم في تقرير المعايير؟

للإجابة علي هذا السؤال رأي الباحث أنهُ قبل أن تبرز البيواتيقا إلى الوجود مصطلحا" وفرعا" متخصصا" سنه 1971 م مع طبيب الأمراض السرطانية الأمريكي فان رانسيلار بوتر Van Ransealar Potter ، بدت النقاشات حول مسألة القيم والأخلاق في بحوث علمي البيولوجيا والطب مشتتة وبحاجة إلى تنسيق ، وهو ما أفضى في نهاية المطاف إلى تأسيس هذا الفرع الجديد . لكن حتى ذلك الوقت وقبله ، وعندما كانت إفرازات التقنيات والاكتشافات العلمية الجديدة في الميادين الطبية والبيولوجية تطفو علي السطح وتثير التساؤلات الحاسمة ،كان رجال الدين في صدارة من دقوا ناقوس الخطر ، وشرعوا في مناقشة الرهانات الجديدة والتحديات الفعلية القائمة ، ذلك مثلا ما أورده سيغلر M. Siegler في تلك الأثناء وبالتحديد في ستينات القرن الماضي ، ساهم اللاهوتيون في طرح وإغناء جملة من المسائل ذات الصلة القوية بنتائج التقنيات والأبحاث الجارية في العلوم عامة وعلمي الحياة والطب خاصة .

وكان من بين هؤلاء الفيلسوف واللاهوتي الكاثوليكي دانيال كالاهان Daniel Caylin*الذي أسس بمعية الطبيب النفسي ويلاردغايلينWillard Gaylin معهد المجتمع ، الأخلاق وعلوم الحياة Institute of , Society , Ethics and the Life Sciences وقد صار يُسمى فيما بعد مركز هاستينغسHastings Center وهو مركز مستقل يتلقي دعما" من مؤسسات خاصة ، وله مجلة ينتشر فيها تقارير عما يهتم به من مواضيع بيواتيقية ، ومنها نهاية الحياة التي نال عليها جوائز وتحفيزات عدة ، وبمعية دانيال كالاهان تم تأسيس مركز هاستينغس الذي أهتم بنشر البيواتيقا ومن أهم اسهاماته : ـ

- عمل علي نشر البيواتيقا والتعريف بها .
- أسس مجلة ناطقة باسمها .
- شارك في تأسيس أول موسوعة لها .

ومـــن فلاسفة البيواتيقا كـــــذلك الفيلسوف الألمـــاني المعـاصر هانـز يونـــاس Hans Jonas* (1903 – 1990) ، الذي طور فكرته الأخلاقية حول مبدأ المسؤولية في عصر يتسم بالتقدم العلمي

والتكنولوجي ومنها كتابة الرئيسي : مبدأ المسؤولية" : من أجل إتيقا للحضارة التكنولوجية ، وله كتب أخري تتصل في معظمها بإتيقا الطبيعة والمستقبل ، وكانت اسهاماته واضحة في هذا المجال الجديد ، وتتمثل في كلا" من : _

1 . ساهم في عالمية الفكر البيواتيقي .

2 ـ التأكيد علي طابعها الشمولي

3 ـ ربطها إي (البيواتيقا) بأخلاق البيئة وتطوير مفهوم المسؤولية .

4 ـ أكد علي خطورة الأبحاث الطبية البيولوجية والتجارب العلمية علي حاضر الإنسانية ومستقبلها .

ويمكن القول بأن الحقيقة العلمية المتمثلة في التقنية البيولوجية في طريقها إلى إحداث تغيير في حياتنا وتفاعلنا مع الطبيعة بطريقة جديدة ، وهذ ما يجعل فلاسفة العلم يخوضون في التفاصيل في بعض المواضيع كي نستطيع تصور تعقيدات الأنظمة البيولوجية ، والتحديات التي تواجه تصميم تلك الأنظمة ، بغض النظر عما تحدثه هذه الأنظمة بين ثناياها من مزايا ؛ فقد تبين من وجهه نظر الباحث إن فلاسفة البيواتيقا تحديدا" علي اطلاع بما يحدث في المجالين الطبي والبيولوجي ، فهم يرون من وجهه نظرهم بأن العلماء لا يزالون غير قادرين علي التنبؤ بالضبط إلى أين ستتجه

---

*للمزيد من المعلومات أنظر كتاب طه عبدالرحمن " سؤال الأخلاق ـ مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية "الامركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2000 ، بيروت ـ لبنان .

أيضا كتاب عبدالعزيز العيساوي " أتيقا الموت والسعادة " ، دار صامد للنشر ، صفاقس ـ تونس ، ط 1 ، 2005 .

الأمور . غير أنهم علي الأقل في طور تعلم الأساليب . وغالبية الأنظمة الجينية المعدلة لا تعمل تماما" وفقا" لما هو مخطط لها . وتسير الهندسة البيولوجية كما تُمارس اليوم بطريقة تشنجية ، وأكثر الأبحاث والتجارب تُفهم بعمليات تهيمن عليها طريقة التجربة والخطأ ، وعلي ما يبدو أن فهم الكائنات الطبيعة لا يزال أمرا" عسيرا" . والدليل علي صحة ما نقول ما سوف يتم طرحه من إشكاليات تحللها وتفسرها البيواتيقا للعلم علي أمل إيجاد حل لها في المستقبل .

إشكاليات تطرحها البيواتيقا في العلم

قدراتنا علي تعديل الأنظمة البيولوجيـة

البيــولوجيا هي حالة من حالات المــادة ، قادرة على تعديل ذاتها وانتشارها الذاتي ، لكن علمائنا تحسسوا مقدراتهم لقياس الجزيئات والتعامل معها من جانب ، واستخدام تقنيات حاسوبية قوية لفهم سلوكياتها ، من جانب آخر ، أيقن علمائنا إن البيولوجيا تجتذب اليوم قدر كبير من الأهمية . ولا تعطينا علوم اليوم وتقنياته إلا لمحه خاطفة عما يخبئه لنا المستقبل . وعلينا أن نفكر بدقة عما ينتظرنا في نهاية الطريق .

فقد بدء لنا أن البيولوجيا تلهم العلماء أن كل أجزاء الجسد ومكوناته ومحتوياته الداخلية مبنية من لبنات بنائيه قد تم التفكير فيها من قبل العلماء والتدخل في إصلاحها وتصميمها وبناؤها بعناية فائقة . فهم على دراية بأن جسد الأنسان وخلاياه تؤدي الوظيفة المخصصة لها . لهذا حاول العلماء مقاومة الأمراض التي تصيب البشر بالتعامل معها بتقنيات مستحدثة وتدخلهم في التصميم الهندسي البارع للمنظومة البيولوجية البشرية وإضفاء علاجات متطورة ودقيقة وأمنة قدر المستطاع ، وتتفق مع التوقعات المنتظرة في الطب ، ويمكن استخدامها لخدمة الإنسانية بوجه عام . وتعد ثمرة من ثمرات التطبيقات الهندسية المعتمدة الحديثة .لقد أخذنا العلم الى النقطة التي نتعلم فيها أن نسيطر على العناصر الجزيئية للحياة وتدفق المعلومات بينها ، والتعديلات الجينية هي تغير الوظيفة من خلال استبعاد سلسلة جينية بعينها في الإمكان تحديدها . أو إحلال أخري محلها ، وعندما نكتشف جينا" جديدا" في الطبيعة ، ويبدو أنه ذو فائدة ، فقد نتمكن من توجيه إلى أهداف جديدة بنقله إلى كائنات معدلة وراثيا" ، هكذا يؤمل العلماء

وبالفعل يسهم هذا التلاعب أو التصحيح إن صح التعبير في الأنظمة البيولوجية وتحويلها إلى هدف معين في إيجاد فهم جديد ، رغم أن الدروس المستفادة ليست دائما سهلة في التوصل إليها . ويزودنا التاريخ المتقلب للعلاج بالجينات بالعديد من تلك الدروس . فمثلا ، يبدو أن علاجا" ناجحا" لمرضى جيني قد تسبب دون قصد فى حدوث سرطان ، بسبب أن قاعدة من قواعد التصميم لم تُتبع إلا بعد أن بدأت عملية البناء. (كارلسون، 2014)

---

*أنظر كتابالفيلسوفالألمــانيالمعــاصرهانــزيونــاسHans Jonas"مبدأالمسؤولية" : منأجلإتيقاللحضارة " .

وتتمثل في علاج عشرة أطفال في فرنسا يعانون من مرض مرتبط بكروموسوم إكس ، وهو نفص فادح مجمع المناعة (X _ SCID) ويسمى أيضا (مرض الطفل الفقاعة) _ bubble boy disease) وتم شفاؤهم من هذا المرض باستخدام العلاج الجيني. (كارلسون، 2014)

وتضمن العلاج التجريبي إضافة نسخة فاعلة في جين أساسي في أداء الجهاز المناعي لوظائفه إلي جينومات الأطفال المرضى . وأمكن لهؤلاء الأطفال مغادرة المستشفى ، بعد أن صاروا يحملون خلايا معدلة جينيا" تصنع البروتين المؤثر ، وأصبحوا يعيشون حياة تكاد تكون طبيعية . ولسوء الحظ يبدو في

بعض الحالات أن مرضا" جديدا" قد نشأ نتيجة لنجاح العلاج الجيني ، فقد أصيب أثنان من هؤلاء الأطفال بعد ذلك بنوع غريب من سرطان الدم (اللوكيميا). (كارلسون، 2014) ويشمل علاج مرضي (X _ SCID) سحب خلايا الدم الجذعية التي تنتج كريات الدم الحمراء والبيضاء من نخاع عظم المرضي ، ثم تعديل الخلايا جينيا" باستخدام نـــــــــوع من الفيروسات يسمـــــــــــى (الفيروس المتقهقر) أو (فيروس القهقري)) retrcirus) ، وتستطيع الفيروسات المتقهقرة القيام بأعمال مبهرة من إعادة تشكيل البيولوجي ، فهي قادرة على إدخال موادها الجينية في كروموسومـــــات الخلايا التي تصيبها بالعدوي ، وبذلك تضمن طول العيش لنوع الفيروسات الذى تنتمى إليه .

وكثيرا" ما تستخدم هذه الأداء الهندسية الطبيعية في المعامل لإحداث تعديلات جينية في الخلايا باستبدال الجانب الأكـــــــبر من التعليمات الجينية الخاصة بفيروس القهقري كـــــــــما هو مخطط له ، وأدراج الجين العلاجي في الخلية الجذعية . وإضافة لذلك ، تدرج عناصر جينية منظمة مع الجين ـ بحيث تزداد احتمالات إنتاج الخلايا للبروتين الجديد. (سانتور، 1995)

وبعد ذلك حُقنت الخلايا المعلة في المرضي مرة أخرى ، حيث بدأت في التكاثر كما هو متوقع ، ومُزجت بشدة مع كرات الدم البيضاء الحاملة للجين العلاجي ، وبدا أن الجين يؤدي وظيفته بصورة طبيعية منتجا" بروتينا" بمستوي يكفي لإصلاح الجهاز المناعي للمرضي. (كارلسون، 2014)

ولكن ، ولأن فيروس القهقري هذا يُدرج الDNA في موقع عشوائي في جينوم خلية جذعية ، فقد أصبح هناك احتمال ضئيل أن ال DNA المدرج قد يؤثر في جينات أخرى بسبب موقعة الجديد ،وثمة تفسير محتمل لظهور سرطان الدم هو أن ال DNA المدرج قد هبط في موقع حيث تسبب في زيادة نشاط جين مجاور مرتبط بالسرطان .وأثبتت دراسة حديثة على الفئران أستُخدم فيها الجين العلاجي أن الجين نفسه يمكن أن يسبب سرطان الدم ـ لأنه يغير مسارات الإشارات التي تؤثر في نمو كريات الدم البيضاء ، وبصرف النظر علي السبب الحقيقي في الحالات البشرية ، كان استبدال مرض يهدد الحياة بمرض آخر يهدد الحياة نتيجة غير متوقعة للعلاج (كارلسون، 2014)

ويبدو امتزاج التحديات الأخلاقية والعملية للموقف جلية وواضحة ، فالأطفال المصابون بمرض(X _ SCID) نادرا" ما يعيشون إلى سن البلوغ ـ ولكن مع توفر علاج شاف ، فإن احتمالات إصابة المرضي بسرطان الدم لا يجب أن تكون جزءا" من الصفقة . ولحسن الحظ أبدي الأطفال استجابة حتى الأن لعلاج سرطان الدم . ومن خلال استخدام تقنيات جديدة يتعين أن يكون هناك سيطرة أفضل على موقع إدراج الجينات في هذا النوع من العلاج ، والأمر برمته يلقي الأضواء على الصعوبات التي تجابهها في محاولاتنا تعديل الأنظمة البيولوجية التي لم تستكمل فهمها بعد. (كارلسون، 2014)

رؤية وجيهة لصعوبات البيولوجية من منظور فلسفي .

كانت تجربة (X _ SCID) مبنية علي قواعد ثم فك شفرتها بملاحظة الأنظمة الطبيعية وتعتمد كذلك على المحاولات المبدئية لتعديل برامج السيطرة من خلال العلاج بالجينات ، وكشفت التجربة عن قاعدة جديدة في التصميم الهندسي ، وهى أن إدراج جين علاجي يمكن أن يؤدي إلى نشاط غير مقصود في جينات مجاورة ، هنا تري الرؤية الفلسفية إن القابلية المحدودة للتنبؤ التي نسمح بها أوصاف اللغة الطبيعية هى عائق واضح للجهود الرامية إلى إعادة هندسة أنظمة معقدة ، التي يشكل العلاج الجيني مثالا" لها . والمعضلة الكامنة هي أننا لا نعرف كل قواعد التصميم الهندسي للأنظمة التي تهمنا ويضاف إلى ذلك أننا نحاول أن نعبر حدودا" لا ترسمها المعرفة فحسب ، وإنما الخواص الكيفية للمعلومات أيضا" ، وهذه الخواص الكيفية ليست بالمعنى " الجيد ضد السيئ " وإنما بمعني الكيفية ضد النوعي ، وماذا إذا كانت المعلومات يمكن تطبيقها لفهم أوضاع جديدة أم أنها مقتصرة علي الوضع الأصلي. (كارلسون، 2014)

تساؤلات الفلسفة عن صعوبة فهم العلماء لتجنب اقتراف نفس الخطأ .

يري العلماء أن قاعدة التصميم الهندسي باللغة الطبيعة التي أُكتشفت من خلال تجربة (X _ SCID) تكتفى لتجنب اقتراف نفس الخطأ ، ولكنها أقل فائدة في تجنب حدوث أخطاء جديدة . **وهذه الفجوة تحدد النقلة بين العلم والتكنولوجيا . والوصف الدقيق لسلوكيات الخلايا غير المعدلة** لا يحتاج إلى قاعدة التصميم الجديدة . والوسيلة الوحيدة لاكتشاف تلك القاعدة هي مزيد من التجارب على غير هدى ، ولا ريب في أن التساؤلات عن الكيفية التي يقرر بها العلماء كيف ومتى فهموا ما يكفي لتجربة شيء جديد ، وبخاصة إذا كانت أرواح البشر على المحك ، هي تساؤلات تصعب الإجابة عنها : والتجربة الجيدة دائما ما تنتج عنها معارف جديدة ، ومع ذلك ، هل نكتشف هذه المعارف ، بمجرد اكتشافها ، عن كونها تكفى للمضي قدما بوصفها معارف كافية أم يتضح أنها غير ناضجة بصورة محزنة ؟. (كارلسون، 2014)

ويخُتزل السؤال حتى يصل إلى ما نختاره كتعريف للفهم ، فهل تصلح قصة كُتبت بلغة طبيعية عن الجينات والبروتينات ؟ . وهل يصلح أداة تصميم بُنيت علي نماذج كمية ؟ وكيف يستطيع هذا الفهم أن يعبر عن نفسه في قدرتنا على التفاعل مع العالم الواقعي ؟ .

وثمة تعريف بأن مقياس الفهم في البيولوجيا لأبد وأن يكون قدرتنا على بناء أنظمة بيولوجية . وهذا يعنى أننا فقط عندما نصبح قادرين على بناء نظام يتصرف من الناحية الكمية كما هو متوقع له ، فإنه سيكون بمقدورنا أن نقرر أننا نفهمه. (العلاف، 1991)

ويضع هذا التعريف الفلسفي للفهم سدا" منيعا" بالغ الارتفاع ، ولعله يجب أن يبقى في الذهن كمجرد وضع مثالي وليس القاعدة المعيارية التي يتوجب الالتزام بها قبل تجربة أية علاجات مبتكرة تحتمل إنقاذا" للحياة ، غير أنه يضع المستويات الحالية للفهم في إطار لافت للنظر لأنه يلقي الأضواء على جهلنا والمخاطر المختلفة التي نواجهها .

ومن الأسئلة الحرجة التي توجهها الفلسفة إلى البيولوجيا لتصحيح النظرة الكلية لتطبيقات العلم ، كيفية الاستفسار والتساؤلات عن المستويات ومقياس الفهم ، بمعنى : فحتى لو قبلنا بمقدرتنا على بناء شيء يصلح مقياسا" لفهمنا ، فإن ذلك يترك الإحساس بمعنى الكلمة معلقا" في الهواء ، فمثلا ، ثمة انتقاء يوجه إلى هذا القياس لفهمنا هو أننا قد نتمكن من تقليد الوظائف البيولوجية دون أن نكون قادرين على تعليل كل ما يحدث ؛ ولا يقيدنا هذا القياس في الإجابة عن السؤال : لماذا يكون أي شيء على الوضع الذى هو عليه ، سواء في البيولوجيا أو في غيرها من الموضوعات؟ (العلاف، 1991) ومع هذا الفهم المفرط في ضآلته ، مازلنا نواجه قرار كيفية السير في تعديل البيولوجيا . وهناك مزايا واضحة لتحسن الهندسة البيولوجية . كما أن هناك أيضا مخاطر واضحة . فكيف نقرر أننا نعرف ما يكفينا للمخاطرة بالعمل ؟ وهل بإمكاننا أن نعود أدراجنا بعد عبور حد معين ؟ . وسيكون الاختبار صعبا" بين أن نترك طفلا" يموت بسبب مرض أو نغامر باستخدام تقنية مبتكرة . وماذا لو كان القرار في هذه الأمور لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال التجربة ؟ غير أن تلك هي بالضبط نفس الاعتبارات التي تتعلق بكل تطبيق جديد لتكنولوجيا جديدة ، من المستحضرات الطبية ، إلى أغذية الأطفال البديلة عن الألبان . إن الأحجية تكمن في نتاج السلوكيات البشرية وليست نتيجة للتعديلات الجينية الضمنية . فالتقنيات البيولوجية في أيدى البشر متعادلة ومجايدة في قيمتها _ فلاهي بالجيدة أو السيئة في جوهرها __ لأن التكنولوجيا التي يستخدمها البشر عادة ما تكون مستعارة من الطبيعة أو معدلة عنها أكثر من كونها مبتكرة ، ونقل الجينات من مكان لآخر لا هو مفيد في جوهره ولا هو محفوف بالأخطار ، ولكن أي تعديل معين في علم الطبيعة يتضمن تدخل الأيدي البشرية له أخطاره المحتملة. (العلاف، 1991)

والقضية الأهم التي تشغل الفلاسفة تطبيقات العلوم البيولوجية ذاته ، فقد أتخذ العلماء قرر جماعي لا رجعة فيه ، بأنهم أجتازوا نقطة اللاعودة .ويرى الفلاسفة هل بمقدور العلماء تجنب أوضاعهم الحالية . وعلى أية حال ، ورغم أنه من المثير أن نخمن ماذا كانت ستكون عليها حال العالم إذا كانت القرارات السابقة مختلفة ، إلا أنه علينا أن نتعامل مع العالم الذي نعيش فيه اليوم ، فقد زودنا الفضول والبراعة البشريان بالمقدرة على تعديل الأنظمة البيولوجية ، ولكنها لم تمنحها بعد القدرة على الإدراك السريع للعثرات أو كيفية إصلاح الأخطاء أو ما يفسده المفسدون . وعلينا أن نعالج هذه الهفوات بأسرع ما نستطيع ؛ فالبيولوجيا هي تكنولوجيا صغيرة السن في أيدي البشر ، وبمواجهة تواضع مهاراتنا الحالية والتصرف وفقا لذلك نستطيع أن نطور توقعـــــــــات أكثر واقعية لكـــــــل من الأوضـاع الحاضرة للتكنولوجيا البيولوجية والاحتمالات المثيرة للمستقبل. (العلاف، 1991)

لهذا ثمة حدوث اهتمام من العلماء لفت الفلاسفة بالإشارة إليه هى تغيير الطريقة أو النظرة التي كان العلماء ينظرون بها إلى العالم الطبيعي ، لأنهم صاروا مستوعبين لفكرة إمكانية تعديل نظام موجود يستلزم فهم تفاصيل عن نظام أكثر مما يحتاجه مجرد وصف كيفية عمله . وأسهم هذا الفهم الجديد للبيولوجيا في فتح الأبواب على العالم الذى تعيش فيه اليوم .

استعرض التقدم الحادث في فهم نسخ وترجمة منظومة الكائن الحي .

يرى العلماء إن إعادة الأحياء للجهود الحديثة الرامية إلى بناء أنظمة حية لها أوجه متعددة في مواقع كثيرة حول العالم ، ويعمل العلماء جاهدين في سبيل توسيع نطاق الكيمياء الحيوية ، وهم لا يكتفون فقط بتغيير تتابع الشفرة الجينية ، وإنما أيضا محتواها إلى ما هو أبعد من الأزواج المكونة من أربع مواد قاعدية ، وثمة جهود أخرى تعمل علي إدخال أحماض أمينية جديدة إلى الأنظمة الحية وهي أحماض لا وجـــــــود لها في أي كائن حـــــي ، زمـــــــن خـــــلال هندســـــة البروتينات والـــــــدوائر الجينية نجـــــد أن " البيولوجية التخليقية "في حالة ثوران كامل ، وقد بدأ تعبير البيولوجيا التخليقية يتسلل ببطء إلى الأدبيات العلمية ، هذا التقدم الحادث جعل جل العلماء يعملون علي المرحلة التوصيفية للبيولوجيا الجزيئية ، والعمل الحقيقي لديهم يبدأ عند الشروع في إدخال البيولوجيا التخليقية مرحلة البحوث الفعلية للتنفيذ ، حيثُ سيبتكر العلماء عناصر جديدة للسيطرة وتضاف وحدات قياس للجينوم الموجود أو يتم بناء جينومات جديدة كل الجدة. (الخلف، 2003)

ستحضر العلماء اكتشاف الإنزيمات التي تتيح استخدام تقنية الDNA المؤتلف أو المعاد تجميعه . وعملية لصق جين مأخوذ من كائن ما في كائن آخر لا علاقة له به هي عملية تماثل بصورة تخليق لجزئي عضوي : فهي القدرة الأساسية التي يحتاجها بناء أنظمة بيولوجية تخليقية ومن ثم البدء في تحديد قواعد البناء. (الخلف، 2003)

وثمة استعراض أكثر حداثة يصنف الجهود التي بُذلت في هذا المجال الوليد على النحو التالي : ـ يمكن تصنيف البيولوجيين التخليقيين إلى مجموعتين عرضيتين : ـ إحداهما ___ تستخدم جزيئات غير طبيعية في استنساخ سلوكيات ناشئة من البيولوجيا الطبيعية ، يهدف خلق الحياة اصطناعية . أما المجموعة الأخرى فتبحث عن قطع قابلة للتبادل في البيولوجيا الطبيعية لتكون منها أنظمة تعمل بصوره طبيعية ، وبصرف النظر عن أي من هاتين السبيلين ، يجبر الهدف التخليقي العلماء على الولوج في مناطق مجهولة لمواجهة مشاكل ليس من السهل حلها من خلال التحليلات .ويعترف العلماء تحت وطأة تساؤلات الفلاسفة في تطبيقات تلك التقنية على الأنظمة البيولوجية المستحدثة بأنهم يواجهون فكرة أن بناء أشياء جديدة يجبرنا على الاعتراف بوجود مشاكل لا تظهر بالاكتفاء بدراسة الحياة كما نعهدها . ويُفرض علينا محاولة حل تلك المشاكل . وتتضح صحة هذا القول عند إعادة تكوين تنظيمات الجينات الموجودة وعملها بحيث تؤدى وظائف جديدة. (الخلف، 2003)

ويري فلاسفة العلم أنه من الطبيعي أن نتسأل عن كيفية بناء أنظمة بيولوجية وفقا" للمواصفات ؟ ويرد العلماء على هذا السؤال يقولهم : إن الهدف من بناء أنظمة بيولوجية تخليقية من قطع للتبادل، رغم أنه أمر متهور ويستنفر التحدي من المحتمل أن يفضى إلى نتائج بأسرع مما تتصور الكثيرون .

والصعوبة الرئيسية التي يسببها ذلك المطلب هو أننا لا نعلم بعد كيف تعمل كل تلك المكونات . ومن بين أسباب هذا الجهل أن الفيزياء والكيمياء اللذان يتحكمان في سلوك الجزئيات المختلفة عن الفيزياء و

الكيمياء اللتان تعودنا عليهما وتفصلهما عنهما مسافات شاسعة والبديهيات الآلية التي نمتلكها والخاصة بالتروس والمحركات ليس من الممكن ببساطة تحويلها إلى جزئيات . كما أن مقاييس الحجم الجزيئي للمكونات يجعل من العسير أن تتواصل معها مباشرة ، مما يزيد في تعقيد اختيارات النماذج من خلال التجارب ولا يزال السمات الرئيسية المستخدمة في تشغيل الجينات وإيقاف عملها ، وفي صناعة البروتينات لا تزال غامضة. (كارلسون، 2014)

ويتصور العلماء على الرغم من قصور معارفهم عن التفاصيل البيولوجية ، إن فلسفة التصميم مبنية على أجزاء قابلة للتكوين لايزال لها استخدام ، وفى هذا المجال تجد أن الرسوم التحضرية ، والتي تبنىُ على تعميمات التفاصيل الجزيئية وتجريداتها ، يمكن أن تكون ذات فائدة . ويستخدم الرسوم التحضرية في الكيمياء في وصف أحوال الذرات والجزئيات ويمكنها ، إن عرفت كيف تقرأها ، أن تتنبأ بنتائج التفاعلات الكيميائية . ولكي نستفيض في ذلك نقول إننا تجد في فيزياء الطاقة العالية ، أن الأنظمة البيانية قد تطورت بحيث تسمح بمشاهدة التفاعلات بين الجسيمات ، مما يتيح التنبؤ بها ومشاهدتها بطريقة مريحة ، وتلعب الرسوم التحضيرية بالفعل دورا" في فهم البيولوجيا ، سواء بتصويرها للتفاعلات الجزيئية أو يعرضها لما تحويه الجينات من معلومات ومع توفر مستوى معقول من المعلومات عن علم الوراثة والكيمياء الحيوية ، يمكن قراءة الجينات وتسلسل البروتينات وكأنما هي لغة إنجليزية ، ويمكن أن تفيدنا التركيبات الكيميائية في التصور التفاعل بين جزيئين بيولوجيين ، وعندما تكون الظواهر غير قابلة للمشاهدة المباشرة بالمجهر ، تستخدم الرسوم التحضيرية أحيانا" لاقتراح نماذج للتنظيمات والوظائف الخلوية ، ولا تستطيع الرسوم التحضيرية أن تجعل العلم أسهل علي الدوام ، لكنه يُمكن العلماء من مستوى تنبؤ جيد إلى حد ما للوصول إلى نتائج تجميع تركيبات بيولوجية جديدة ، سواء كانت جزئيات أم كائنات وهي تعتبر بالنسبة لعلماء البيولوجية أشد صعوبة بكثير من تصور كيف ستبدو تركيبة جديدة للحياة. (كارلسون، 2014)

هذه التصور المعقد للحياة وتركيبتها البيولوجية يضاف إلى حقيقة وجود أنواع عديدة من الحياة البيولوجية أكثر بكثير في نظر العلماء من أعداد الطوب البلاستيكي ، لأن طوب البناء البيولوجي في تصورهم ينزع إلى تغيير أشكاله وألوانه في كل مره ترتبط قطعتان منها سويا" .

نمـــــــوذج معياري في البيولوجيـــــا (DNA) .

يحاول العلماء ترجمة اللغة التي تتحدث بها الخلايا الجينية مع بعضها البعض ففهم الآليات التي يشفر بها ال DNA المعلومات مع إمكانية نقلها بين الكائنات يشكل مشروعا" لايزال بداهة ساريا" . ووضع نموذج ال DNA باللغة الطبيعية بوصفه " قاعدة تحول " الأسس لكل نموذج آخر للنظام ، سواء كان فيزيائيا" أم رمزيا" أم جبريا" أوبيانيا" .

وتبدا حصيلة المعلومات من الجينوم بالتعبير عن قدرة الجين في تعديل البروتينات على النحو التالي : الجزئي المبلمر (البوليمبريز) هو بروتين يقرأ جينا" من الجينات ، ويبدأ العمل في اتجاه معين على إحدى جديلتى ال DNA ، محولا ال DNA ال RNA ، ومن بين المهام الرئيسية للRNA نقل

المعلومات من الجينات في النواة إلى آليات الخلية من أجل صناعة البروتينات . ويتحدد الجين عن باقي الحروف في الكروموسوم بالتتابعات القصيرة للقواعد في طرفيه ، وهى التي تُخبر المبلمر من أين يبدأ يبدأ النسخ وأين يتوقف ، وهذا من الناحية العملية ، هو التعريف الجزيئي للجين __ فمجموع الحروف بين إشارتي " " أبدا __ و قف " هي ما يقرأها المبلمر ، وينسخها إلى RNA ، وفى النهاية يترجمها إلى بروتينات . وعند هذه المرحلة من الفهم لغالبية الجينومات ، نجد أن هذا المعيار الوحيد للتعرف على العديد من الجينات . ويرى العلماء والمهندسين العاملين على بناء أنظمة بيولوجية إن الطريق أمامهم طويلا" .ولا يعلم العلماء عن غالبية الجينات البشرية إلا ما يزيد قليلا" على ذلك ، لأنه من الأسهل كثيرا" أن نقرأ الجين عن أن نحدد وظيفته ، ويسترسل العلماء وبحق لم تتمكن حتى الآن من ربط وظائف محددة بغالبية تتابعات ال DNA التي تم التعرف عليه من خلال التعريف الجزيئي (للجين) (كارلسون، 2014)

صعوبة التفاعلات بين الجينات وتفهم تلك التعقيدات

أن فكرة الجين تُستخدم لتتبع مسار السمات والخصائص في الأجيال ، وفى البحث الذي قدمه (أفرى ورفاقه سنه 1944 م) ، استخلص المؤلفون نتائجهم التجاربية من التخمينات النظرية السائدة وقتئذ ، وقرروا أن " المادة المستحثة يمكن تشبيهها بالجينات ، وأن الجزئي الناتج استجابة لها قد اعتبر منتجا" جينيا" (كارلسون، 2014)

وذلك يعنى أن الباحثين كانوا يؤكدون أن المادة المستحثة كانت تشكل تعليمات لسلوكيات جديدة ، كانت في هذه الحالة ، تعليمات لصنع جزئي معين .

ويشكل إدراك أن بعض السمات القابلة للتوريث ترتبط بالمحتوى المعلوماتي في تتابع القواعد ، أي ارتباطها بجين وحيد ، انتصارا" رئيسيا" للبيولوجية الحديثة ، وهناك أمراض مثل فقر الدم المنجلى والليفة الكيسية (Cystic Fibrosis) وبعض أنواع سرطان الثدي يمكن أن تعزي إلى تغيرات في جين وحيد . والأمراض المرتبطة بجين واحد هي أسهل الأمراض في التعرف عليها ، وهى الثمار الدانية سهلة القطاف للطب الجزئي . غير أن سمات عديدة يبدو أنها تحددها جينات متعددة أو التفاعلات بين جينات متعددة . ولسوف تمضى سنوات طويلة قبل أن تُفهم تلك التعقيدات . وإلى أن يحين ذلك الوقت ستكون أغلبية الباحثين مشغولين بفرز ما تعبر عنه الجينات الوحيدة وترمز إليه. (كارلسون، 2014)

وأخيرا" يرى علماء البيولوجيا وفلاسفة العلم والأخلاقيين أن فرض رقابة على نشر بعض التقنيات والمعطيات الجديدة مشكوك فيه لأن تلك الجهود سوف تؤدى في الحقيقة إلى ازدياد الأمان أو إلى فائدة الجمهور ، وعادة ما يؤدى حظر المعلومات والمنتجات البشرية إلى خلق سوق سوداء من العسير مراقبتها ، ومن ثم من الصعب المحافظة على الأمن فيها .

ويعمل العلماء بآراء فلسفية أدبية بطرح بديل أفضل من الحظر هو إنشاء مجتمع بحثى منفتح وفسيح ، ويكون هذا المجتمع المفتوح أفضل في قدرته على الاستجابة للأزمات ، وأفضل في تحديد

مسارات البحث سواء في المعامل التابعة للدولة أو في القطاع الخاص . ويتعين على أهل التخصص أن يفهموا أوضاع التكنولوجيا والإمكانات التي تتيحها الذين يستخدمونها .فقد وجود أن التحسن في قراءة شفرة قطع ال DNA الموجودة هي مقياس بقدراتنا علي تجميع المعلومـــات البيولوجية في تطبيقات متباينة . ولقد أصبح التتابع السلسلة أداة أساسية الآن في فهم صحة البشر وأمراضهم فهي تكتشف الأخطار الجديدة سواء منهـــا الطبيعية أو التخليقية ، وتنقب عـــن قطع جديدة من الطبيعة ، وتصحح الدارات والكائنات التخليقية .

الخـــــاتمة

حاولنا من خلال طرح يمكن القول بإن الفكر البيواتيقي أكد علي الطابع العملي ، وهذا ذو صلة بالفلسفة البرجماتية ، التي منحه الفكر البيواتيقي دور في مناقشة قضايا مرتبطة بالذات والحياة والحق والخير والواجب ، وهذ من عمل الفلسفة وقيمها . فقد أظهرت التكنولوجيا الحيوية العديد من القضايا التي تثير الجدل الفلسفي والأخلاقي والديني والقانوني مثل البنوك الحيوية ، الخريطة الجينية للإنسان ، الموت الرحيم ... الخ ، فقد ساهمت البيواتيقا في ترسيخ قيم مثل : الديمقراطية ـــ الحوار ـــــ التسامح ـــــ حقوق الإنسان ، هذه القضايا ذات البعد الفلسفي ، الذي ربطت بين عالمين عالم العلم وعالم القيم ، حددت بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، لذلك عمل فلاسفة البيواتيقا لتأسيس رؤية تصبح من خلالها البيواتيقا معيارا" قيميا" داخل العلم وتطبيقاته التقنية .

هذا ما حولنا إيصاله لكم من خلال إجاباتنا علي من هو الأسبق العلم أم الأخلاق عن أسبقية السلطة ، فالبيواتيقا تسبق العلم في تقرير المعايير وفقا" لتعقلها بالمسائل الأخلاقية في إطار تطبيقات العلم ، وهذا يرجع إلي تشتت العلم وحاجته الدائمة إلي تنسيق ، وهو ما أفضى إلي تأسيس علم البيواتيقا لدعم العلم في طرح هذه القضايا الإنسانية .

المصادر والمراجع

Douce, H. (2006). Retrieved 04 20 , 2006 , from http: // www . unites . uqam .ca/religiologiques

rubrique. (2006). Retrieved 05 25, 2006, from http : // www . bpi . fr

إم ي سانتور. (1995). *الوراثة ومستقبل الإنسان*. (ترجمة، زيد شهاب،) البيضاء، ليبيا: جامعة عمر المختار.

ج . ب . غريس. (1981). *طبيعة الميتافيزيقا*. (ترجمة كريم،) بيروت: منشورات عويدات.

جاكلين روس. (2010). *الفكرالأخلاقي*. (ترجمة وتقديم : عادل العوا) بيروتـ : عويدات للنشروالطباعة.

حسين علي حسن. (1979). *الأسس الميتا فيزيقية للعلم*. الكويت: جامعة الكويت.

روبرت كارلسون. (2014). *ما البيولوجيا إلا تكنولوجيا* . (مراجعة محمود خيال، ترجمة أيمن توفيق،) القــاهرة: المركزالقومي للترجمة.

طه عبد الرحمن. (2000). *سؤال الأخلاق*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

محمد عابد الجابري. (2003). *قضايا في الفكر المعاصر*. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

مشهد سعدي العلاف. (1991). *بناء المفاهيم بين العلم والمنطق*. بيروت : دار الجبل.

موسى الخلف. (يوليو، 2003). العصر الجيونومي. *سلسلة عالم المعرفة،ع 294*، صفحة 89.

نورة بوحناش. (2013). *الأخلاق والرهانات الإنسانية*. الدارالبيضاء: دارأفريقياالشرق.

يرغنهابرمار. (2010). *إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقية* (المجلد ط1،). (ترجمة وتقديم : عمرمهيبل) الجزائر: منشورات الاختلاف .

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

تحمل/ عدم تحمل الغموض وعلاقته بالتصلب/ المرونة لدى طلبة جامعة طبرق

د. فتحي امراجع امصادف.

أستاذ مساعد – قسم علم النفس بجامعة طبرق

د. أبو بكر فضل لامين .

أستاذ مساعد – قسم علم النفس بجامعة طبرق

أ. حمدي صالح عبد السلام

محاضر مساعد – قسم علم النفس بجامعة طبرق

العدد: الأول

يناير 2020

المستخلص:

يعد مفهوم عدم تحمل الغموض كما اقترحته (فرنكل برونشفيك) 1948 هو أن الأفراد الذين لديهم قدراً مرتفعاً من عدم تحمل الغموض يتسمون بتفضيل الآلفة والتماثل والانتظام والميل نحو الحلول القاطعة التي تختار بين أبيض وأسود.

وفي هذه الدراسة فإن تحمل الغموض هو قدرة الشخص على أن يؤدي وظائفه بشكل عقلاني وبهدوء في موقف لا يكون فيه تفسير جميع التنبيهات واضحة بالكامل ، حيث استهدفت الدراسة الحالية مجموعة من الأهداف وهي :

1. الكشف عن انتشار تحمل وعدم تحمل الغموض لدى عينة الدراسة.
2. الكشف عن انتشار التصلب / المرونة لدى عينة الدراسة.
3. التعرف على الفروق بين الذكور والإناث والتخصص على أدبي في تحمل / عدم تحمل الغموض.
4. التعرف على الفروق بين الذكور والإناث والتخصص علمي أدبي في التصلب / المرونة.

حيث شمت عينة البحث (125) طالب وطالبة موزعين حسب الجنس والتخصص وقد استخدم مقياس محمد عبد التواب معوض 2005م المقنن على البيئة المصرية والسعودية ومقياس عبد الغفور 1986م لقياس التصلب / المرونة ، وقد بينت نتائج الدراسة ما يلي :

1. تتمتع عينة الدراسة بقدر عال من تحمل الغموض .
2. كذلك تتمتع عينة الدراسة بقدر من المرونة وإنها عينة غير متصلبة.
3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية وفقاً للجنس ذكور / إناث لصالح الذكور في تحمل عدم تحمل الغموض.
4. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التصلب وفقاً للجنس ذكور / إناث لصالح الإناث أي أن الإناث أكثر تصلباً من الذكور.
5. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحمل عدم تحمل الغموض وفقاً للتخصص لصالح الطلبة التخصص الأدبي أي إنهم أكثر تحملاً للغموض.
6. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التصلب / المرونة وفقاً للتخصص لصالح الطلبة من ذوي التخصص العلمي أي إنهم أكثر تصلباً من طلبة التخصص الأدبي.

Tolerance / intolerance of ambiguity and its relationship to stiffness / flexibility

At Tobruk University students

Abstract

The concept of ambiguity intolerance, as proposed by Frenkel Brunschvik (1948), is that individuals with a high degree of intolerance to ambiguity are characterized by a preference for familiarity, symmetry, regularity, and a tendency toward firm solutions that choose between black and white.

In this study, tolerance of ambiguity is the person's ability to perform his functions rationally and calmly in a situation in which the interpretation of all the warnings is not completely clear, as the current study targeted a set of objectives, namely:

1. Detection of the prevalence of tolerance and intolerance of ambiguity in the study sample.
2. Detection of the spread of stiffness / flexibility in the study sample.
3. Identify the differences between males and females and specialize on literary ambiguity tolerance / intolerance.
4. Identify the differences between males and females and specialization in literary science in stiffness / flexibility.

The research sample consisted of (125) male and female students distributed according to gender and specialization. The Muhammad Abdel Tawab Moawad 2005 standardized scale on the Egyptian and Saudi environment was used, and the Abdel Ghafour scale in 1986 to measure stiffness / flexibility. The results of the study showed the following:

1. The study sample has a high degree of tolerance of ambiguity.
2. The study sample also has a degree of flexibility and it is a non-rigid sample.
3. There are statistically significant differences according to male / female gender in favor of males in tolerance of ambiguity intolerance.
4. There are statistically significant differences in stiffness according to male / female gender in favor of females, meaning that females are more intransigent than males.
5. There are statistically significant differences in tolerating ambiguity according to specialization in favor of literary major students, meaning that they are more tolerant of ambiguity.
6. There are statistically significant differences in stiffness / flexibility according to the major for the benefit of students with scientific specialization, that is, they are more rigid than students of literary specialization.

مقدمة

شهد المجال المعرفي في علم النفس تطوراً كبيراً خلال السنوات الأخيرة حيث كان الاهتمام بدارسة الأساليب المعرفية وأثرها على السلوك الإنساني من أولى اهتمامات المختصين بدراسة تلك الأساليب ومن بين هذه الأساليب المعرفية أسلوب (تحمل . عدم تحمل الغموض) حيث اقترحت (برونشفيك) 1948م مفهوم تحمل عدم تحمل الغموض وافترضت فيه أن الأفراد الذين لديهم قدراً مرتفعاً من تحمل الغموض يميلون لأن يؤدون وظائفهم بشكل منطقي وبهدوء في موقف لا يكون فيه تفسير جميع التنبيهات واضحة بالكامل في حين أن الأشخاص الذين لديهم قدراً من عدم تحمل الغموض يتسمون بتفضيل الآلفة والتحديد والانتظام والميل نحو الحلول القاطعة التي تختار بين أبيض وأسود(**Frankel-Bruuswik 1948. P.268)** ، فالبشر تنشدون على الدوام إيجاد تفسيرات للأحداث من حولهم وقد لا يكون ذلك متيسراً دائماً فكثير من الأحداث والأمور تكون الوقائع فيها غامضة ومبهمة ، الأمر الذي يؤدي لأن يكون للناس صفات مختلفة في التعامل مع الأحداث ومن ضمن هذه الصفات التصلب أو المرونة ويعتبر التصلب من سمات الشخصية التي تتأثر بالبيئة الاجتماعية حيث نجد أن الفرد المتصلب يشعر بعدم الأمان وأنه غير متوافق نفسياً واجتماعياً. **(مخلوف . 1966 ، ص 30)**

وقد تم دراسة تحمل عدم تحمل الغموض وربطه بالعديد من المتغيرات والسمات الشخصية ومنها دراسة بكر ، جهاد علي ، 1995 وكذلك دراسة البهادلي ، عبد الخالق نجم ، 1994 وكذلك دراسة الفتلاوي ، على شاكر ، 2009 ، وتعد دراسة خليل ، رانيا محمد ، 2015م ، وهذه الدراسة الوحيدة على حسب علم الباحثان وإطلاعهما على الدراسات السابقة التي ربطت بين مفهوم المرونة . التصلب المعرفي وعلاقته بتحمل الغموض والأكاديمي وأوجدت علاقة دالة إحصائياً بين هذين المفهومين وبذلك فإن هذه الراسة تفتح الباب أمام الدراسات الأخرى في تناول مفهوم تحمل عدم تحمل الغموض وعلاقته بمتغيرات أخرى مثل التسلطية وأساليب القيادة وغيرها من المفاهيم السلوكية والنفسية.

مشكلة الدراسة :

يختلف الأفراد فيما بينهم على حسب استجابتهم للموقف المدرك الواحد حيث أن وجود الفروق الفردية أمر تدعمه الملاحظات اليومية ونظريات علم النفس بصفة عامة وتتمثل هذه الفروق على صور مختلفة منها نفسية ومزاجية وسلوكية تبعاً للأساليب المعرفية لديهم حيث أنها هي نمط الأداء الذي ينظم إدراكات الفرد مع المواقف الحياتية المختلفة ، وأن أسلوبي تحمل / عدم تحمل الغموض والتصلب أو المرونة هي واحداً من تلك الأساليب التي تتحدد على وفقها طبيعة الإدراك فقد يدرك بعض الأفراد الغموض في المواقف والمنبهات البيئية بدرجة معينة ترتبط مع الاستعداد لتحمل المواقف الغامضة وغير المألوفة في حين نجد أن هناك بعض الأفراد ليس لديهم أولا يفضلون التعامل مع ما هو غامض وغير مألوف مما يؤدي بهم إلى التعامل مع هذه المواقف أو المنبهات بدرجة من العصبية والتصلب في الآراء والقرارات وعليه يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية :

1. ما هو مستوى تحمل عدم تحمل الغموض ؟
2. ما هو مستوى التصلب / المرونة لدى عينة الدراسة ؟
3. هل توجد فروق في تحمل / عدم تحمل الغموض وفقاً للنوع (الذكور–الإناث) والتخصص الدراسي (علمي – أدبي) لدى عينة الدراسة ؟
4. هل توجد فروق في التصلب المرونة وفقاً للنوع (الذكور–الإناث) والتخصص الدراسي (علمي – أدبي) لدى عينة الدراسة ؟

اهمية الدراسة :

تعتبر الأساليب المعرفية من الجوانب المهمة في تحديد وبناء شخصية الفرد ومن ضمن هذه الأساليب هو الأسلوب المعرفي تحمل / عدم تحمل الغموض وكذلك أسلوب التصلب /المرونة وتكتسب أهمية هذه الدراسة من خلال تناولها لهذين الاسلوبين بالدراسة والتحليل والذي يتعلق بشريحة واسعة ومهمة من أفراد المجتمع الا وهم طلبة الجامعة لما لهم من دور مهم وفعال في بناء المجتمع وتطوره ، حيث انه في حالة الخلل في اي من هذين الاسلوبين المعرفيين لدى الفرد فان له تأثير على سماته الشخصية ، وكذلك ضعف قدرته على التوافق ومواجهة التطور والتغيير السريع الذي يحدث من حوله .

حيث بينت الدراسات ان الافراد المتحملون للغموض يستطيعون مواجهة كل المواقف الغامضة من خلال اسلوبهم المعرفي الذي يمييزهم و بالتالي معالجة المشاكل الغامضة والتعامل معها ، اما غير المتحملين للغموض فانهم لايستطيعون التعامل مع المواقف الغامضة بسهولة وبالتالي قد يوثر على طبيعة تعاملهم مع مواقف الحياة المختلفة .

أهداف الدراسة :

1. التعرف على مستوى تحمل / عدم تحمل الغموض لدى عينة الدراسة.
2. التعرف على مستوى التصلب المرونة لدى عينة الدراسة.
3. التعرف على الفروق في التصلب أو المرونة وفقاً لتحمل /عدم تحمل الغموض لدى عينة الدراسة.
4. التعرف على الفروق وفقاً للنوع (ذكور – إناث) والتخصص الدراسي (علمي – أدبي) في تحمل / عدم تحمل الغموض لدى عينة الدراسة .
5. التعرف على الفروق وفقاً للنوع (ذكور / إناث) والتخصص (علمي / أدبي) في التصلب أو المرونة لدى عينة الدراسة.

مصطلحات الدراسة :

1. أسلوب تحمل عدم تحمل الغموض : وهو يتعلق باستعداد الشخص لإدراك وتقبل الموضوعات التي تتعارض مع خبراته التقليدية فيقع في أحد قطبي هذا البعد ، الأشخاص الذين بمقدورهم تحمل الأحداث والأفكار التي لا تشبه ما هو مألوف وبالتالي فلديهم استعداد للتعامل مع الأحداث وإن كانت غامضة أما الطرف الآخر فهم الأشخاص الذين يفضلون ما هو تقليدي ولا يتحملون ما هو جديد أو غريب. **(عون عوض محيسن ، 2005 ، 35)**
2. التصلب المرونة : وهو ميل الفرد إلى التمسك بنظام ثابت وبعادات تقاليد اجتماعية ثابتة مع صعوبة التنازل عن فكرة أو رأي في مواجهته للمواقف الاجتماعية المختلفة. **(عبد الغفور ،1986 ، ص9)**

حدود الدراسة :

الحدود المكانية والزمانية :

تتحدد الدراسة الحالية بطلبة كلية الآداب والعلوم / جامعة طبرق للعام الدراسي 2019 . 2020م.

الإطار النظري

مفهوم الأسلوب المعرفي :

وهو الذي يوحد ما بين المتغيرات المعرفية والمتغيرات الخاصة بسمات الشخصية أو أنه الجانب التكاملي من الشخصية الذي يقوم بالربط بين الوظائف العقلية وسمات الشخصية ويقوم بالتأثير على صوت الذات لدى الفرد وعلى وجهة نظره تجاه العالم وعلى أسلوب حياته كذلك. **(عبد الحليم محمود السيد وآخرون ، 1989 ،ص 655)** ، ومن ثم فيمكن من خلال الأساليب المعرفية دراسة جوانب الشخصية المختلفة مثل الغموض والتصلب أو أي سمات أو متغيرات شخصية تتعلق بمدى قدرة الفرد على التوافق عبر المواقف الحياتية المختلفة.**(عجوة ، 1989 ، ص24)**

تصنيف الأساليب المعرفية :

تمكن وتكن وآخرون من تحديد مجموعة من الأساليب المعرفية التي تميز الأفراد في تعاملهم مع مواقف الحياة المختلفة والتي تعتبر أساساً يعتمد عليه بدرجة كبيرة من الدقة في التنبؤ بألوان سلوك الأفراد وقد افترض المهتمون بكل أسلوب من تلك الأساليب المعرفية أن التعرف على الأسلوب المعرفي والذي يعتبر أكثر تفضيلاً لدى صاحبه يساعد بطريقة أو بأخرى في فهم ألوان السلوك الإنساني بصفة عامة. **(نادية شريف ، 1982)**

وهناك العديد من تصنيفات الأساليب المعرفية لدى الباحثين حيث أشار **(فؤاد أبوحطب ، ص361 : 365)** إلى أنه توجد تصنيفات عديدة للأساليب المعرفية منها :

1. التسامح مع الغموض في مقابل عدم التسامح مع الغموض وتتمثل في الميل إلى الانغلاق عند الجشطلت في مقابل نقص هذا الميل عند بروان (Brawen).
2. التسامح مع الخبرة الواقعية في مقابل عدم التسامح معها عند كلاين وزملائه (Kleinet al).
3. التسوية في مقابل الإبراز عند ألبورت وبوستمان وكلاين وغيرهم.
4. المرونة في مقابل التصلب عند (ويشتر وجيلفورد).
5. العقلية المتفتحة في مقابل العقلية المنغلقة عن روكتيش.

6. الأسلوب التحليلي (الاستقلال عن المجال الإدراكي) في مقابل الأسلوب الشمولي (الاعتماد عن المجال الإدراكي) عند وتكن وزملائه.
7. التصنيف إلى فئات عريضة في مقابل في مقابل التصنيف إلى فئات ضيقة عند بيتجرو.
8. التكوين الشخصي البسيط في مقابل التكوين الشخصي المتعدد الأبعاد في نظرية كيلي.
9. استراتيجية المسح في مقابل استراتيجية البأورة عند برونر وزملائه.
10. الاستراتيجية الكلية في مقابل الاستراتيجية الجزئية لدى برونر وزملائه.
11. الأسلوب المتروي في مقابل الأسلوب الاندفاعي والذي أقترحه كاجان.

وفي ضوء التصنيفات السابقة للأساليب المعرفية فإن الأساليب التي سدت استخداماً والتي سوف نتناولها في بحثها الحالي هما :

1. تحمل الغموض في مقابل عدم تحمل الغموض.
2. التصلب في مقابل المرونة.

الخلفية النظرية للغموض :

لقد تناول ماكدوكال الغموض عندما حاول ربط بعض سمات الشخصية بمتغير الغموض (Nortem, 1975) حيث اعتبر ماكدوكال أن الشكل الغامض مثل مكعب نيكر بالإمكان استخدامه ليكون اختباراً موضوعياً للانبساط . الانطواء وكان يرى أن معدل التذبذب للشكل الغامض مكعب نيكر يتغير بسرعة لدى الانطوائيين من الانبساطيين. **(mcdougall, 1929.p.30)**

وقام نورتن 1975 بتحليل محتوي جميع البحوث التي تهتم بالغموض والمشار إليها مرجعياً بالملخصات النفسية وقد دونها في ملاحظات عن التنبيه الطبيعي ودرجة التغير هذه هي التي تحدد درجة غموضه ، كما يمكن أن يحدث تغيير في طبيعة التفسيرات أو الاستجابات من قبل المدرك للتنبيه وكذلك فإن درجة التغيير هذه هي التي تحدد درجة غموضه فمثلاً يدمج بعض الباحثين سلسلة من الصور بحيث تبدو مركزة أكثر فإمكان الصورة الأولى أن تدرك بدون غموض ولكن الصورة الثانية تكون غامضة وبدرجة معينة (**Atkinson & Pinel,1975,pp, 100-3**) حيث أن عدم الوضوح وعدم البنية والشك وعدم الاتساق شرطا ضرورياً للغموض فمن الممكن أن يتعامل الشخص مع هذه التنبيه بوضوح ويفهم أفضل فالغموض هنا قد يؤدي وظيفة في توسيع

المعلومات واللغة والفهم (**Norten, 1975, pp.291-6**) ويتجه نورتن إلى تبني تعريف لعدم تحمل الغموض موسوعة علم النفس أيزنيك 1972 على النحو التالي :

يعتبر الفرد غير قادر على تحمل التنبيه إذا فسر التنبيه على أنه مصدر يبعث على عدم الارتياح النفسي أو أنه يشكل تهديداً له. **(نفس المرجع السابق)**

تحمل الغموض كمتغير شخصية :

يعرف بودنر 1962 عدم تحمل الغموض بأنه الميل لإدراك (أي تفسير) المواقف الغامضة كمصدر تهديد أما تحمل الغموض فيعرفه بأنه الميل لإدراك المواقف الغامضة كمواقف مرغوبة وفي هذا التعريف نجد أن هناك عنصرين أساسين بحاجة إلى إيضاح هما :

أ. طبيعة المواقف الغامضة.

ب. طبيعة الإدراك كمصادر تهديد (Budver 1962,P40) ويوضح بودنر الموقف الغامض بأنه الموقف الذي لا يستطيع الفرد أن يفصله أو يضيعه في فئة بسبب وجود دلالات كافية ويمكننا أن نتعرف على ثلاثة من هذه المواقف هي :

- موقف جيد تماماً وجميع دلالاته غير مألوفة.
- موقف معقد بحيث يحتوي على عدد كبير من الدلالات وعلى الشخص أن يأخذها في اعتباره.
- موقف متناقض توحي العناصر المختلفة أو الدلالات المختلفة فيه بأنها بناءات مختلفة. **(عبد الغفور ، منصور عبد الآله ، 1986 ، ص 124)** ، ويرى البهادلي 1994 عبد الخالق نجم أن هناك موقف رابع يضاف إلى المواقف السابقة وهو موقف طارئ بحيث تحدث دلالاته فجأة وتمر بسرعة ويمكن أن نقول بأن المواقف الغامضة تتصف بالجدة ، أو التعقيد أو تعذر الحل.

أما بالنسبة لتحديد الميول لإدراك مصادر التهديد فهي استجابات الأفراد للتنبيهات تحدث على مستويين المستوى الظواهري والمستوى الإجرائي والعملي والمستوى الأول يحدث في عالم الإدراكات والمشاعر الفردية ، أما المستوى الثاني فإنه يحدث في عالم الأشياء الطبيعية والاجتماعية فالفرد من ناحية يدرك ويقيم ويشعر ومن ناحية أخرى يسلك أو يفعل فيما يتصل بالبيئة الخارجية وهذا سيساعدنا أن نحقق تقديراً أكثر دقة لتحمل أو عدم تحمل الغموض لأننا عندما نعتمد على التنبيهات المحدودة بمستويين من الاستجابة فهو أفضل من اعتمادنا على التنبيهات المحدودة بمستوى واحد فقط من الاستجابة وبناء على ذلك فما هي أن يتسم مدى الاستجابة للتهديد بصورة عامة بالنسبة للمستويين ؟ يمكن أن يتسم مدى الاستجابة للتهديد بصورة عامة إلى

قسمين الخضوع والرفض (Ibid, P42) حيث أن الخضوع هو إدراك الموقف كحقيقة وجودية غير قابلة للتوضيح ولا يستطع الفرد أن يغيرها . **(1Wallace 1971.PP.179-80)**

في حين يقصد بالرفض أداء فعل ما يتغير به الواقع الموضوعي(حتى ولو في عالم الفرد الظواهري فقط) لكي يلائم رغبات المدرك (**Maccoby, Et.al.1966PP.174-5**) ولهذا فإذا أظهر الشخص أي واحدة من الأنماط الآتية من الاستجابة رفض ظواهري (كتب ورفض أو خضوع ظواهري) (قلق وعد ارتياح) أو رفض عملي (سلوك تحطيم وإعادة بناء) أو خضوع عملي (سلوك هروبي) فإنه يكون من المقبول الاستدلال على أنه مهدد بطريقة ما ، فإذا ظهرت هذه الاستجابة رداً على مواقف تتميز بالجدة أو التعقيد أو عدم القابلية للحل فإذن نستدل على أن الشخص لا يتحمل الغموض.(**Budner, 1962, P46**).

التصلب . المرونة :

يدخل التصلب في كثير من مواقف حياة الفرد فيؤدي إلى إعاقة التوافق السليم لديه فعلى سبيل المثال يعوق التصلب قيام الاتصال بين المدرسين والتلاميذ ويعوق بالتالي قيام التوافق السليم حيث يشير إلى التصلب إلى تفسير الظواهر إدراكها بطريقة محددة بشكل متصلب وإلى عدم القدرة على تعديل الإدراكات وفقاً للتغيرات التي تطرأ على الظاهرة المدركة ففي المدرسة يميل الطلاب إلى النظر إلى المدرس أو المربي من خلال نفس الاتجاهات التي كونوها نحو آبائهم أو نحو القائمين على السلطة بوجه عام (فراج ، 1971) ويعتبر التصلب من سمات الشخصية التي تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية للفرد فمن خلال الدراسات التي أجريت في مجتمعات مختلفة تبين أن سلوك الأفراد يختلف من مجتمع إلى آخر وأن هذا الاخلاف يستمر لأنه ينتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء عن طريق التنشئة الاجتماعية فالتصلب يتأثر بالأساليب التربوية حيث نجد أن الفرد المتصلب يشعر بعدم الأمان الذي تمتد جذوره إلى التنشئة الاجتماعية للفرد التي تقوده منذ الطفولة إلى العدوانية التي غالباً ما لا تجد متنفساً لها من الوالدين .(الفرماوي ، 1994).

وقد وجد روكتيش أن الأشخاص المتعصبين في مقياس كاليفورنيا كانوا أكثر تصلباً في تفكيرهم من الذين هم أدنى تعصباً (**Leonard, 1953:345)** وتوصل شتاين في دراسة له إلى أن الأشخاص المتصلبين عقلياً يتسمون بأنهم ذو اتجاهات نفسية واجتماعية أكثر تطرفاً من الأشخاص غير المتصلبين كما يتسمون بأن اتجاهاتهم أكثر استقراراً عبر الزمن (**عبد الله ، 1997 ، ص 33**) فالتصلب يقف أمام التوافق النفسي

والاجتماعي للفرد حيث لا يستطيع الشخص المتصلب مواجهة المواقف والظروف التي يتعرض إليها (فراج : 1971).

الخلفية النظرية للتصلب :

عديدة هي الاتجاهات النظرية التي تناولت مفهوم التصلب وفيما يلي نعرض بإيجاز أهم هذه الاتجاهات :

التصلب العضوي :

تناول جولد شتاين التصلب معتمداً على وجهة النظر الفسيولوجية حيث يعرف التصلب بأنه عبادة عن التمسك بنوع من الأداء أو السلوك غير الملائم للموقف الحالي بمعنى أن الشخص المتصلب لا يغير سلوكه بما يقتضيه التغير الحادث في الموقف الخارجي وقد بنى شتاين وجهة نظره هذه من خلال ملاحظته على المرضى العصابين المصابين باضطراب في الجهاز العصبي (عبد الغفور ، 1986 :17) ولاحظ أن التصلب صفة أساسية في سلوكهم ويفسر ذلك بأن للمصاب بخلل في الجهاز العصبي يُحدث له هذا الخلل عزلاً لجزء ما من الجهاز العصبي وهذا العزل هو السبب في التصلب ويترتب عن ذلك عزل في مستويات الأداء العقلي بمعنى أن يكون لكل أداة وحدة منفصلة عن بقية أنواع الأدوات (رجيعة ، 1988:55) ويتصل العزل لدى شتاين بنوعين من التصلب وهي :

أ. التصلب الأولي : ويظهر في العجز عن الانتقال من نمط أو نظام معين إلى نمط إلى نظام آخر.

ب. التصلب الثانوي : ويتميز بضعف الاتجاه للتجريد الذي يتمثل في الاستدلال والوعي وحساب النتائج غير المباشرة للسلوك.

التصلب من وجهة نظر الجيشطالت :

ويعد كرت ليفين واحد من أبرز علماء الحيشتالت ويعرف التصلب بأنه التشبث بنمط سلوكي واحد وبدوافع وحاجات وأهداف ثابتة لا تتغير (عبد الغفور ، 1986 : 21) فالتصلب من وجهة نظر الحيشتالت ليس سمة سلوكية بل يشير إلى نوع من البناء النفسي أو مفهوم يشير إلى الخصائص في بناء الشخصية ويرى (كونين) أن تصلب السلوك الذي يمكن مشاهدته (كما هو الحال في السلوك الذي يوصف بأنه نمطي أو يتسم بالمداومة) لا يتفق مع تصلب مع حدود المناطق التي تحدد تكوين الشخصية وقد توصل

كونين إلى أن التصلب له علاقة طردية بالعمر وبدرجة الضعف العقلي أي كلما زاد الفرد في العمر كلما زاد تصلبه كما أن كلما ضعفت درجة الضعف العقلي لدى الفرد كلما زاد تصلبه (فراج ، 1971، ص 104).

التصلب وعدم تحمل الغموض :

يظهر التصلب في كثير من الأحيان في عدم تحمل الغموض الذي يمكن قياسه من خلال عدد من الاستجابات المتطرفة ، ويمثل مفهوم عدم تحمل الغموض سمة أكثر تجريداً من التطرف في الاستجابة وهي إن كانت تشير أحياناً إلى سلوك يمكن مشاهدته (مثل عدم ميل بعض الأشخاص إلى المواقف غير المألوفة والغامضة) إلا أنه يمثل درجة أعلى في تجريدها من التطرف إذ أنه من مشاهدة تكرار الشخص لاستجابات متطرفة يمكن استنتاج عدم تحمله للغموض ، ويتضح من دراسات فرنكل برونشفيك أن النفور من الغموض يؤدي إلى اتجاه تصلبي لتجنب الغموض مع أي نوع كان ويظهر هذا الاتجاه في الارتباط بما هو مألوف والتمسك الشديد بالأدوار والمعايير بالنماذج النمطية. **(خفاجي ، 1990 ، ص 13).**

الدراسات السابقة :

دراسة البهادلي 1994م : قام عبد الخالق نجم البهادلي 1994م بدراسة بعنوان تحمل الغموض وعلاقته بالتفوق لدى طلبة جامعة بغداد وقد شملت عينة البحث 672 طالب وطالبة وقد قام الباحث ببناء مقياس لتحمل الغموض وقد كان من ضمن أهداف بحثه معرفة الفروق بين الجنسين وكذلك التخصص في تحمل الغموض وقد توصل إلى أن الذكور أكثر تحملاً للغموض من الإناث والطلبة من ذوي التخصصات الإنسانية أكثر تحملاً للغموض من التخصصات العلمية.

دراسة بن بكر 1995م : قام جهاد علي سالم بن بكر بدراسة تحمل الغموض وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى طلبة جامعة اليرموك وتكونت عينة الدراسة من 617 طالباً وطالبة وقد استخدم في هذه الدراسة مقياس ديفيد ماكلين لتحمل الغموض ومقياس كامل لسمات الشخصية وقد كان من ضمن أهداف البحث التعرف على الفروق وفقاً للجنس ذكور وإناث في تحمل الغموض وكذلك التخصص وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أنه عدم وجود فروق ذي دلالة إحصائية وفقاً للتخصص وكذلك الجنس (ذكور . إناث).

دراسة الفتلاوي2009م : قام علي شاكر عبد الأئمة الفتلاوي بدراسة العجز المتعلم وعلاقته بالأسلوب المعرفي تحمل وعدم تحمل الغموض لدى طلبة جامعة القادسية حيث تكونت عينة الدراسة 125 طالب وطالبة من كلية

الآداب وقد استخدام مقياس (رشيد 2005) لقياس متغير تحمل . عدم تحمل الغموض وقد كان من ضمن أهداف الدارسة التعرف على الفروق وفقاً للجنس في تحمل عدم الغموض وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أنه لا توجد فروق بين الذ1كور والإناث في تحمل عدم تحمل الغموض.

دراسة عبد الرسول 2013م : قامت الباحثة أسماء حسن عبد الرسول بدراسة بعنوان (اثر تفاعل كل من أسلوب تحمل . عدم تحمل الغموض والقلق على التحصيل الدراسي لدى طلاب الجامعة) وتكونت عينة الدراسة 213 طالباً وطالبة وقد استخدمت الباحثة اختبار بودنر لتحمل عدم تحمل الغموض تعريب عبد العال حامد عبد العال عجوة 1989 وقد كان من ضمن فروض الدراسة يوجد فروق في التحصيل الدراسي بين ذوي أسلوب تحمل عدم تحمل الغموض وقد أوضحت النتائج عدم وجود فروق دالة في التحصيل الدراسي بين الطلاب متحمل الغموض والطلاب غير متحمل الغموض.

دراسة : خليل 2015م : قامت الباحثة رانيا محمد توفيق خليل بدراسة بعنوان المرونة والتصلب المعرفي وعلاقته بتحمل الغموض الأكاديمي لدى طلبة كلية التربية جامعة حلوان وتكونت عينة الدراسة 648 طالب وطالبة وقد استخدمت الباحثة مقياس المرونة . التصلب المعرفي إعداد الباحثة وقد كان من ضمن فروض الدراسة :

1. لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين متوسطي درجات الطلاب كلية التربية على مقياس المرونة . التصلب المعرفي ومقياس تحمل الغموض الأكاديمي.
2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب كلية التربية على مقياس المرونة . التصلب المعرفي تعزي إلى النوع (ذكور إناث).
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلاب كلية التربية على مقياس تحمل الغموض الأكاديمي تعزي إلى النوع (ذكور وإناث) وقد توصلت الباحثة إلى بعض النتائج منها:

- وجود علاقة ارتباطية موجبة بين المرونة . التصلب المعرفي وتحمل الغموض الأكاديمي.
- وجود فروق بين متوسطي درجات طلاب كلية التربية على مقياس المرونة . التصلب المعرفي تعزي النوع (ذكور إناث) لصالح الإناث.
- لا توجد فروق بين متوسطي درجات الطلاب كلية التربية على مقياس تحمل الغموض الأكاديمي تعزي إلى النوع (ذكور إناث).

التعقيب على الدراسات السابقة :

يمكن التعليق على الدراسات السابقة وفق الآتي :

أولاً من حيث العينة :

لقد تضاربت الدراسات السابقة في حجم العينات المختارة من المجتمع فقد كانت دراسة البهادلي 1994 ، 672 ودراسة بني بكر 1995 ، 617 ودراسة الفتلاوي 125 ودراسة عبد الرسول 2013 ، 213 ، دراسة خليل 2015 ، 648 طالب وطالبة وقد كانت جميع أفراد العينة من طلاب الجامعات.

ثانياً : من حيث الأداة المستخدمة :

بالنسبة للدراسات التي تناولت تحمل عدم الغموض فقد كانت الأداة المستخدمة لقياس تحمل الغموض لدراسة البهادلي 1994 فقد قام الباحث بينار مقياس لتحمل الغموض وأما بالنسبة لدراسة بني بكر 1995م فقد استخدم مقياس ديفيد مالكلين وأما النسبة لدراسة الفتلاوي 2009 فقد استخدم مقياس رشيد 2005 لقياس تحمل الغموض ودراسة عبد الرسول 2013 فقد استخدم مقياس بودنر لتحمل الغموض وأما بالنسبة لدراسة خليل 2015 فقد قامت الباحثة بإعداد مقياس لتحمل الغموض الأكاديمي وكذلك استخدمت مقياس مصطفى الحاروني وشحاتة محروس لقياس المرونة والتصلب المعرفي.

ثالثاً : من حيث الأهداف :

يتضح من الدراسات السابقة هناك من استخدم أهداف للدراسة مثل دراسة البهادلي 1994 ودراسة بين بكر 1995 ودراسة الفتلاوي 2009 أما بالنسبة دراسة خليل 2015 وعبد الرسول 2013 فقد استخدما فروض للدراسة للتأكد من صلاحيتها.

رابعاً : من حيث النتائج :

يتضح من نتائج الدراسات السابقة وجود تضارب في النتائج حيث بينت دراسة البهادلي 1994م أن الذكور أكثر تحملاً للغموض وكذلك الطلبة من ذوي التخصصات الإنسانية هم أكثر تحملاً للغموض أما بالنسبة لدراسة بني بكر 1995م فقد أوضحت الدراسة بأنه لا توجد فروق في تحمل الغموض تعزي إلى الجنس أو التخصص وكذلك هي نفس النتائج التي توصلت إليها دراسة الفتلاوي 2009م أما بالنسبة لدراسة عبد الرسول 2013م فقد قام بدراسة الفروق وفقاً لمتغير التحصيل في تحمل الغموض ولم تتوصل الدراسة إلى فروق ذات دلالة جوهرية بالنسبة لمتغير تحمل الغموض على التحصيل.

أما بالنسبة لدراسة خليل 2015 فقد توصلت هذه الدراسة بأنه توجد علاقة بين المرونة . التصلب المعرفي وتحمل الغموض الأكاديمي وكذلك توصلت هذه الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التصلب والمرونة لصالح الإناث إلى أن الإناث أكثر تصلباً وكذلك أوضحت هذه الدراسة بأنه لا توجد فروق ذي دلالة إحصائية في الغموض تعزي النوع ذكور إناث.

أما بالنسبة للدراسة الحالية فهي تتفق مع الدراسات السابقة في مجتمع الدراسة ألا هو طلاب الجامعة ولكنها تختلف على الدراسات السابقة في الأداة المستخدمة لقياس تحمل الغموض ففي هذه الدراسة سوف يتم استخدام مقياس محمد عبد التواب معوض لتحمل الغموض وكذلك الاختلاف في بعض الأهداف وسوف تتفق الدراسة الحالية بأنها سوف تدرس الفروق في التصلب المرونة وتحمل الغموض كذلك وفقاً للجنس والتخصص.

إجراءات الدارسة :

1. **مجتمع الدراسة :** يتكون مجتمع الدراسة الحالي من طلبة وطالبات كلية الآدب وكلية العلوم / جامعة طبرق للعام الدراسي 2019 . 2020 والبالغ عددهم (1780) طالب وطالبة موزعين على جميع الأقسام العلمية كلاً حسب كليته.
2. **عينة الدراسة :**لقد تم اختيار عينة الدراسة والبالغ عددها 120 طالباً وطالبة مثلت نسبة 6.7% من حجم المجتمع الإحصائي للبحث (طلبة كلية الآداب والعلوم) وتم اختيارهم بطريقة العشوائية الطبقية والجدول التالي يعرض تفصيل عينة الدراسة.

عينة الدراسة الأساسية

الكلية	الجنس		العدد الكلي
	ذكور	إناث	
الآداب	24	35	59
العلوم	36	30	66
المجموع	60	65	125

3. أدوات الدراسة : لجمع البيانات في الدراسة الحالية تم استخدام الأدوات الآتية :

- مقياس تحمل / عدم تحمل الغموض لمحمد عبد التواب معوض 2005 المقنين على البيئة المصرية والسعودية.
- مقياس التصلب / المرونة لـ عبد الغفور 1986.

وفيما يلي وصف الخصائص السيكومترية لكلا المقياسان :

1. **مقياس تحمل / عدم تحمل الغموض 2005** : يطبق المقياس فردياً أو جماعياً على الشباب في جمهورية مصر العربية والمملكة السعودية وليس هناك زمن محدد للتطبيق ولكن وجد من خلال التطبيق على الأفراد الساديين يستطيعون الإجابة في مدة تتراوح ما بين 25 و 30 دقيقة وذلك بعد إلقاء التعليمات وحل الأمثلة ويتم تقدير الدرجات تبعاً لدرجة إيجابية الفقرة أي أن في العبارات الموجبة تعطيه دائماً 4 درجات وكثيراً 3 درجات وأحياناً درجتان ونادراً درجة واحدة وتعكس هذه الدرجات في العبارات السالبة وهي عبارات أرقام (3 ، 8 ، 16 ، 17 ، 22 ، 24 ، 25) وطبقاً لهذا النظام تكون أقصى درجة يمكن أن يحصل عليها المفحوص في الاختبار كله (124) درجة كما تكون أقل درجة (31) وقد استخدم الباحث الصدق العاملي لعبارات المقياس وعددها (34) عبارة وبعد التطبيق على عينة قوامها 321 طالباً و 181 مصري و140 سعودي ثم صحح المقياس طبقاً لتقدير الدرجات السابق ذكرها وذلك باستخدام التدوير المتعامد وبعد استخدام التحليل العاملي حذفت 3 فقرات وبذلك أصبحا المقياس يتكون من 31 فقرة في شكله النهائي وذلك بعد تشبح أبعاد المقياس الأربعة وهي كما يلي :

- المقدرة على التعامل مع المواقف المتصارعة ويحتوي هذا البعد على 9 فقرات حيث كانت نسبة التشبع ما بين 0.36 في حدها الأدنى و0.71 في حدها الأعلى.
- القدرة المعرفية ويحتوي هذا البعد على 8 فقرات حيث كانت نسبة التشبع ما بين 0.36 . في حدها الأدنى و 0.72 في حدها الأعلى.
- حل المشكلات ويحتوي هذا البعد على 8 فقرات حيث كانت نسبة التشبع ما بين 0.39 في حدها الأدنى و 0.61 في حدها الأعلى.
- الشعور بالارتياح عند مواجهته المواقف المعقدة ويحتوي هذا البعد على 6 فقرات حيث كانت نسبة التشبع ما بين 0.35 في حدها الأدنى و 0.68 في حدها الأعلى.

وكما استخدم كذلك نوع آخر من أنواع الصدق وهو الصدق المرتبط بمحك حيث حسب معامل الارتباط بين هذا المقياس ومقياس صلاح أبو ناهية لتحمل الغموض وقد كان معامل الارتباط مساوياً 0.89

بالنسبة للعينة المصرية وهو دال إحصائياً وأما بالنسبة للعينة السعودية فقد كان معامل الارتباط 0.81 وهو دال إحصائياً كذلك.

ثبات المقياس :تم حساب ثبات المقياس بتطبيقه على نفس العينة التي استخدمت في حساب الصدق العاملي وذلك بطريقتين :

أ. معامل ألفا : تم حساب الثبات بهذه الطريقة للعوامل المختلفة للمقياس والمقياس كله على عينة قوامها (321) طالب 181 مصري و140 سعودي وتراوحت معاملات ثبات العوامل ما بين 0.61 ، 0.72 للعينة المصرية وما بين 0.57 ، 0.70 للعينة السعودية وجميع هذه المعاملات دالة عند مستوى 0.01.

ب. التجزئة النصفية : تم حساب معامل الارتباط بين جزئي الاختبار فكان مساوياً 0.48 وبتصحيح هذا المعامل بمعادلة سيبرمان براون أصبح معامل الثبات مساوياً 0.50 للعينة الكلية.

2. مقياس التصلب / المرونة :

يتكون المقياس من 50 فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد هي :

أ. التقيد بنظام أو أسلوب معين في كل نواحي الحياة.

ب. ليس من السهل عليه التنازل عن الفكرة|.

ج. التمسك حرفياً بتقاليد المجتمع.

حيث يوجد أمام كل فقرة خمسة بدائل (موافق تماماً ، موافق ، غير متأكد ، غير موافق ، غير موافق تماماً) وعلى المفحوص أن يختار أحد هذه البدائل ويحصل على 5 درجات إذا اختبار البديل (موافق تماماً) ويحصل على 4 درجات إذا اختبار البديل موافق ويحصل على 3 درجات إذا اختار البديل محايد ويحصل على درجتين إذا اختبار البديل (غير موافق) ويحصل على درجة واحدة إذا اختيار البديل غير موافق تماماً وتتكون الدرجة النهائية للمقياس 250 وأقل درجة للمقياس هي 50 درجة.

صدق وثبات اختبار التصلب في دراسة عبد الغفور 1986م :

1. الصدق : قام معد المقياس بحساب معاملات الارتباط بين درجات الفقرات والدرجة الكلية للمقياس حيث تراوحت بين 0.33 في حدها الأدنى و 0.78 في حدها الأعلى جميعها دالة إحصائياً.

الثبات : قام الباحث بحساب الثبات عن طريقة إعادة الاختبار بفاصل زمني مدته أسبوعان وبلغ الارتباط .0.79

نتائج الدراسة ومناقشتها :

سوف يتم عرض النتائج التي تم التوصل إليها وفقاً لأهداف الدراسة وهي كما يلي :

الهدف الأول : والذي ينص علي :

التعرف على مستوى تحمل / عدم تحمل الغموض لدى عينة الدراسة حيث تمت مقارنة المتوسط الحسابي للعينة بالمتوسط الفرضي لمقياس تحمل / عدم تحمل الغموض كما هو موضح بالجدول الآتي:

العينة	المتوسط الحسابي	الوسط الفرضي	الانحراف المعياري	القيمة الثانية		مستوى الدراسة
				المحسوبة	الجدولية	
125	81.72	77.5	4.36	6.22	1.96	0.05

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للعينة ككل هو (81.72) بانحراف معياري 4.36 درجة وعند مقارنة هذا المتوسط بالمتوسط النظري للمقياس 77.5 وباستخدام الاختبار التائي لعينة واحد ظهر إن القيمة التائية المحسوبة البالغة 6.22 درجة أكبر من القيمة الجدولية البالغة 1.96 عند مستوى دلالة 0.05 بدرجة حرية 124 وهذه النتيجة تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العينة والمتوسط الفرضي للمقياس مما يدل على أن العينة لها القدرة على تحمل الغموض.

ومما سبق نستنتج تمتع أفراد العينة بقدر مقبول من الإدراك للواقع وإدراك الأساليب الشخصية للآخرين بمعنى أن أفراد العينة تتوفر لديهم مستويات مقبولة من آليات التوافق الاجتماعي وبذلك يمكننا القول أن أفراد العينة يمتازون بنمط شخصية يتوافق مع المواقف الغامضة وأن لديهم أسلوباً للحياة قادراً على التعايش مع الغموض وتحمله.

الهدف الثاني : والذي ينص على :

التعرف على مستوى التصلب / المرونة لدى عينة الدراسة وعند مقارنة المتوسط الحسابي للعينة بالمتوسط الفرضي لمقياس التصلب / المرونة أوجد الآتي:

العينة	المتوسط الحسابي	الوسط الفرضي	الانحراف المعياري	القيمة الثانية		مستوى الدراسة
				المحسوبة	الجدولية	
125	45	60	6.23	1.37	1.96	0.05

يتضح من هذا الجدول أن المتوسط الحسابي للعينة 45 بانحراف معياري 6.23 وعند مقارنة هذا المتوسط بالمتوسط الفرضي للمقياس 60 درجة وباستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة ظهرت أن القيمة التائية المحسوبة البالغة 1.37 أقل من القيمة التائية الجدولية 1.96 عند مستوى دلالة 0.05 بدرجة جدية 124 وهذه النتيجة تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط العينة والمتوسط الزمني للمقياس مما يدل أن العينة لها قدر كبير من المرونة وهذه النتيجة تشير إلى أن أفراد العينة لهم قدر كبير من المرونة في أساليب حياتهم ومعايشتهم للآخرين ، وأن نظامهم المعرفي منغلقاً وإنما لديهم المقدرة في تفهم وجهات نظر الآخرين وأن أحكامهم لا تتصف بالتصلب والرأي الواحد.

الهدف الثالث والذي ينص على :

التعرف على الفروق بين الذكور / الإناث والتخصص الدراسي (علمي / أدبي) في تحمل / عدم تحمل الغموض ولمعرفة الفروق في متغيري الدراسة (النوع والتخصص) تحت مقارنة بين متوسطاتهم في تحمل / عدم تحمل الغموض والجدول التالي يوضح ذلك :

النوع / التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
ذكور	60	83.2	23.58	4.01	1.96	0.05
إناث	65	79.7	24.69			
التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
علمي	66	77.2	22.66	6.56	1.96	0.05
أدبي	59	81.3	24.05			

يتضح من الجدول السابق بأنه توجد فروق وفقاً للنوع ذكور / إناث لصالح الذكور حيث بلغت قيمة (T 4.01) وهي أعلى من القيمة الجدولية بمقارنة المتوسطات يتضح أن متوسط الذكور أعلى من متوسط الإناث وجاءت هذه النتيجة متوافقة مع دراسة البهادلي 1994م التي أوضحت أن الذكور أكثر تحملاً للغموض وربما يرجع ذلك إلى التنشئة الاجتماعية بالنسبة للذكور في المجتمع الليبي وخروجهم إلى الواقع الاجتماعي أكثر من الإناث وكذلك قدرتهم في التنبؤ بسلوكيات الآخرين وقراءتهم الجيدة للواقع الذي يعيشون فيه وعند مقارنة متوسطات الطلبة من ذوي التخصصات العلمية والأدبية يتضح أن متوسط الطلبة من ذوي

التخصصات الأدبية هم أكثر تحملاً للغموض حيث كانت قيمة ت المحسوبة أكبر من الجدولية عند مستوى دلالة 0.05م وتوافقت هذه الدراسة كذلك مع نتائج دراسة البهادلي 1994م التي أوضحت كذلك بأن الطلبة من ذوي التخصصات الإنسانية هم أكثر تحملاً للغموض من الطلبة من ذوي التخصصات العلمية وعلى الرغم بأن الدراسات السابقة الأخرى لم تجد فروق تعزى لمتغير التخصص ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الطلبة من ذوي التخصصات الأدبية يوجد في مناهجهم وجهات نظر في الحقائق التي يدرسونها وليس ما يوجد في التخصصات العلمية بأن هناك حل واحد ولا يوجد حل آخر ربما هذه الحقيقة هي ما تجعل الطلبة من ذوي التخصص العلمي هم أكثر انغلاقاً في نمطية تفكيرهم.

الهدف الرابع : والذي ينص على :

التعرف على الفروق بين الذكور والإناث والتخصص الدراسي (علمي – أدبي) في التصلب / المرونة ولمعرفة الفروق في متغيري الدراسة (النوع والتخصص) تمت مقارنة بين متوسطاتهم في التصلب / المرونة والجدول التالي يوضح ذلك :

النوع / التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
ذكور	60	55.4	2.69	7.01	1.96	0.05
إناث	65	69.7	4.70			
التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
علمي	66	79.18	12.13	4.19	1.96	0.05
أدبي	59	56.8	9.87			

يتضح من الجدول السابق أن متوسط الذكور والبالغ 55.4 أقل من متوسط الإناث البالغ 69.7 وعند إجراء اختبار T لدلالة الفروق وجد بأن هناك فروق بين المتوسطين لصالح الإناث ، أي أن الإناث أكثر تصلباً من الذكور وجاءت هذه النتيجة متوافقة مع دراسة خليل 2015 وربما يرجع ذلك إلى تنشئتهن الاجتماعية وأنهن أكثر انغلاقاً في تفكيرهن من الذكور حيث أن التربية في المجتمع الليبي لا تسمح بتدخلهن في الشؤون الاجتماعية الخاصة ببعض قرارات الاجتماعية.

كذلك أن المتوسط الحسابي للطلبة من ذوي التخصصات العلمية أعلى من المتوسط الحسابي للطلبة من ذوي التخصصات الأدبية وعند استخدام الاختبار الإحصائي لدلالة الفروق T أوجد بأن هناك فرق بين المتوسطين أي أن الطلبة من التخصص العلمي هم أكثر تصلباً من طلبة التخصص الأدبي وربما تفسر هذه النتيجة بأن التخصص العلمي لا يسمح بالتفسيرات والاجتهادات الشخصية كما الدراسة في التخصص الأدبي التي يوجد بها تفسيرات ترجع إلى رؤية الفرد القارئ والمتلقي على عكس الدراسة بالتخصص العلمي التي لا تسمح بمثل هكذا تفسير.

التوصيات والمقترحات :

أولاً : التوصيات :

1. إعداد برامج توجيهية وإرشادية للأسر من أجل توعية أولياء الأمور بعد فرض معايير تربوية قاسية على الأبناء تجعلهم يتبنون نظام فكري جامد ومتصلب وأن يروا الأمور من جانب واحد فقط.
2. وضع برنامج فعال لتحسين الأداء لدى الطلاب مع مراعاة الفروق الفردية في الإدراك وغيره من الأساليب المعرفية حتى يتسنى لهم التفكير بتجرد من غير تأثير خبرة سابقة لديهم في إدراك أفكار وتوجهات الآخرين.
3. على المهتمين بالجانب التعليمي توفير جميع المستلزمات المادية والمعنوية لتطوير التعليم وإدخال أحدث الوسائل والتقنيات الحديثة لدعم الجانب المعرفي.

ثانياً : المقترحات :

1. إجراء دراسة لتحمل / عدم تحمل الغموض المعرفي وعلاقته بالدوجتماتية (التسلطية) لدى طلبة الجامعة.
2. إجراء دراسة لمعرفة علاقة أساليب المعاملة الوالدية بتحمل / عدم تحمل الغموض لدى طلبة الجامعة.
3. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على طلبة المرحلة الثانوية.
4. تشجيع الطلبة على تقبل وجهات النظر الأخرى وأن لا يوجد أمر وخاصة في العلاقات الإنسانية أسمه أبيض أو أسود.

قائمة المراجع والمصادر :

1. مخلوف ، عادل محمد (1996) ، الأساليب المعرفية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية.
2. عبدة ، عبد الهادي السيد (1995) ، تحمل / عدم تحمل الغموض وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب الجامعة ، مجلة كلية التربية بالمنصورة ، العدد 10 ، الجزء 1.
3. محيسن عوض عوض (2005) ، الأساليب المعرفية وعلاقتها ببعض المتغيرات الوجدانية والمعرفية لدى طلبة جامعة الأقصى بغزة ، رسالة ماجستير ، جامعة الأقصى ، كلية التربية.
4. عبد الغفور ، منصور عبد الاله (1986) ، المرونة التصلب لدى تلاميذ المرحلة الثانوية وآبائهم بمحافظة قنا وعلاقتها باتجاهاتهم نحو التعليم المختلط ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط.
5. عبد الحليم محمود السيد وآخرون (1989) ، علم النفس العام ، ألقاهرة ، دار آتون للنشر ، الطبعة 2.
6. عجوة ، عبد العال حامد (1989) ، الأساليب المعرفية وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية ، دراسة عاملية ، رسالة دكتوراه ، كلية لتربية ، جامعة المنوفية.
7. نادية شريف (1982) ، الأساليب المعرفية الإدراكية وعلاقتها بمفهوم التمايز النفسي ، مجلة عالم الفكر ، العدد 2.
8. فؤاد أبو حطب (1983) ، ألقدرات العقلية ، ألقاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة 3.
9. البهادلي ، عبد الخالق نجم (1994) ، تحمل الغموض وعلاقته بالتفوق لدى طلبة الجامعة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد.
10. فراج محمد فرغلي (1971) ، مرض النفس في تطرفهم واعتدالهم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
11. الفرماوي ، محمد علي (1994) ، الأساليب المعرفية بين النظرية والبحث ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية.
12. عبد الله معتز سيد (1997) التعصب دراسة نفسية اجتماعية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
13. رجية ، عبد الحميد عبد العظيم (1988) علاقته الدوجتماعية والتسلطية والتصلب بنوع التعليم والتحصيل الدراسي والجنس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة طنطا.

14. خفاجي ، فاطمة أحمد (1990) ، في الصحة النفسية المرونة . التصلب للعاملات والغير عاملات ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعي.
15. بني بكر ، جهاد علي سالم (1995) ، تحمل الغموض وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى طلبة جامعة اليروموك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، عمان ، الأردن.
16. الفتلاوي ، علي شاكر عبد الأئمة (2009) ، العجز المتعلم وعلاقته بالأسلوب المعرفي تحمل / عدم تحمل الغموض لدى طلبة الجامعة ، جامعة القادسية ، العراق.
17. عبد الرسول أسماء حسن (2013) ، أثر تفاعل كل من أسلوب تحمل وعدم تحمل الغموض والقلق على التحصيل الدراسي لدى طلاب الجامعة ، مجلة كلية التربية بالسويس ، المجلد السادس ، الدور الأول.
18. خليل ، رانيا محمد توفيق أحمد ، المرونة التصلب المعرفي وعلاقته بتحمل الغموض الأكاديمي لدى طلبة كلية التربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلوان ، مصر.
19. Frenkel-bruswid,E, (1948) tolevance Toward Ambiguity As a personality variable. The American psychologist (vol,3,P.268).
20. Mcdougall, W (1929) the chemical theory of temperament Applied to introversion and extroversion, journal of abnormal and social psychology (vol. 24,pp, 293-309).
21. Atkinson, RC, & pinel, J.P, (1975) psychology in progress San Francisco: freeman and company.
22. Norton, R.W, (1975) Measurement of Ambiguity tolerance journal of personality assessment (vol, 39, No.6.pp.607-619).
23. Budner, S, (1962) international of Ambiguity as a personality variable, journal of personality (vol,30,pp.29-50).
24. Maccoby, E E., et.al (1966 reading in social psychology London: Methuen).
25. Wallace, J., (1971). Psychology a social science Philadelphia: saunders.
26. Leonard. Goodstein (1953) intellectual rigidity and social attiudes, the journal of abnormal and social psychology. Vol, 48,No.3.PP354-353.
27. Frenkel-bruswid,E, (1948) tolevance Toward Ambiguity As a personality variable. The American psychologist (vol,3,P.268).
28. Mcdougall, W (1929) the chemical theory of temperament Applied to introversion and extroversion, journal of abnormal and social psychology (vol. 24,pp, 293-309).

29. Atkinson, RC, & pinel, J.P, (1975) psychology in progress San Francisco: freeman and company.
30. Norton, R.W, (1975) Measurement of Ambiguity tolerance journal of personality assessment (vol, 39, No.6.pp.607-619).
31. Budner, S, (1962) international of Ambiguity as a personality variable, journal of personality (vol,30,pp.29-50).
32. Maccoby, E E., et.al (1966 reading in social psychology London: Methuen).
33. Wallace, J., (1971). Psychology a social science Philadelphia: saunders.
34. Leonard. Goodstein (1953) intellectual rigidity and social attiudes, the journal of abnormal and social psychology. Vol, 48,No.3.PP354-353.

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

تطور عمليات الأمم المتحدة للسلم والأمن الدوليين بعد الحرب الباردة

د. إدريس محمد علي قناوي

أكاديمية الدراسات العليا – بنغازي

Idrisganawy@yahoo.com

د. محمد صالح عمر على

كلية الاقتصاد – جامعة أجدابيا

bomatri@gmail.com

العدد: الأول

يناير 2020

مقدمة :

تستند منظمة الأمم المتحدة في مباشرة حفظ السلم و الأمن الدوليين، على عدد من الوسائل والآليات، منها ما يندرج ضمن الأطر التقليدية المعروفة في القانون الدولي، ومنها ما يمثل إجراء وليد الحاجة، لحالة صراع يتطلب وسيلة سريعة لاحتوائه أومنع تطوره أو تصعيده.

وللأمم المتحدة وسائل أو آليات متعددة لحفظ السلم والأمن الدوليين تضمنها الميثاق وهي الوسائل والآليات السلمية والوسائل غير السلمية، فقد خصص الفصل السادس للوسائل السلمية لحل الصراعات الدولية والتي يجب إتباعها لحفظ السلم والأمن الدوليين، أما الوسائل غير السلمية فقد حددها الفصل السابع من الميثاق، وهناك آلية لم يذكرها الميثاق ولكن تم اختراعها في سبيل تنفيذ السلم والأمن الدوليين وهي عمليات حفظ السلم الدولية حيث يعتبر حفظ السلم و الأمن الدوليين من أهم التحديات التي واجهتها الأمم المتحدة، فقد إصطدمت في سبيل تحقيق هذا الهدف بالعديد من الصعوبات التي أدت إلى عجزها عن أداء مهامها ، وأمام ذلك إبتكرت الأمم المتحدة آليةً تحقق قدرًا من الاستقرار في العديد من مناطق التوتر في أنحاء العالم من خلال مواجهة أنماط الصراعات والأزمات الدولية المختلفة .

وقد أصطلح علي تسمية هذه الآلية بإسم عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين، وهذه الآلية لم تكن معرفَّة بصورة محددة في الميثاق إذ تمثل إجراء أملته الحاجة الملحة لتعويض عجز مجلس الأمن في مجال المحافظة على السلم والأمن الدوليين من جهة و من جهة أخرى كإجراء وليد الحاجة في ضوء تطور العلاقات الدولية وتزايد عمليات التحرر وبروز صراعات مسلحة لم تكن معهودة من قبل لم يتطرق ميثاق الأمم المتحدة لمعالجتها كالصراعات الداخلية والعرقية والتي قد تتخذ صورة النفي و التهجير والتصفيات الإثنية والإبادة الجماعية ...الخ .

ولعل الأهم من ذلك تعذر في بعض الأحيان اللجوء إلى الأساليب السلمية لحل مثل هذه الصراعات التي عادة ما تتطلب وقتا لحلها قد يطول وهنا كان لابد من اللجوء إلى استخدام آلية سريعة لاحتوائها و تسويتها حتى لا تتطور إلى صراعات مسلحة حيث تقوم هذه الآلية بخلق مناطق عازلة بين الأطراف المتصارعة لحين الظروف المناسبة للتسوية السلمية .

ولأهميتها فقد شهدت تطورات كبيرة وتزايدت في حجمها وفي طريقة عملها ، وفي هذا الصدد تسعي هذه الورقة البحثية إلي تفحص المقصود من هذه العمليات وأهم أبعادها وتطوراتها خصوصا بعد الحرب الباردة

حيث شهدت تطورا في آلية عملها وتوسعا وتعقدا في مجال نشاطها ليتجاوز العمل العلاجي للصراع إلي العمل الوقائي ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة لكونها تسعي إلي متابعة ورصد التطورات التي حدثت في آليات تسوية الصراعات في الأمم المتحدة بعد الحرب الباردة وبشكل خاص في الآليات الجديدة التي صممت لتسوية الصراعات التي تنشأ سواء بين الدول أو داخل الدول وتقوم هذه الدراسة علي فرضية مؤداها أن انتهاء الحرب الباردة بين القطبين في النظام الدولي أدي إلي التطور في آليات تسوية الصراعات بالأمم المتحدة . وللتحقق من مدي صحة هذه الفرضية سيتم التركيز علي عدد من المتغيرات التي تساعد في تحديد مسار الدراسة من أهمها :-

1- التطرق إلي نصوص ميثاق الأمم المتحدة التي توضح التسوية السلمية للصراعات الدولية.
2- التعرف علي خصائص ومبادي عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين في فترة الحرب الباردة.
3- تتبع التطورات التي حدثت لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين بعد الحرب الباردة وإستخدامها للوسائل الوقائية في تسوية الصراعات .
4- التطرق إلي بعض المتغيرات السياسية التي حدثت بعد الحرب الباردة وكان لها دور في تطور آليات تسوية الصراعات في الأمم المتحدة.

وسيتم الاستعانة بأدوات بحثية متعددة منها الدراسة المكتبية وذلك باستخدام الكتب والمطبوعات والدوريات والرسائل الجامعية المتعلقة بجوانب الدراسة ناهيك عن تحليل ورصد البيانات والمعلومات ذات العلاقة بالدراسة ، وهذا يتطلب تقسيم الدراسة إلي مبحثين:

نتناول في المبحث الأول الوسائل السلمية وغير السلمية لحفظ السلم والأمن الدوليين التي تناولها الفصل السادس وهي تعتبر من أحسن الوسائل لحل الصراعات الدولية وأيسرها وتكمن هذه الوسائل في المفاوضات والوساطة والتحقيق والتوفيق والتحكيم الدولي والتسوية القضائية، أو اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها. وأما الوسائل غير السلمية فقد تضمنها الفصل السابع من الميثاق وكذلك يتم التعرف علي عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين باعتبارها آلية وليدة الحاجة في فترة الحرب الباردة .

وفي المبحث الثاني نتناول التطور في عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين واتجاهاتها الجديدة في فترة ما بعد الحرب الباردة من خلال استخدام الأساليب الوقائية لحفظ السلم وعمليات بناء السلم والتطور الذي

حدث لتلك الآليات في تسوية الصراعات ، فيما يسمى بأجندة للسلم أو برنامج السلم التي تخدم العمل الرامي إلى منع نشوء الصراعات بين الدول ومنع تصعيدها ، ووقف انتشارها .

المبحث الأول :الوسائل السلمية وغير السلمية لحفظ السلم والأمن الدوليين

أولا :الوسائل السلمية المتبعة لحفظ السلم والأمن الدوليين :

في 26 يونيو 1945 ، وقعت خمسون دولة على ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو ، والذي دخل حيز التنفيذ في 24 أكتوبر 1945. خلفًا لعصبة الأمم وبدعم من الحكومة الأمريكية ، حيث نص الميثاق في المادة (1) علي أسس نظام الأمن الجماعي العالم[1]. وتهدف الأمم المتحدة إلي حفظ السلم والأمن الدوليين وإنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ المساواة في الحقوق وتقرير المصير للشعوب وتحقيق التعاون الدولي في حل المشاكل الدولية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني وليكون الميثاق مرجعا لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة [2].

وفي السعي إلى تحقيق هذه الأغراض تطلب الأمم المتحدة من الدول الأعضاء فيها أن تتصرف وفقا للمبادئ السبعة المنصوص عليها في المادة { 2 } من ميثاق الأمم المتحدة وأهم هذه المبادئ وجدت في الفقرة { 4 } من المادة { 2 } وهو حظر استخدام القوة المسلحة .[3] وبالرغم من أن التوجهات الأساسية التي تقوم عليها هذه المبادئ هي المساواة في السيادة بين جميع الدول الأعضاء، والتسوية السلمية للمنازعات فإن المادة { 2 } تعترف صراحة على أولوية تطبيق الفصل السابع من قبل سلطة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في المسائل التي تدخل في الاختصاص المحلي لأي دولة ، وقد منحت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مجلس الأمن المسؤولية الرئيسية عن صون السلم والأمن الدوليين، وتوافق على أن في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات يتصرف نيابة عنهم[4].

فالمادة { 40 } من ميثاق الأمم المتحدة تخول مجلس الأمن تمرير القرارات التي تهدد السلم الدولي وإذا فشلت الدولة في الامتثال لقرارات مجلس الأمن فقد يدعو لتنفيذ العمليات العسكرية لإجبار الدولة علي الامتثال وهدف مجلس الأمن في الدعوة لاتخاذ إجراءات عسكرية هو منع الدولة من خرق السلام [5].

وحددت المادة { 33 } من الفصل السادس في الميثاق الوسائل والطرق المعترف بها على صعيد العمل الدولي لتسوية وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية وتقسم هذه الوسائل إلى وسائل دبلوماسية وسياسية وأخرى قضائية وكذلك اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية[6].

فالمادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة تحدد الآليات الرئيسية لتسوية الصراعات الدولية بالوسائل السلمية فهي تنص "يجب على أطراف أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض للخطر حفظ السلم والأمن الدوليين، بما يلي: أولا وقبل كل شيء إيجاد حل عن طريق التفاوض والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية أو اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها وتشمل الوسائل الدبلوماسية التفاوض والتشاور والوساطة والتوفيق والتحقيق ، وتحت الوسائل الدبلوماسية يحق لأطراف النزاع الاحتفاظ بالسيطرة على نتائج النزاع في أنها تظل حرة في قبول أو رفض أي اقتراح للحل [7]" وبالمقابل فإن الآليات القانونية أو القضائية التي تشمل التحكيم والتسوية القضائية قراراتها تعتبر ملزمة لأطراف الصراع .[8]

وكما جاء في الفقرة الثالثة من المادة الثانية من الميثاق أن من مبادئ الأمم المتحدة أن" يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على نحو لا يجعل السلم والأمن الدوليين عرضه للخطر "[9] ويستثني استخدام القوة وفقا للفقرة الرابعة من المادة الثانية من الميثاق في حالة الدفاع عن النفس والتدابير الأمنية المتخذة الجماعية تحت سلطة مجلس الأمن [10]. وتتمثل وسائل وآليات الحل السلمي فيما يلي :-

أولا : الوسائل الدبلوماسية والسياسية :- وتعتبر هذه الوسيلة من أحسن الوسائل السلمية لحل الصراعات الدولية وأيسرها وتكمن هذه الوسائل فيما يلي :-

1- **المفاوضات** : هي عملية اتخاذ القرارات المشتركة بين الأطراف المتفاوضة ذات المصالح والمواقف المتناقضة من أجل التوصل إلى اتفاق متبادل ومنفعة مرضية، وتتضمن عادة الحوار من أجل حل المشاكل ومناقشة المواضيع المختلف حولها ، وكذلك المساومة وتبادل التنازلات مع استخدام تكتيكات تنافسية .[11]

إذن التفاوض هو عنصر مركزي في عمليات صنع السياسات وفي وضع جداول الأعمال لتحديد ما هي القضايا التي ينبغي معالجتها من قبل صانعي السياسات واستكشاف الخيارات وإيجاد الحلول وتأمين الدعم اللازم من الجهات المعنية من أجل ضمان أن السياسات المختارة هي الأفضل[12].

فالمفاوضات هي وسيلة للاتصال وإدارة الصراع ويمكن أن تلعب دورا حيويا في مساعدة واضعي السياسات للحصول على فهم أفضل للقضايا المعقدة والعوامل والديناميات الإنسانية التي تكمن وراء القضايا السياسية المهمة .[13] والتفاوض يعتبر أكثر وسائل السيطرة على الصراع لأن أطرافه تعمل معا على حل الصراع .[14] ويري صائب عريقات أن التفاوض علم يقوم علي تداخل العلوم ففي حدود تعيش السياسة والعلوم الطبيعية والاكتشافات العلمية والموارد الطبيعية والاقتصاد والأديان والقيم والأعراف وصناعة القرار وعلم النفس [15]. وإذا كان الطرفان لا يمكن أن يعملا معا على حل الصراع فإنهما قد يستخدمان طرف ثالث محايد كوسيط والذي يساعد الأطراف المتنازعة علي حل الصراع وهو ما نراه في الوسيلة التالية وهي الوساطة .

2- **الوساطة** : الوساطة الدولية شكل من أشكال إدارة الصراع الذي يساعد طرف ثالث اثنين أو أكثر من الأطراف المتنازعة لإيجاد حل دون اللجوء إلى القوة .[16] وعرفت الوساطة علي أنها عملية إدارة الصراع تتعلق بجهود الأطراف ذاتها حيث تطلب الأطراف المتصارعة مساعدة أو تقبل عرضا بالعون من فرد أو جماعة أو دولة أو منظمة لتغيير أو التأثير في مدركاتها أو سلوكها دون اللجؤ إلي القوة المادية أو مناشدة سلطة القانون [17]. وتعتبر المادة { 33 } من ميثاق الأمم المتحدة الوساطة باعتبارها واحدة من الوسائل السلمية التي يجب علي أطراف الصراع اتباعها لحل خلافاتهم وكذلك بموجب المادتين { 36 و 37 } من الميثاق يجوز لمجلس الأمن الدولي في كافة مراحل الصراع أن يوصي بإجراءات أو أساليب مناسبة للتسوية بما في ذلك الوساطة .[18]

الوساطة هي طريقة لإدارة الصراع حيث يقوم الوسيط بجمع الأطراف المتصارعة علي طاولة المفاوضات لإيجاد حلول لمشاكلهم ويقوم بتمهيد النقاش وتدفق المعلومات والمساعدة في عمليات التوصل إلى اتفاق .[19] وعادة ما ينظر للوساطة كمجموعة من الأنشطة التي يسعي الوسيط فيها إلي تسهيل تسوية الصراع ومن المفيد أن نميز بين مجموعة متنوعة من خدمات الوساطة في الصراعات الدولية وهي [20]:-

- فهناك الخدمات التي تقدم من قبل مجموعة أشخاص كوسطاء.

- وقد يتم توفير بعض هذه الخدمات من قبل شخص واحد كما في السفراء وكبار المفاوضين ، ويمكن الإشارة علي سبيل المثال إلي دور الوسيط الدولي { الأخضر الإبراهيمي } ودوره في حل الصراع الحالي في سوريا .

وميثاق الأمم المتحدة يحدد الوساطة باعتبارها وسيلة هامة من أجل التسوية السلمية للصراعات وقد أثبتت أنها أداة فعالة لمعالجة الصراعات بين الدول وداخل الدول ، كما أن دليل الأمم المتحدة بشأن التسوية السلمية للصراعات بين الدول الصادر سنة (1992) وضع مفهوما واضحا للوساطة في الصراعات بين الدول وأصبح مصدرا مفيدا في هذا الإطار .[21]

كذلك تقرير الأمين العام بشأن تعزيز الوساطة ودعم أنشطتها رقم (S/2009/189) بحث تحديات الوساطة التي تواجهها الأمم المتحدة وشركائها وأوجز بعض الاعتبارات لتعزيز عمليات الوساطة وتقديم الدعم للوسطاء الفاعلين في مساعيهم للتكيف وتعزيز القدرات على تلبية الطبيعة المتغيرة للصراعات لا سيما في ضوء الصراعات داخل الدولة بوصفها تهديدا للسلم والأمن الدولي والإقليمي .[22]

ويمكن لوساطة الطرف الثالث أن تتم بناء على مسارات مختلفة وأنواع متعددة ومن المهم أن نفرق بين الوساطة الرسمية استنادا إلى تفويض وجدول الأعمال وقواعد الاتصال المتفق عليها والوساطة غير الرسمية بما في ذلك أنشطة المسار الثاني مثل تيسير الحوار وحل المشكلة، وكذلك الوساطة المحلية عن طريق وسطاء من الداخل ومع ذلك من الناحية الواقعية يصعب معرفة الخطوط الفاصلة بينهما .[23] فالمسار الثاني للوساطة ينطوي على حوار غير رسمي وأنشطة حل المشكلات الذي يهدف إلى بناء العلاقات وتشجيع التفكير الجديد الذي يمكن أن يثري عملية الوساطة الرسمية ، وتشمل أنشطة المسار الثاني عادة قادة المجتمع المدني والأكاديميين ورجال الدين والمنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات الفاعلة في المجتمع المدني التي يمكن أن تتفاعل بحرية أكثر من المسؤولين الرسميين .[24] وقد شهدت السنوات الأخيرة نموا كبيرا في مجال الوساطة وتنوعا لم يسبق له مثيل من الوسطاء الدوليين تمييزا لهم عن الوسطاء الوطنيين ويمكن تمييز ثلاث تحولات متميزة وهي كما يلي [25]:-

1- الأول وهو الابتعاد عن الوساطات بشكل خاص من قبل الأمم المتحدة تجاه المنظمات والدول الإقليمية .

2- الثاني وهو ظهور مجموعة واسعة من ترتيبات جديدة لصنع السلام ودعمها وأبرزها ائتلافات الدول المعروفة باسم " مجموعة الأصدقاء" أو "مجموعات الاتصال" كما حدث في الفترة الأخيرة في مجموعة أصدقاء ليبيا ومجموعة أصدقاء سوريا.

3- والثالث وهو ارتفاع في إشراك الوسطاء الدوليين المستقلين بما في ذلك المنظمات الخاصة (مثل مركز Humanitarian Dialogue أو جماعة Sant'Egidio) ومركز كارتر لدعم المفاوضات .

وهناك عدة سمات يجب أن تتوفر في الوسطاء أنفسهم وهي تؤثر أيضا على فرصهم في النجاح وهي كما يلي [26]:-

أ- عدم التحيز أو الموضوعية . ب- المكانة أو المنزلة لدي الوسيط . ج- القدرة والتأثير .

3- **التحقيق** :- يقصد بالتحقيق البحث والتحري لكشف الغموض الذي يحيط بصراع ما بواسطة لجنة مكونة من أكثر من شخص تكون مهمتها تقصي الحقائق المتعلقة بالصراع القائم بين دولتين أو أكثر وإقتراح الحل الأمثل للصراع لمساعدة الأطراف على حله ، وعادة ما يتم تشكيل هذه اللجان من أشخاص ينتمون إلى الدول المتصارعة فضلا عن أشخاص ينتمون لدول محايدة .[27]

وفي الصراع الدولي خصوصا التي تنطوي على الاختلاف في الرأي بشأن عناصر تتعلق بالوقائع يجوز للدول المعنية أن توافق على الشروع في التحقيق في القضية المتصارع عليها من الواقع، فضلا عن الجوانب الأخرى للصراع لتحديد أي انتهاك حدث للمعاهدات ذات الصلة أو الالتزامات الدولية الأخرى التي يدعيها الأطراف واقتراح وسائل الإنصاف والتعديلات المناسبة، ويمكن أيضا أن يلجأ إلى التحقيق عندما يتفق أطراف الصراع على بعض وسائل التسوية الأخرى كما في التحكيم والتوفيق والترتيبات الإقليمية... الخ حيث تنشأ هناك حاجة لجمع كل المعلومات اللازمة من أجل التأكد و توضيح الحقائق المتعلقة بالصراع .[28]

واستخدم التحقيق كوسيلة لتسوية الصراعات في عدد من المعاهدات الثنائية والمتعددة الأطراف، بما في ذلك ميثاق عصبة الأمم وميثاق الأمم المتحدة والصكوك التأسيسية لبعض الوكالات المتخصصة والمنظمات الدولية الأخرى في منظومة الأمم المتحدة، وفي مختلف الصكوك من قبل الهيئات الإقليمية[29].

ويستخدم التحقيق كمصطلح فني في ناحيتين متميزيتين وهما [30]:-

- بمعنى واسع حيث يشير إلى العملية التي يتم تنفيذها كلما تسعى محكمة أو هيئة لحل القضية المتصارع عليها من الواقع وبما أن معظم الصراعات الدولية تثير مثل هذه القضايا حتى لوكانت المسائل القانونية أو السياسية موجودة أيضا فمن الواضح أن التحقيق بهذا المعنى العملي سوف

يكون في كثير من الأحيان عنصرا رئيسيا من عناصر التحكيم والتوفيق والعمل من خلال المنظمات الدولية وغيرها من أساليب التسوية عن طريق طرف ثالث .

- والمعني الضيق وهو يشير إلى نوع معين من المحكمة الدولية والمعروفة باسم لجنة التحقيق وقدمته اتفاقية لاهاي لسنة 1899.

4- **التوفيق** : ميثاق الأمم المتحدة في المادة { 33 } الفقرة { 1 } يذكر التوفيق من بين الوسائل السلمية لتسوية الصراعات التي يتعين على الدول الأعضاء اللجوء إليه كما تجدر الإشارة إلى أن كلا من إعلان عام 1970 المتعلق بمبادئ القانون الدولي المتصلة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الأمم المتحدة ، وإعلان مانيلا لعام 1982 بشأن تسوية الصراعات الدولية يشيران إلى التوفيق باعتباره واحد من الوسائل السلمية التي يجب علي الدول أن تستخدمه عندما تسعى إلى تسوية مبكرة ومنصفة لصراعاتها الدولية[31].

والتوفيق عموما ينطوي علي دراسة موضوعية حول صراع ما من قبل طرف ثالث أو لجنة التوفيق التي وضعتها الأطراف المتصارعة وهذا الطرف الثالث يحاول مساعدة الأطراف على حل الصراع عن طريق تحديد وتقديم التوصيات وشروط التسوية الممكنة ويطلب من الأطراف أن تنظر بحسن نية لتوصيات لجنة التوفيق، ولكن لا يمكن إجبارهم على قبولها والتوفيق ينطوي على مشاركة رسمية من طرف ثالث، ولكن لا يستتبع نتائج ملزمة[32] .

ثانيا : الوسائل القانونية :-

1- **التحكيم الدولي** :- يعتبر التحكيم الدولي أسلوبًا مشروعًا في القانون الدولي العام، يجد مرجعه في اتفاقية لاهاي لعام 1899 المتعلقة بحل الصراعات بالطرق السلمية ، ويعتبر واحدًا من شطري التسوية القضائية للصراعات الدولية وفقا لنص المادة { 33 } من ميثاق الأمم المتحدة .

فالتحكيم نظام للفصل في الصراعات عن طريق اتفاق الأطراف على إحالة الصراع الواقع على محكم أو هيئة تحكيم أو مركز من مراكز التحكيم للفصل فيه بقرار ملزم لأطرافه .[33]

ويقصد بالتحكيم الدولي حل الصراعات الدولية من خلال أحكام قضائية تصدر عن محاكم أو هيئات تحكيم مختارة أي من خلال قضاة يختارهم الخصوم، وتطبق في أحكام هيئات التحكيم القواعد القانونية التي يختارها الخصوم المستمدة من القانون الدولي أو القواعد القانونية الأنسب للصراع ، وبذلك لا يكاد يختلف التحكيم الدولي عن القضاء الدولي لأن كلاهما يستهدف حل الصراع بيسر وسهولة ولكن رغم هذا التماثل والتشابه إلا

أن هناك فروقا واضحة بين هاتين الوسيلتين، فالتحكيم يغلب عليه الطابع الرضائي أو الاتفاقي فهو وسيلة لا يمكن اللجوء إليها إلا من خلال اتفاق أو رضاء الأطراف المتصارعة .[34]

ولعل أفضل تعريف للتحكيم الدولي هو التعريف الوارد في المادة { 37 } من اتفاقية لاهاي للعام 1907 الخاصة بتسوية الصراعات الدولية سلميا حيث عرفته بأنه : تسوية الصراعات بين الدول بواسطة قضاة تختارهم هي على أساس احترام القانون ، واللجوء إلى التحكيم يستتبع التزامًا بالرضوخ بحسن نية للقرار الصادر [35] . ويتضح من هذا التعريف أن للتحكيم الدولي عناصر أربع تميزه عن غيره من وسائل حل الصراعات، تتمثل فيما يلي [36] :-

1- أنه وسيلة لحل الصراع على أساس القانون الدولي إذ أنه يخضع للقواعد القانونية التي تقرر حقوقًا وتفرض التزامات على الدول ، أي القانون الذي يبلور التزامات دولية ومن ضمنها اللجوء إلى التحكيم .
2- أنه يحل الصراع بواسطة قضاة من اختيار الأطراف.
3- أنه يجري بموجب اتفاق أو بمقتضى معاهدة بين الأطراف، تظهر فيها إرادة الدول والتزامها بأسلوب التحكيم ونتائجه، ويتخذ هذا الاتفاق صورة شرط التحكيم أو مشارطة التحكيم.
4- أن أحكامه ملزمة لجميع الأطراف، وهو ما يميزه عن الوساطة والتفاوض .

2- **القضاء الدولي** :- من المستقر عليه أن حل الصراعات الدولية عن طريق التسوية القضائية يكون على أساس القانون وبموجب أحكام ملزمة تصدرها محاكم قضائية دولية.

وللقضاء الدولي تاريخ طويل فقد وجد هذا النوع من القضاء منذ أن وجد التنظيم الدولي وتعد المحكمة الدائمة للعدل الدولي أول محكمة دولية ذات إختصاص عام بنظر المنازعات التي تثور بين الدول المختلفة ورغم النص عليها في المادة { 14 } من عهد العصبة إلا أنها كانت تعد جهاز مستقلا عن العصبة حتى أن نظامها الأساسي كان بمثابة الوثيقة المنفصلة عن عهد العصبة وقد أصدرت المحكمة الدائمة للعدل الدولي خلال فترة ما بين الحربين أكثر من ثلاثين حكما وكذلك مثله من الأراء الإستشارية[37].

ومحكمة العدل الدولية { CIJ } هي الأداة القضائية التي تتكفل بحل جميع الصراعات الدولية وتتكون هذه المحكمة من خمس عشرة قاضيا يمتازون بالكفاءة والمؤهلات العالية وهم لا يشغلون أي وظيفة سياسية أو إدارية ولايتبعون دولهم وإنما هم قضاة مستقلون وينتخب هؤلاء القضاة عن طريق ترشيحهم من قبل الأمين العام لمدة تسع سنوات قابلة للتجديد ويتم التصويت عليهم من قبل الجمعية العامة ومجلس الأمن

وعند ظهور النتيجة لا يمكن الإحتجاج بحق الفيتو وفي حال تساوي الأصوات يكون المنصب من حق القاضي الأكبر سنا.[38]

ويأخذ مجلس الأمن على عاتقه مهمة تنفيذ جميع الأحكام الصادرة عن المحكمة عملا بأحكام المادة (94 \2) من الميثاق وتمارس المحكمة إختصاصا قضائيا يتمثل في حل الصراعات التي قد تثور بين الدول الأعضاء في نظامها الأساسي ولكنها تستطيع بالإضافة إلى ذلك إعطاء آراء إستشارية بناء على طلب الجمعية العامة أو مجلس الأمن[39] ، ويحق لجميع أجهزة الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة طلب الرأي الإستشاري إذا أذنت لها بذلك الجمعية العامة وطلب الإستشارة يتطلب قرارا من الجمعية يتخذ بالأكثرية العادية[40].

ثالثا : اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية :-

أشار ميثاق الأمم المتحدة إلى المنظمات الإقليمية واعترف بدورها لتسوية الصراعات الدولية إذ يمكن لمجلس الأمن أن يقرر تفويض عملية السلام برمتها إلى منظمة إقليمية ويستند في ذلك على الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة .[41] وبموجب المادة { 52 }[42] "يشجع مجلس الأمن الإستكثار من التسوية السلمية للصراعات الدولية عن طريق التنظيمات الإقليمية وتتم التسوية السلمية للصراعات وفقا للأحكام المنصوص عليها في الفصل السادس فعلى الدول الأعضاء في المنظمات الإقليمية إلتماس الحل السلمي للصراعات من خلال هذه المنظمات ولا يجوز لهم اللجوء إلى منظمة الأمم المتحدة مباشرة فليس من المستحسن مبادرة هذه الدول بعرض صراعاتها على مجلس الأمن بل إن المجلس يحبذ لجوء الدول المتصارعة للتنظيمات والوكالات الإقليمية قبل اللجوء إليه إلتماسا لحل صراعاتها الدولية" .

ومع ذلك، ووفقا للمادة { 53 } فإن المنظمات أو الترتيبات الإقليمية لا يسمح لها بإتخاذ تدابير استخدام القوة إلا بعد الحصول علي تفويض من مجلس الأمن[43]. ويبقى الصراع في جدول أعمال مجلس الأمن إذا أحيل إليه من قبل أحد أطراف الصراع حيث يتعين عليه أخذه بعين الإعتبار في حال فشل المنظمة الجهوية في الوصول إلى تسوية سلمية للصراع .[44] ويمكن للمجلس أيضا اقتراح شروط التسوية لكنها قد تبقى كذلك دون تأثير بسبب موقف واحد أو أكثر من الأطراف المتمتعة بحق النقض[45].

ثانيا :الوسائل غير السلمية المتبعة لحفظ السلم والأمن الدوليين :-

يمنح مجلس الأمن المسؤولية الرئيسية عن صون السلم والأمن الدوليين ومن المفترض أن تكون قرارات المجلس موجهة لتحقيق هذه الغاية بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، والمجلس يتمتع بسلطات أوسع ليقرر ما هي التدابير التي يجب اتخاذها في الحالات التي تنطوي على تهديدات للسلام، خرق للسلام أو أعمال العدوان[46] . ولهذا الغرض فإنه لا يقتصر على توصيات ولكن قد يتخذ عدد من الإجراءات بما في ذلك استخدام القوات المسلحة للحفاظ على أو استعادة السلام وفقا لنظام الأمن الجماعي الذي يقوم على ثلاثة مبادئ [47]:-

الأول : جميع الأعضاء يتخلون عن إستخدام القوة إلا في حالة الدفاع عن النفس وقد أذن مجلس الأمن استخدام القوة للمرة الأولى في إطار الفصل السابع في 29 نوفمبر 1990 عندما غزت العراق الكويت .

الثاني : اتفاق الأعضاء علي أن أي هجوم علي أحد الأعضاء هو هجوم علي الجميع .

الثالث : يتعهد جميع الأعضاء بأن يتوحدوا لوقف العدوان واستعادة السلام من خلال تزويد الأمم المتحدة أو الوكالات الأخرى بالمواد أو الموارد اللازمة لاستعادة السلام . كما أن الميثاق يعطي الحق الطبيعي للدول فرادي أو جماعات للدفاع عن النفس إذا اعتدت قوة مسلحة علي أحد الأعضاء في الامم المتحدة وفقا للمادة {51 } من الميثاق [48]. كما يوجد في ميثاق الأمم المتحدة العديد من الوسائل القسرية لحفظ السلم والأمن الدوليين وهذه الوسائل تضمنها الفصل السابع من الميثاق بدءا من المادة { 39 إلى 51 } وأيا ما كانت السلطات التي يتخذها مجلس الأمن من التوصية للأطراف المتصارعة بإتخاذ أو إتباع ما يرونه ملائما لحل الصراع إلى سلطة إتخاذ التدابير المؤقتة لمنع تفاقم الصراع أو الموقف إلى سلطة إتخاذ تدابير المنع أو القمع، فإنه يتعين أن يستند في ممارسته لهذه السلطات على واحدة من الحالات الثلاثة الآتية : تهديد السلم أو الإخلال به أو وقوع عمل من أعمال العدوان[49]. ويعتبر الفصل السابع الابتكار الرئيسي للمنظمة بالمقارنة

مع عصبة الأمم ذلك أنه كرس الاهتمام لمفهوم الأمن الجماعي الذي جعل الأمم المتحدة الضامن للسلم لتحل محل الضمانات المخصصة في المكان منذ مؤتمر فيينا مع ضمان العمل الجماعي[50].

ثالثا: عمليات حفظ السلم في فترة الحرب الباردة :-

بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت المواجهة مع الدول الشيوعية فيما أطلق عليه بالحرب الباردة ، وأصبحت تداعياتها تنعكس علي عمل الأجهزة التابعة للامم المتحدة حيث جمد الانقسام الايديولوجي للحرب الباردة عمل مجلس الأمن خاصة لدي الدول الدائمة العضوية التي تتمتع بحق النقض التي يكفلها لها الميثاق ولم يتحقق سوى القليل جدا من العمل العسكري الجماعي.[51]

وخلال الحرب الباردة جعل التنافس بين الشرق والغرب آلية تطبيق قواعد الأمن المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة غير فعالة تماما فحق النقض للأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أحبط أي محاولة لتطبيق الفصل السابع وفشلت مبادرة بعد مبادرة بسبب استخدام الأعضاء الدائمين حق النقض واستمرت الصراعات في جميع أنحاء العالم بعضها ذات صلة إلى نهاية عصر الاستعمار الأوروبي وبعضها مرتبط بالصراعات المحلية وكثيرا ما تتأثر وتتفاقم كلا النوعين من الصراعات بسبب الحرب الباردة بين القوى الدولية الكبرى [52].

وأصبحت سلطة حق النقض عقبة حقيقية في طريق السلام فخلال فترة الحرب البارد { 1945 – 1990} اعترض الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن علي { 279 } قرارا ومنع حق النقض الأمم المتحدة من اتخاذ إجراءات بناءة وحاسمة في أكثر من مائة من الصراعات الكبري والتي أسفرت عن ما يقرب من عشرين مليون حالة وفاة ، وردا على ذلك وتسهيلا لتسوية أو حل الصراعات في الحالات التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم الدولي أنشأت الأمم المتحدة حلا وسطا وهو تأسيس قوات حفظ السلم والأمن الدوليين[53].

والفصلين الرئيسيين في الميثاق اللذان يوفران السند القانوني لمجلس الأمن لحفظ السلم والأمن الدوليين هما الفصلين السادس الذي ينص على التسوية السلمية للصراعات عن طريق التفاوض والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية أو اللجوء إلى الوكالات أو الترتيبات الإقليمية أو وسائل أخرى سلمية من اختيارهم[54]. وفي حال الفصل السادس فشل في التوفيق فإن الفصل السابع يطلب من مجلس الأمن بصفته المشرف على السلم والأمن الدوليين تحديد وجود أي تهديد أو خرق للسلم أو عمل من أعمال العدوان وإلى تقديم التوصيات أو أن يقرر ما يجب أن يؤخذ من التدابير وفقا للمادتين { 41 } و{ 42 }، لصون أو إعادة السلم والأمن الدوليين فالفصل السابع من الميثاق يقدم الأعمال القسرية والتي بدونها سيكون مجلس الأمن غير فعال تماما. [55]

يوجد الأساس الدستوري لعمليات الأمم المتحدة لحفظ السلم في التفويض الواسع للمادة الأولي من ميثاق الأمم المتحدة ، حيث يُذكر أن أحد الأهداف الرئيسية للأمم المتحدة هو صون السلم والأمن الدوليين، وفي البداية اعترضت بعض الدول على إنشاء عمليات حفظ السلم ، وجادلت بأن إنشاء مثل هذه العمليات يعد تجاوز لسلطة مجلس الأمن لأنه لم يتم ذكرها على وجه التحديد في الميثاق[56].

وتقدم الأمم المتحدة تعريفا لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين مضمونه أنها العمليات العسكرية التي تنفذ بموافقة جميع الأطراف المتصارعة والمصممة لرصد وتيسير تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار والهدنة أو غيرها من الإتفاقات لدعم الجهود الدبلوماسية للتوصل إلى تسوية سياسية للصراع[57].

وتقوم عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين علي مبادئ رئيسية متمثلة في موافقة الأطراف المتصارعة علي وجود قوات حفظ السلم عند الدخول في البعثة والحياد والنزاهة في تنفيذ مهامها فعمليات حفظ السلم ليست أداة لتغيير نتائج الحرب أو الصراع ، وأخيرا عدم إستخدام القوة إلا في حالة الدفاع عن النفس بحيث توفر مساحة للأطراف المتصارعة لإجراء المفاوضات والتوصل إلى تسوية للصراع القائم بينها[58].

الجيل الأول لعمليات حفظ السلم في الأمم المتحدة :

إن حفظ السلم ليس مجرد نشاط من الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة ، بل هو النشاط الأساسي[59]، وترتبط عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلم تقليديا بالفصل السادس من الميثاق، ومع ذلك ، لا ينبغي لمجلس الأمن أن يشير إلى فصل محدد من الميثاق عند إصدار قرار يأذن بنشر عملية للأمم المتحدة لحفظ السلم ولم يحتج أبدا بالفصل السادس، وفي السنوات الأخيرة ، تبنى مجلس الأمن ممارسة الاحتجاج بالفصل السابع من الميثاق عند التصريح بنشر عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلم في أوضاع متقلبة بعد انتهاء الصراع حيث لا تستطيع الدولة الحفاظ على الأمن والنظام العام [60].

وكانت أول بعثة سلام للأمم المتحدة هي لجنة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بمنطقة البلقان(UNSCOB) ، التي أنشئت في عام 1947 للتحقيق في الدعم الأجنبي للمقاتلين الشيوعيين اليونانيين[61]، عندما أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم (15) بتشكيل لجنة لتوضيح الحقائق المتعلقة بالانتهاكات المفترضة في الأراضي اليونانية من قبل ألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا، ومع ذلك فقد كانت الحرب الباردة قد بدأت بالفعل تعطيل وظائف مجلس الأمن حيث عطل الفيتو السوفياتي نتائج اللجنة الأمر الذي جعل الولايات المتحدة تقترح سحب القضية من جدول أعمال مجلس الأمن إلي الجمعية العامة وبالتالي

شكلت الجمعية العامة لجنة جديدة في منطقة البلقان لتحل محل لجنة مجلس الأمن التي منيت بالفشل بسبب الفيتو السوفياتي[62].

وتمتعت اللجنة الجديدة بصلاحيات أوسع من اللجنة الأولي ويمكن أن تؤدي وظائفها في أي مكان وترفع تقريرا إلى الجمعية العامة، وتستخدم مساعيها الحميدة لتسوية المسائل المتنازع عليها ومراقبة الانتهاكات للسلام ، وفي وقت لاحق طلب من الأمين العام أن يوفر للجنة المساعدة الإدارية واللوجستية وكلفها بالتفاوض مع كل من حكومات الدول الأربع المعنية ، والتعامل وفقا للشروط القانونية وتوفير الظروف المادية لأعضاء اللجنة وهذا ما يشار إليه فيما بعد باسم عمليات حفظ السلم التي أصبحت تستخدم لأول مرة علم الأمم المتحدة وبطاقات الهوية الخاصة بها [63].

وقد كانت هيئة مراقبة الهدنة في الشرق الأوسط في عام 1948 بعد الحرب العربية الإسرائيلية الأولى تمثل أول عملية لحفظ السلم للأمم المتحدة تحت البند السادس ، وقد ساهمت بشكل واضح في تشكيل السمات الأساسية لعمليات حفظ السلم في المنظمة [64]. وبالرغم من الأوضاع المعقدة جدا فقد حققت اللجنة نجاح نسبي حيث قامت بمراقبة اتفاقات وقف إطلاق النار وإنشاء والإشراف علي المناطق المنزوعة السلاح ووضع الإجراءات لإدارة إنتهاكات وقف إطلاق النار والحفاظ على الاتصال مع الأطراف المتصارعة وإزالة الألغام من الطرق وإعادة تأهيلها ....الخ وقد كان الوسيط السويدي { الكونت فولك برنادوت } مبعوثا من الأمم المتحدة وله سلطة إجراء التحقيقات وإجراء المقابلات مع الشهود في قضايا انتهاك وقف إطلاق النار بين الطرفين[65]. وقد ظهرت إثنين من المبادئ الأساسية لحفظ السلم في الجهاز الذي أنشأه مجلس الأمن بالقرار { 73 } الصادر في 11 أغسطس 1949م حيث شمل اتفاق وقف إطلاق النار قبل بدء البعثة وموافقة الطرفين علي ذلك واحتوائها علي العناصر الرئيسية لبعثة حفظ السلم التابعة للأمم المتحدة المدنية والعسكرية [66].

كما كانت قوات الطوارئ {UNEFI} التابعة للأمم المتحدة التي نشرت في أعقاب حرب قناة السويس في أكتوبر 1956 أول عملية للأمم المتحدة تستخدم الأفراد العسكريين المسلحين ، كما أنها تمثل الانتقال من استراتيجية المراقبة أو الإشراف إلي استراتيجية التدخل حيث قامت بالفصل بين الأطراف المتصارعة والإشراف على إنسحاب الوحدات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية وكانت تقوم بدوريات في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة [67].

وفي أعقاب نجاح الأمم المتحدة في المناطق المذكورة وكذلك نجاحها في تسع عمليات أخري لحفظ السلم وقعت بين الأعوام (1956 و 1978) فإن أهدافها اجتمعت حول السيطرة على الصراعات الإقليمية في عصر الحرب الباردة حيث كان مجلس الأمن مقيدا بظروف التصرف على أساس أحكام الميثاق [68]. والجدول رقم { 1 } يبين العناصر الرئيسية الواقعية في كل عملية سلم .

الجدول رقم (1) يبين توزيع قوات حفظ السلم للأمم المتحدة علي الدول في فترة الحرب الباردة

الاسم	المكان	البداية	النهاية	الأساس القانوني	الحد الاقصي للقوات	التفويض
مراقبة الهدنة للأمم المتحدة	إسرائيل	إبريل 1948	أكتوبر 1973	قرار مجلس الأمن رقم 73	51	قوات مراقبة
مجموعة مراقبي الأمم المتحدة العسكريين في الهند وباكستان	باكستان – الهند	يناير 1949	مستمرة	قرار مجلس الأمن رقم 47	102	قوات مراقبة
قوة الطوارئ التابعة للامم المتحدة I	مصر	نوفمبر 1956	مايو 1967	قرار الجمعية العامة رقم 1000	5977	قوات فصل
مجموعة المراقبة للأمم المتحدة في لبنان	لبنان	11 يونيو 1958	ديسمبر 1958	قرار مجلس الأمن 128	591	قوات مراقبة
قوات حفظ السلام الكونغو	الكونغو	يوليو 1960	يونيو 1967	قرار مجلس الأمن رقم 128	591	قوات مراقبة
قوات الأمن في غرب غينيا الجديدة	غينيا الغربية الجديدة	أكتوبر 1962	ابريل 1963	قرار الجمعية العامة رقم 1752	1500	قوات حفظ السلام
بعثة الأمم المتحدة للمراقبة في اليمن	اليمن	يونيو 1963	سبتمبر 1964	قرار مجلس الأمن رقم 179	200	قوات مراقبة
قوات الأمم المتحدة حفظ السلام قبرص	قبرص	مارس 1964	مستمرة	قرار مجلس الأمن رقم 186	6200	قوات حفظ السلام – مساعدة إنسانية
بعثة الأمين العام الدومينيكان	جمهورية الدومينكان	مايو 1965	اكتوبر 1966	قرار مجلس الأمن 203	2	قوة مراقبة
قوة الطوارئ التابعة للامم المتحدة II	مصر	أكتوبر 1973	يوليو 1979	قرار مجلس الأمن رقم 340	4297	قوات فصل

قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك	سوريا – إسرائيل	مايو 1974	مستمرة	قرار مجلس الأمن رقم 350	1331	قوة مراقبة وإشراف
قوة الأمم المتحدة المؤقتة لبنان	لبنان	مارس 1978	مستمرة	قرار مجلس الأمن رقم 425	6975	مراقبة – بناء الدولة – مساعدة إنسانية

Source: Jocelyn Coulon and Michel Liégeois, Op.cit,p4.

وخلال الحرب الباردة ، كان الهدف الأكبر لعمليات حفظ السلم هو خلق الهدف السياسي الذي يعطي مساحة كانت ضرورية للدول المتحاربة للتفاوض على حل سياسي ، وبنفس القدر من الأهمية لاحتواء النزاعات ومنعها من التصعيد إلي أزمات عالمية ، أو ما هو أسوأ ، حرب نووية ، وهذا يوضح أن "تصميم" عمليات حفظ السلم كانت دائمًا كان نتاج عصرها، وقد ظهرت مجموعة من المبادئ والتي تم تدوينها رسمياً في عام 1973، ووفقا لها ، يجب على قوات حفظ السلم التابعة للأمم المتحدة ما يلي[69]:-

أولا: أن يتم نشرها فقط بموافقة أطراف النزاع .

ثانيا: أن تكون محايدة بدقة في نشرها وأنشطتها .

ثالثا: استخدم القوة فقط للدفاع عن النفس وبتكليف ودعم من مجلس الأمن في أنشطتهما.

خامسا: الاعتماد على المساهمة الطوعية للدول الأعضاء للأفراد العسكريين ، والمعدات والعمليات اللوجستيات .

وهذه المبادئ تم استثناءها في سياق عملية الأمم المتحدة في الكونغو (ONUC) في عام 1960 ، حيث تم تكليف العملية باتخاذ "جميع التدابير المناسبة " لمنع وقوع حرب أهلية في الكونغو ، بما في ذلك ترتيبات وقف إطلاق النار ، ووقف جميع العمليات العسكرية ، ومنع الاشتباكات ، واستخدام القوة ، إذا لزم الأمر ، كملاذ أخير[70]. ولا تنطبق قوانين النزاع المسلح عمومًا على قوات حفظ السلم التقليدية لأنها ليست خصما لأي طرف ، ويحمي أفرادها غير المقاتلين بموجب المادة (3) من اتفاقية جنيف ، والبروتوكول الإضافي الأول، ومن أجل تصنيف أنفسهم على أنهم غير مقاتلين ، يرتدي حفظة السلام خوذات وشارات زرقاء [71].

وقد اتسم الجيل الأول لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين في فترة الحرب الباردة بعدة سمات منها أن نطاق عملها محدود في إنهاء الصراع الذي عادة ما يقع بين الدول ويتم الإعتماد علي القوات المسلحة في حل الصراع من خلال قوات الأمم المتحدة فقط ووجود ندرة في تغطية وسائل الإعلام للصراع [72]. ويوضح الجدول رقم (2) أدناه تأثيرات الحرب الباردة علي عمليات حفظ السلم .

الجدول رقم (2) يوضح تأثير الحرب الباردة علي عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين

الفترة	البيئة الدولية	عمليات السلم
الحرب الباردة	**الديناميات :** – مواجهات الحرب الباردة . – نظام الثنائي القطبية . **اللاعبين الرئيسيين:** – الأمم المتحدة **طبيعةالصراعات:** – معظمها صراعات بين الدول. – صراعات حادة خلال فترة قصيرة. – ساحات القتال معروفة . – المقاتلين من الجنود النظاميين . – معظم الأطراف المتصارعة على استعداد للتفاوض	الجيل الأول: عمليات حفظ السلم التقليدية. – العمليات غير قسرية ومحايدة(تفويض وفقا للفصل السادس). – تنشر بعد وقف إطلاق النار. – قوة فصل بين المتحاربين ومسلحة تسليحا خفيفا . – في الغالب قوة عسكرية . – تأسيس القوات يعتبر الاستثناء. –13بعثة ما بين عامي (1945– 1988)

Source: Kristine St-Pierre, **Then and Now: Understanding the Spectrum of Complex Peace Operations**, (Ottawa: Pearson Peacekeeping Centre, 2008), p4.

وهكذا يتضح أن الأمم المتحدة خلال فترة الحرب الباردة قد عملت من خلال آليات سياسية وعسكرية في تسوية الصراعات ، وكانت ظروف الحرب الباردة قد ألقت بظلالها علي المؤسسة الدولية حيث عرقل حق النقض جهود التسوية السلمية للصراعات وكانت الصراعات تقع بين الدول الأمر الذي أدي إلي هيمنة الأداة العسكرية للفصل بين قوات الدول المتحاربة وفقا للمبادئ الثلاثة التي تعمل من خلالها قوات حفظ السلم وفي ظل مبدأ سيادة الدولة الذي وضع قيودا علي عمليات حفظ السلم [73].

المبحث الثاني : تطور عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين في فترة ما بعد الحرب الباردة

بإنتهاء الحرب الباردة ، ظهرت هناك مشاكل عديدة في المجتمع الدولي ، كما في الدول الفاشلة كما حدث في الصومال، وتفكك عددا من الدول ، كما في الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا ، وظهرت صراعات خطيرة داخل الدول كما حدث في رواندا ، وهذه المتغيرات سلطت الضوء على القيود الحرجة لعمليات حفظ السلم للأمم المتحدة ، وأدت إلي تطوير دور بعثات حفظ السلم كما في بعثة الأمم المتحدة الانتقالية في كمبوديا وتيمور الشرقية وليبيريا التي احتوت علي عناصر مثل فرض السلام وبناء الدولة، وتعزيز الديمقراطية البرلمانية[74].

وبالنسبة للأمم المتحدة كان لديها وضوح نتيجة لتضاؤل التنافس بين الدول العظمى حيث إن مجلس الأمن لم يعد يخضع لشلل (الفيتو) في عملية صنع القرار ، والتي أعاقت أنشطته منذ أواخر الأربعينيات وفتح هذا إمكانيات جديدة للأمم المتحدة في مجال الأمن الدولي ، وكان بالتالي مصدرا للتفاؤل الكبير من خلال النمو الكبير في عدد العمليات التي نفذتها المنظمة بعد عام 1988 وكان شهادة على حد سواء إلى قدرة مجلس الأمن على التوصل إلى اتفاق بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك[75].

وقد توسع مفهوم الأمن، لا سيما بعد نهاية الحرب الباردة سواء من حيث المواضيع أو التهديدات الأمنية فعلى سبيل المثال، تغير المناخ والتنمية التكنولوجية والطلب على الموارد والإهتمام البيئي المتزايد ونمو وتداخل الأنظمة واللوائح القانونية كلها عوامل وتحديات تعطي احتمالات أن تؤدي إلى مخاوف أمنية من مختلف الدول والجهات الفاعلة الأخرى [76].

وعند استعراض الفترة منذ عام 1988 على أنها بداية انتهاء الحرب الباردة فيمكن ملاحظة أن عمليات الأمم المتحدة اتسمت بالتطورات الهامة التالية [77]:-

1- كان هناك زيادة كبيرة في عدد وحجم ونوع البعثات الممنوحة لعمليات حفظ السلم .
2- أصبحت الأمم المتحدة أكثر انخراطا في محاولات لاحتواء ومعالجة آثار الصراعات داخل الدول وهذا يعني بدوره كإتجاه عام أن البيئة المادية التي تنتشر فيها قوات حفظ السلم أصبحت أكثر تقلبا ومعقدة وخطيرة .

3- وفي عدد متزايد من الحالات إضطرت قوات حفظ السلم للعمل مع الموافقة الجزئية من الأطراف المتحاربة، وكانت في كثير من الأحيان غير قادرة على تحديد الخطوط الأمامية أو السلطات السياسية المشروعة داخل منطقة العمليات وقد أدت إلى ارتفاع كبير في عدد الوفيات التي لحقت بقوات الأمم المتحدة .

4- كذلك أدت هذه المتغيرات إلى الدعوة للأمم المتحدة إلي التخلي عن ممارسات حفظ السلم التقليدية السابقة تماما لصالح مذهب من شأنه أن يسمح لاستخدام القوة بشكل أكبر .

5- خلال السنوات ما بين 1992و 1995 برز إتجاه حقيقي من جانب مجلس الأمن لإضعاف شرط الموافقة كأساس لتدخل الامم المتحدة ووضع عدد متزايد من البعثات والقرارات على أساس الفصل السابع ففي حين أن مجلس الأمن أصدر قرارين وفقا للفصل السابع في عقد الثمانينيات نجده أصدر { 48 } قرارا ما بين عامي { 1993 و 1994 } وحدهما، ومعظمها متعلق بالصراعات الداخلية والتي ينظر إليها علي أنها تمثل تهديدا للسلم والأمن الدوليين .

ومنذ نهاية الحرب الباردة أصبح التدخل في الصراعات الداخلية في تزايد بشكل كبير فخلال الفترة { 1948 – 1990 } أجرت الأمم المتحدة عدد { 18 } عملية حفظ للسلم بينما خلال عقد التسعينيات فقط أجرت الأمم المتحدة ما لا يقل عن { 35 } من عمليات السلم ، وكان هذا التزايد بسبب الإرتفاع في الحروب الداخلية في أواخر عقد التسعينيات مما أدى إلى سلسلة من عمليات حفظ السلم [78] . ومن المهم جدا أن نشير في هذا الخصوص أن الأمم المتحدة لم تكن مصممة أصلا للتعامل مع الحروب الداخلية أو داخل الدول والتي ظهرت كنموذج للصراعات الرئيسية منذ نهاية الحرب الباردة، ولكنها مصممة بدلا من ذلك للتعامل مع الصراعات بين الدول[79].

وقد أدت هذه المتغيرات إلي إحداث تطورات سواء علي صعيد المستوي النوعي لقوات حفظ السلم والأمن الدوليين أو التقارير والإعلانات والقرارات أو علي صعيد هيكل الأجهزة المسؤولة عن تنفيذ المهام في بعد الحرب الباردة وهو ما سيتم تناوله في هذا المبحث .

أولا :- الجيل الثاني لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين(العمليات المتعددة) :-

مع نهاية الحرب الباردة ، انتقلت عمليات حفظ السلم بقيادة الأمم المتحدة إلى جيلها الثاني، وأصبح الجيل الثاني لقوات حفظ السلم منذ التسعسينيات ليس مجرد قوات فصل بين المتحاربين أو مراقبة اتفاق السلم وإنما ينطوي علي ما يلي [80]:-

1- محاولات لتقليص الصراع وتسريح القوات المتحاربة حتى قبل وجود أي ضمان لوقف إطلاق النار ملزم .

2- القيام بعمليات إعادة الإعمار المدني مثل تسريح قوات حرب العصابات والحكومة، وجمع والتخزين المؤقت للأسلحة والمساعدات الطارئة للاجئين والمشردين داخليا .

3- تنظيم انتخابات ديمقراطية لما بعد الحرب بحيث تصبح الأمم المتحدة مزود الخدمة الكاملة للمجتمعات المنهارة بالتنسيق مع الوكالات الإقليمية مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا ومنظمة الدول الأمريكية ومؤسسات المجتمع المدني التي تعتمد علي العمل التطوعي مثل المفوضية العليا لشؤون اللاجئين .

ومن الأمثلة النموذجية لبعثات الجيل الثاني عمليات حفظ السلم في كمبوديا والسلفادور وموزامبيق وناميبيا التي بدأت بين عامي 1989 و 1992 ، والتي تضمنت جميعها الولايات والموارد اللازمة لتنظيم الانتخابات ، وتعزيز عمليات نزع سلاح المقاتلين السابقين وتسريحهم وإعادة إدماجهم ، المصالحة السياسية [81]. وكان الهدف من هذا التكامل هو إعطاء قدر أكبر من الاتساق في المهام المتعددة الوظائف من خلال تحسين التنسيق بين مختلف الجهات الفاعلة العاملة في هذا المجال كما في (الركن العسكري) جنود حفظ السلام ، و(الركن السياسي) من خلال الممثل الخاص للأمين العام ، و(الركن الإنساني) كما في والوكالات المتخصصة مثل مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين ، وبرنامج الأغذية العالمي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي [82]. وكانت ملاءمة ولايات حفظ السلم تاريخياً تحدياً في توفير الأمن الفعال في المواقع المحمية [83]، ويؤكد التحليل التجريبي أهمية العنصر الإنساني والترخيص باستخدام القوة في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام، وبالنظر إلى المهام ، فإن من بين الـ 68 عملية التي تم نشرها حتى الآن ، فإن نصفها تدمج بعض المهام الإنسانية في ولاياتها ؛ وفي 22 دولة أخرى ، اعتمد مجلس الأمن تدابير الإنفاذ ، بالنظر إلى الأحكام الواردة في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة [84].

وتم الالتزام بالتحرك نحو فرض السلم باعتباره اتجاهًا في عمليات السلم التابعة للأمم المتحدة منذ نهاية الحرب الباردة ، وخاصة في القرن الجديد ، وأثبتت عمليات حفظ السلم التابعة للأمم المتحدة أنها أداة مرنة وقابلة للتكيف ومتطورة مع مرور الوقت للاستجابة للتحديات المتزايدة [85].

الجدول رقم (3) يوضح مهام عمليات حفظ السلام المتعددة الأبعاد

المكونات	الوظائف
المكونات العسكرية	الرصد والتحقق من وقف إطلاق النار • تجميع • نزع السلاح وتسريح المقاتلين • الإشراف على انسحاب القوات الأجنبية • التعليم للتوعية بخطر الألغام وإزالة الألغام • توفير الأمن للأمم المتحدة والأنشطة الدولية الأخرى في دعم عملية السلم
مكون الشرطة المدنية	• السيطرة على الحشود • إنشاء وصيانة نظام قضائي • إنفاذ القانون • الرصد والتدريب وتقديم المشورة سلطات إنفاذ القانون المحلية بشأن قضايا حقوق التنظيمية والإدارية والبشرية
المكون المدني	**العنصر السياسي:** • التوجيه السياسي لعملية السلام الشامل • المساعدة في إعادة تأهيل المؤسسات السياسية القائمة • تعزيز المصالحة الوطنية **العناصر الانتخابية:** • الرصد والتحقق من جميع الجوانب ومراحل العملية الانتخابية؛ تنسيق المساعدة التقنية• تثقيف الجمهور حول العمليات الانتخابية وتوفير المساعدة في تطوير المؤسسات الديمقراطية على مستوى القاعدة الشعبية **عناصر حقوق الإنسان:** • رصد حقوق الإنسان • التحقيق في حالات محددة من المزعوم انتهاكات حقوق الإنسان • تعزيز حقوق الإنسان . العنصر الإنساني: • إيصال المساعدات الإنسانية (المواد الغذائية وغيرها من إمدادات الإغاثة في حالات الطوارئ) • تنفيذ برامج إعادة توطين اللاجئين • إعادة توطين المشردين • إعادة إدماج المقاتلين السابقين

Source: Wibke Hansen, Oliver Ramsbotham, Tom Woodhouse,Op.cit.p5

ثانيا: الجيل الثالث لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين (فرض السلام):

جاء استخدام مصطلح فرض السلام للمرة الأولي في تقرير الأمين العام بطرس بطرس غالي إلى مجلس الامن الدولي في يناير 1992 ، والذي يعرف أكثر باسم خطة للسلام، حيث أشار إلي الإجراءات المتعلقة بقوات فرض السلام بحيث إن الدول الأعضاء في هذه القوات يجب أن تضع أفرادها تحت تصرف إدارة قوية وفعالة وذكر أيضا أن القوات يجب أن تكون مسلحة بشكل أكبر من قوات حفظ السلم وتخضع لتدريب تحضيري مكثف تكون تحت قيادة الأمين العام للأمم المتحدة .[86]

وعندما تتضمن ولاية العملية جانبًا من جوانب فرض السلم ، يتعين على الأمم المتحدة وأعضائها اللجوء إلى استخدام جهات فاعلة أخرى غير الخوذات الزرقاء ، كما في بعض الدول أو التحالفات أو المنظمات الإقليمية والتي تكون مجهزة بشكل عام لاستخدام القوة كما هو الحال مع حلف الناتو في البلقان وأفغانستان ، والاتحاد الأفريقي والاتحاد الأوروبي في إفريقيا [87]. وقد يتطلب منهج فرض السلم مساهمة كبيرة من الدول ذات القوة العسكرية ، بما في ذلك الأعضاء الدائمين ،وأصبح المجتمع الدولي حذرًا من التكلفة المطلوبة لنجاح حفظ السلم المشترك ، وبالتالي لديه ميل نحو حفظ السلم من "الجيل الأول" أو" الجيل الثاني" كلما أمكن ذلك ومع ذلك ، إذا فشلت في قبولها من قبل الأطراف أو الفصائل المعنية ، فإن استخدام "الجيل الثالث" لحفظ السلم لا يستبعد[88].

ثالثا: الجيل الرابع لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين (بناء السلام) :

ينطوي بناء السلام على مجموعة من التدابير الهادفة إلى الحد من خطر الانهيار أو العودة إلى الصراع من خلال تعزيز القدرات الوطنية على جميع المستويات لإدارة الصراع ، ووضع الأساس للسلم والتنمية المستدامين وهو عملية معقدة طويلة الأجل لتهيئة الظروف اللازمة للسلم الدائم ، ويعمل عن طريق معالجة الأسباب الهيكلية العميقة الجذور للصراع العنيف بطريقة شاملة تتناول تدابير بناء السلم القضايا الأساسية التي تؤثر على سير المجتمع والدولة ، وتسعى إلى تعزيز قدرة الدولة على الاضطلاع بوظائفها الأساسية بفعالية وبشكل مشروع[89].

ويجب على الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات لفرض السلم بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وعندها فقط يمكن للدول الأعضاء المساهمة بقوات عسكرية مدربة ومجهزة بشكل جيد لفرض السلم، وقد يكون للقوات المرخص لها بموجب الفصل السابع واجبات حفظ السلم والسلام، ويجب أن تتوفر لديها الموارد المناسبة لتنفيذ عملية الفرض بشكل كافٍ ، وإذا كان ذلك حتميًا ، ينبغي تزويد قوات حفظ السلم بقواعد اشتباك واضحة ، ومكيفة مع العملية المحددة ، فيما يتعلق بموعد وفي أي ظرف من الظروف تستخدم القوة المسلحة من أجل تجنب التصعيد غير المرغوب فيه للنزاع وتهديد الحالة النهائية المقصودة للنزاع[90]. ويوضح الشكل رقم (1) مكونات عمليات بناء السلم للجيل الرابع .

الشكل رقم (1) يوضح مكونات الجيل االرابع من عمليات حفظ السلم

Source: Walter Dorn, **THE EVOLUTION OF PEACE AND STABILITY OPERATIONS: Overview**, (Ontario: Canadian Forces College, April 2011), p34

كما أن عمليات بناء السلم ليست سهلة فمهمتها ليس في انهاء القتال بين طرفي الصراع فقط ، وإنما حماية المدنيين واستعادة أو تمديد سلطة الدولة المضيفة، ونزع السلاح وإعادة إدماج المقاتلين وإزالة الألغام وغيرها من المهام التي تمتد في مجال الجيل الثاني من عمليات حفظ وبناء السلم [91]، كما هو موضح في الجدول رقم (2) .

الجدول رقم (2) المكونات الاستراتيجية لمهام ومهارات بناء السلم بعد الحرب الباردة

المكونات	المهام	المهارات
الأمن	التسريح، نزع السلاح،إزالة الألغام،حماية المدنيين،الشرطة والإصلاح الأمني .الأمن الشخصي (على سبيل المثال التمييزالعنصري والثقافي والمساواة بين الجنسين والعنف) حقوق الإنسان...	الدفاع المدني غير العنيف . مشاهدة ومرافقة ومراقبة الاحياء . تقديم الدعم وشبكات الاتصال
الحوكمة	بناء القدرات المؤسسية الشفافية . المساءلة . المساعدة الانتخابية	تمهيد الاجتماعات . تطوير قادة المجموعة تقنيات مجموعة صنع القرار التشجيع والدعم
الإغاثة والتنمية	تطوير البنية التحتية . إصلاح السوق المؤسسات الاقتصادية . الأعمال التجارية الصغيرة تلبية الاحتياجات الأساسية .الخدمات الاجتماعية	المهارات التقنية والهندسة .تطوير الأعمال مهارات تنظيم المشاريع .القيادة والتدريس بناء العلاقات عبر الحدود
المصالحة	علاج الصدمة النفسية والاجتماعية .عودة اللاجئين التربية من أجل السلام . تقديم المبادرات المجتمعية	الاتصالات الشخصية ،تيسير روح الجماعة مهارات حل الصراعات،إدارة ديناميات الصراع النفسي والاجتماعي

Source: Wibke Hansen, Oliver Ramsbotham, Tom Woodhouse,Op.cit.p18

وهكذا فتحت أنشطة الامم المتحدة المتعددة والمتنوعة في صيانة واستعادة السلم والأمن الدوليين بعد انتهاء الحرب الباردة المجال لتصل إلي طائفة كبيرة من الوسائل الممكنة للتدخل وغيرها من أشكال تسوية الصراعات بداء من الحد من مفهوم السيادة المطلقة للدولة إلي التدخل في حماية المدنيين عند تعرضهم للخطر وإنتهاء بمساعدة الدول الفاشلة في العودة إلي الوضع الطبيعي من خلال مساعدتها في كافة جوانب انشطة المجتمع السياسية والاجتماعية والإدارية ...الخ [92].

رابعا: التطورات علي مستوي التقارير والقرارات بعد الحرب الباردة :-

- **تقرير الأمين العام { بطرس غالي} 1992 بعنوان(خطة للسلام Agenda for Peace):-**

أشار التقرير إلي الإجراءات المتعلقة بقوات فرض السلم بحيث إن الدول الأعضاء في هذه القوات يجب أن تضع أفرادها تحت تصرف إدارة قوية وفعالة وأكد علي أن قوات حفظ السلم يجب أن تكون مسلحة بشكل أفضل وتخضع لتدريب تحضيري مكثف تكون تحت قيادة الأمين العام للأمم المتحدة[93]، كما دعا في هذا التقرير إلي جملة أمور منها [94]:-

1- النظر في ظروف معينة من "الانتشار الوقائي" لقوات حفظ السلم التابعة للامم المتحدة لإحباط الأعمال العدائية المتوقع أن تلوح في الأفق .
2- عندما تقتضي الظروف استخدام القوة فينبغي للأمم المتحدة أن تعتمد علي نفسها في ذلك بدلا من الاعتماد علي تحالفات من الدول الأعضاء .
3- أشار تقرير خطة السلام أن عمليات حفظ السلم قد نفذت "حتى الآن" مع موافقة جميع الأطراف ملمحا إلى أن هذا قد لا يكون من الضروري في المستقبل وهذا ما يعد نقلة نوعية في استعداد الدول الأعضاء لدعم عمل الأمم المتحدة في مجال السلم والأمن الدوليين .

كما أوجز التقرير إقتراحات لتمكين المنظمات الحكومية الدولية من الاستجابة بسرعة وفعالية لتهديدات السلم والأمن الدوليين بعد مرحلة الحرب الباردة على وجه الخصوص وقد تم تحديد أربعة مجالات رئيسية من الأنشطة وهي 95:-

1- الدبلوماسية الوقائية التي تسعى لحل الصراع قبل أن يتصاعد إلى العنف.
2- صنع السلم الذي يسعى لتعزيز وقف إطلاق النار والتفاوض على الوصول إلي إتفاق.
3- حفظ السلم وهي عملية تتم بعد اندلاع العنف وتنطوي على نشر قوات للأمم المتحدة في الميدان بموافقة جميع الأطراف المعنية والتي تنطوي عادة علي العسكريين وأفراد الشرطة والمدنيين التابعين للأمم المتحدة .
4- عمليات بناء السلم ويتم تنسيق هذه المبادرات بشكل مثالي ومتكامل لضمان بناء السلم بعد انتهاء الصراع والتي تشمل البرامج والأنشطة التي من شأنها الحفاظ على السلم ومنع نشوب أي صراع في المستقبل والتي تشمل المعالجة الدبلوماسية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وقضايا التنمية الاقتصادية والأمن.

- **التقرير الإضافي لخطة السلام 1995 : (Supplement to an Agenda for Peace):**

قدم الأمين العام { بطرس غالي } تقريرا إضافيا احتوي علي عدة برامج إضافية كما في نزع السلاح وتسريح المقاتلين وإعادة إدماجهم في المجتمع وتقديم المساعدات الإنسانية ، وتعزيز حقوق الإنسان وتقديم المساعدة للاجئين وبناء قدرات الحكومة ونشر قوات الشرطة كوحدات مسؤولة عن القانون والنظام والتي تعتبر دعامة ثالثة كاملة في عمليات حفظ السلم وإنفاذ السلم وصنع السلم وبناء السلم [96].

- **تقارير الأمين العام { كوفي عنان } عن حماية المدنيين(S/1998/318 or A/52/871)**

بعد وقوع مذبحة سريبرينيتسا في البوسنة[97] والإبادة الجماعية في رواندا عام 1994[98] علي مرأي ومسمع من قوات حفظ السلم قدم الأمين العام { كوفي عنان } تقارير طالب فيها بوضع حماية للمدنيين المعرضين للخطر وأن تكون قوات حفظ السلم قادرة علي التعامل مع هذه القضايا وتنفيذ مهام الحماية ..الخ . وفي أوآخر عقد التسعينيات بعد الإبادة الجماعية في رواندا ومجزرة سريبرينيتسا، بدأت الأمم المتحدة بشكل منهجي معالجة مسألة حماية المدنيين حيث أصبحت حماية المدنيين في الصراعات المسلحة بند مستقل على جدول أعمال مجلس الأمن وأدرجت مهمة حماية المدنيين المعرضين لتهديد وشيك من خطر جسدي على نحو متزايد في قرارات حفظ السلم وأصبحت ثقافة الحماية التي دعا إليها الأمين العام تحظي باهتمام من قبل المجتمعات الإنسانية.[99]

- **تقرير الإبراهيمي لسنة 2000 :-**

قدم التقرير العديد من التوصيات بشأن جميع جوانب عمليات حفظ السلم والتي كان بعضها متعلق بإعادة تعريف عمليات حفظ السلم التي أضاف إليها سرعة وفعالية الإنتشار والقدرة الأقوى على جمع المعلومات وتحليلها وتقديم الحماية للمدنيين عند تعرضهم للخطر وإدارة عمليات بناء السلم لمنع وقوع الصراع في المستقبل [100].

- **قرار الجمعية العامة عن مسؤولية الحماية (1/60) في سبتمبر 2005:** تم تأسيس مفهوم المسؤولية عن الحماية في الوثيقة الختامية للاجتماع رفيع المستوى للجمعية العامة في الوثيقة الختامية التي تحتوي على الفقرتين (138 و 139) على المسؤولية عن الحماية حيث أقر رؤساء الدول والحكومات المجتمعين المسؤولية عن حماية السكان من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية، بما في ذلك مسؤولية كل دولة على حدة لحماية سكانها من

هذه الجرائم، وكذلك مسؤولية المجتمع الدولي في حالة فشل الدولة في الحماية وقد اعتمدت هذه الوثيقة في وقت لاحق من قبل الجمعية العامة في قرارها (1/60) ، وكأحد نتائج القمة العالمية لسنة 2005 .[101]

- **تقارير في عهد الأمين العام { بان كي مون } لسنة 2008 ، 2009 ، 2011 :**

في عام 2008 نشرت إدارة الأمم المتحدة لعمليات حفظ السلم عرضا شاملا لعقيدة حفظ السلم في العصر الحديث بعنوان "عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلم : المبادئ والخطوط التوجيهية " حيث يتم التعرف علي المبادئ على أساس الخبرة المكتسبة منذ نهاية الحرب الباردة ، وفي يوليو 2009 ، أصدرت الأمم المتحدة وثيقة التشاور والشراكة الجديدة في جدول الأعمال : رسم أفاق جديدة لعمليات حفظ السلم للأمم المتحدة، وقد تم في هذه الوثيقة مناقشة القضايا التي تواجه بعثات حفظ السلم المعاصرة خاصة في حماية المدنيين [102]، حيث قدم الأمين العام للأمم المتحدة { بان كي مون } مبدأ المسؤولية عن الحماية {R2P } كمنهج يقوم علي ثلاثة ركائز وهي [103]:-

1- المسؤولية الأساسية للدولة في حماية مواطنيها .
2- مسؤولية المجتمع الدولي لدعم حكومة البلد في حماية مواطنيها .
3- مسؤولية المجتمع الدولي إلى اتخاذ إجراءات إذا فشلت الحكومة الوطنية في حماية سكانها .

وفي أوائل عام 2011 قدمت الأمانة العامة مشروع الإطار الاستراتيجي لحماية المدنيين ووضع استراتيجيات شاملة للبعثات بالتنسيق مع لجان حقوق الإنسان والشركاء في المجال الإنساني [104].

- **القرارات الصادرة بعد الحرب الباردة بتفويض قوات حفظ السلم لحماية المدنيين :-**

أصدر مجلس الأمن مجموعة من القرارات المتعلقة بحماية المدنيين في الصراعات المسلحة[105] وأوجب علي قوات حفظ السلم والأمن الدوليين مهمة حماية المدنيين في تلك المناطق التي تشهد مثل هذه الصراعات كما أصدرت الأمانة العامة عدة تقارير حثت فيها مجلس الأمن والجمعية العامة علي تفويض قوات حفظ السلم والأمن الدوليين صلاحيات متعلقة بحماية المدنيين أثناء تعرضهم للخطر[106] .

ثانيا: التطورات بعد الحرب الباردة علي الصعيد الهيكلي لأجهزة حفظ السلم والأمن الدوليين :-

- **قسم عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين DPKO 1992 :-**

يوفر قسم عمليات حفظ السلم الذي أنشئ عام 1992 التوجيه السياسي والتنفيذي لعمليات حفظ السلم للأمم المتحدة في جميع أنحاء العالم ويحافظ على الاتصال مع مجلس الأمن وقوات حفظ السلم والمساهمين الماليين وأطراف الصراع في تنفيذ قرارت مجلس الأمن، ويعمل القسم على إدماج جهود كيانات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية وغير الحكومية في سياق عمليات حفظ السلم [107].

والأمانة العامة للأمم المتحدة من خلال قسم عمليات حفظ السلم تدير عمليات حفظ السلم في جميع أنحاء العالم وهي بمثابة المقر الرئيسي لهذه العمليات وتنفيذ قرارات الدول الأعضاء بشأن نشر القوات في الميدان وتفسير ولاياتها وفي هذا دلالة علي أهمية الأمانة العامة للأمم المتحدة كفاعل في السياسة الدولية[108].

ويوفر القسم لعمليات حفظ السلم التوجيه والدعم من الجيش والشرطة و مكافحة الألغام وغيرها من القضايا ذات الصلة إلى البعثات السياسية وبناء السلام . ويتكون قسم عمليات حفظ السلم من المكاتب الآتية [109]:-

- **مكتب العمليات:** يتمثل الدور الرئيسي لمكتب العمليات في تقديم التوجيه السياسي والاستراتيجي والدليل العملي في دعم البعثات .
- **مكتب سيادة القانون والمؤسسات الأمنية :** أنشئ مكتب سيادة القانون والمؤسسات الأمنية (OROLSI) في عام 2007 لتعزيز الروابط وتنسيق أنشطة الإدارة في مجالات الشرطة والقضاء و السجون وإزالة الألغام ونزع السلاح والتسريح وإعادة إدماج المحاربين السابقين وإصلاح القطاع الأمني . وفي عام 2010 ، نشرت إدارة عمليات حفظ السلم التابعة للأمم المتحدة (DPKO) دراسة مؤثرة حول "الجيل الثاني من نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج" ، لاستكشاف كيفية تكييف ممارسات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج لمعالجة سياقات النزاع التي تنطوي على "مستويات أكبر ونشر العنف ضد المدنيين العزل ، وغالبًا ما يرتكبها عناصر مسلحة غير منضبطة ، مثل الميليشيات والعصابات ، التي تعمل على المستوى دون الوطني[110] .
- **مكتب الشؤون العسكرية :** يعمل مكتب الشؤون العسكرية(OMA) علي نشر القدرة العسكرية الأنسب لدعم أهداف الأمم المتحدة وإلى تعزيز الأداء وتحسين كفاءة وفعالية العناصر العسكرية في بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلم. والقدرة علي استخدام القوة ، أو عدم استخدامها عندما يكون هناك حاجة إلى العمل ، مما يؤثر على ثقة السكان المدنيين المحليين والمجتمع الدولي، والمعضلة هي

إيجاد التوازن الصحيح في تطبيق القوة ، دون عرقلة المبادئ التأسيسية لمؤسسة حفظ السلم بشكل عام [111].

- **شعبة تقييم السياسات والتدريب** (PET) يوفر القدرة المتكاملة علي تطوير ونشر السياسات والمبادئ وتطوير وتنسيق وتقديم التدريب الموحد وكذلك تقييم التقدم المحرز نحو تنفيذ مهمة البعثة ووضع السياسات والأطر التشغيلية للتعاون الاستراتيجي بين الأمم المتحدة والشركاء الخارجيين .

وإيجاد بعض المعايير المحددة بوضوح فيما يتعلق باللجوء إلى استخدام القوة في عمليات السلم بما في ذلك الأنواع الإنسانية[112] ، وعلى مدار الخمسة عشر عامًا الماضية ، ظهرت ما يقرب من 12 دراسة كمية تقيّم أثر بعثات حفظ السلم ، وفي إحدى الدراسات الأولى التي أجريت ، اكتشف الباحثون كيف تؤثر أنواع مختلفة من المهام على إرساء السلم، ووجدوا أن المهمات المتعددة الأبعاد أكثر فاعلية من الأنواع الأخرى ، مثل مهمات المراقبة وإنفاذ السلام[113] .

- **قسم الدعم الميداني (DFS)2007 :-**

يقدم قسم الدعم الميداني (DFS) الذي أنشئ في عام 2007 مجالات التمويل والخدمات اللوجستية والمعلومات والاتصالات والتكنولوجيا (ICT) والموارد البشرية والإدارة العامة لبعثات حفظ السلم الميدانية والبعثات الميدانية السياسية . ويشمل ذلك: نقل الأفراد إلى منطقة عمليات البعثة وداخلها ومنها ؛ النقل والتخزين والصيانة والإخلاء أو التخلص من معدات البعثة في نهاية المطاف ؛ اقتناء وتوزيع والتخلص النهائي من لوازم البعثة ؛ اقتناء أو إنشاء وصيانة وتشغيل مرافق البعثة ، مثل السكن والمكاتب والمستودعات ؛ اقتناء أو توفير الخدمات المطلوبة في المهمة ، مثل تقديم الطعام أو التنظيف [114].

- **قسم الشؤون السياسية (DPA) 1992 :-** يعمل على منع وحل الصراعات وتعزيز السلم الدائم من خلال رصد وتقييم التطورات السياسية العالمية وإسداء المشورة إلى الأمين العام بشأن الإجراءات التي يمكن أن تعزز قضية السلم وتقديم الدعم والتوجيه إلى الأمم المتحدة ومبعوثي السلام والبعثات السياسية في الميدان وخدمة الدول الأعضاء بشكل مباشر من خلال المساعدة الانتخابية والدعم من قبل موظفي إدارة الشؤون السياسية لعمل مجلس الأمن وهيئات الأمم المتحدة الأخرى . كما لاحظ وكيل الأمين العام للأمم المتحدة لعمليات حفظ السلام ، (هيرفي لادسو)، "لا يمكن إنكار أن الجماعات ذات الآراء المتطرفة ظاهرة ناشئة" ، ومن هنا تأتي الحاجة إلى "تطوير مناهج مبتكرة

للتصدي لهذه الجماعات المسلحة دون المساومة على الأسس العقائدية لعملنا وقدمت المراجعات الثلاث لعام 2015 لعمل الأمم المتحدة بشأن السلم والأمن (حفظ السلم ، وبناء السلم ، والمرأة ، والسلم والأمن) ، والمناقشة الرفيعة المستوى اللاحقة حول السلم والأمن التي استضافها رئيس الجمعية العامة في مايو 2016 ، أبرزت استعراض استراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب في يونيو 2016 [115]. ويوضح الشكل رقم (2) الهيكل التنظيمي لقسم الشؤون السياسية بالامم المتحدة .

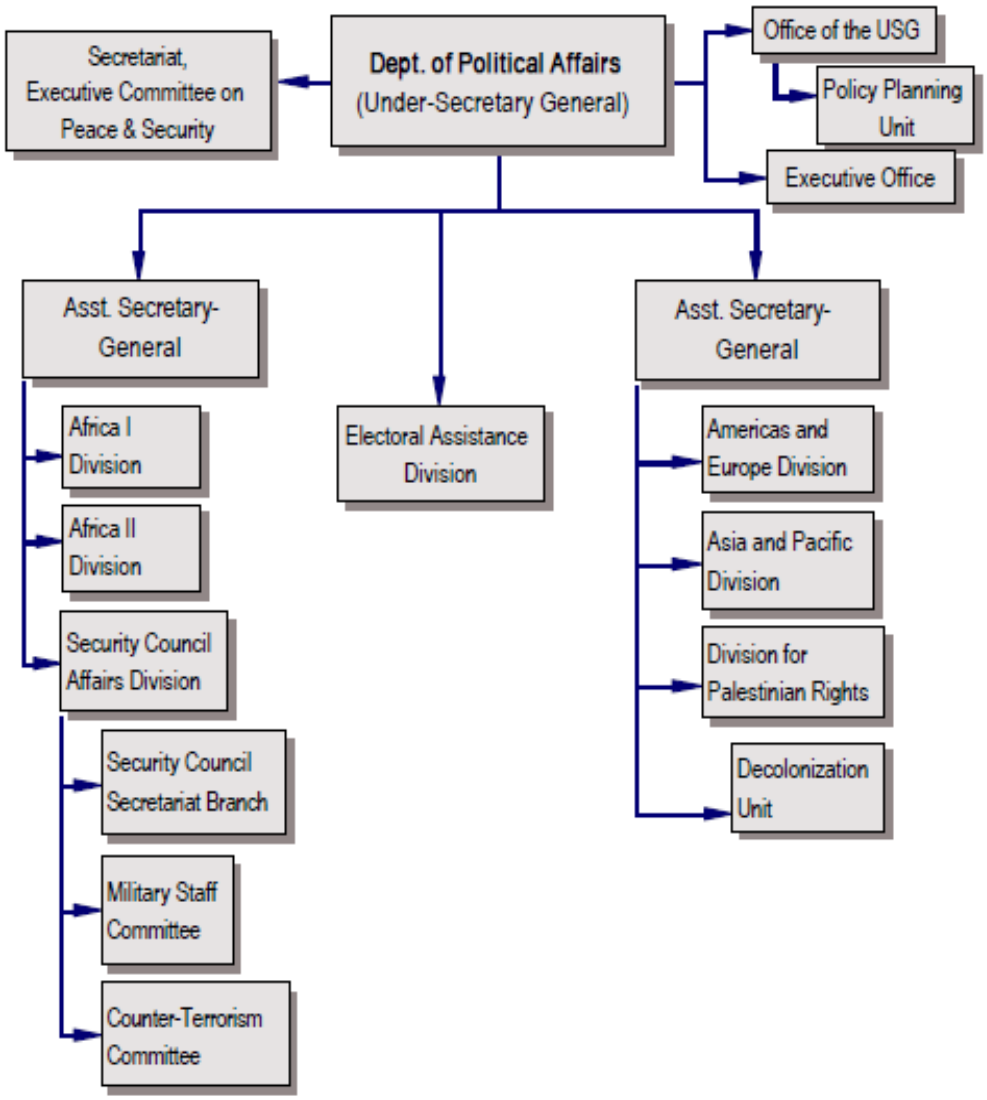

الشكل رقم (2) الهيكل التنظيمي لقسم الشؤون السياسية

خلاصة القول في نهاية القرن العشرين ، انخرطت معظم عمليات حفظ السلم في تنفيذ اتفاقات السلام الشامل ، واليوم ، بعد عقد ونصف العقد فقط من القرن الحادي والعشرين ، مرت معظم عمليات السلم التابعة للأمم المتحدة بمراحل تحول كبيرة وتركز الآن على تحقيق الاستقرار وحماية الأدوار المدنية[116].

خاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع التطور في عمليات حفظ السلم والأمن الدوليين في الأمم المتحدة بعد الحرب الباردة حيث تناول المبحث الأول الوسائل السلمية وغير السلمية المتبعة في حفظ السلم والأمن الدوليين حيث تم التعرف علي الوسائل السلمية لتسوية الصراعات في القانون الدولي المعاصر من دبلوماسية وسياسية وقضائية كما تم التطرق بالتفصيل إلي الأدوات السلمية المتبعة في تسوية الصراعات والتي جاءت في ميثاق الأمم المتحدة، وكذلك تناولت الدراسة دور الترتيبات الإقليمية والدولية فى حل الصراعات وفقا للفصل الثامن من الميثاق ، ومن خلال عرض الوسائل السلمية وتطورها بعد الحرب الباردة يمكن القول إن هذه الوسائل شهدت تطورا كبيرا، حيث أصبح لما يسمي بالمسار الثاني في الوساطة دورا مهما في تسوية الصراعات كما في منظمات المجتمع المدني وقادة المجتمعات المحلية والأكاديميين ورجال الدين والمنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات الفاعلة في المجتمع الدولي التي يمكن أن تتفاعل بحرية أكثر من المسؤولين الرسميين ، وكذلك ظهور مجموعة واسعة من ترتيبات جديدة لصنع السلم ودعمها، وأبرزها ائتلافات الدول المعروفة باسم "الأصدقاء" أو "مجموعات الاتصال" كما حدث في مجموعة أصدقاء ليبيا ومجموعة أصدقاء سوريا . وأما الوسائل غير السلمية ، فقد تضمنت العديد من الوسائل القسرية أو غير السلمية لحفظ السلم والأمن الدوليين وهذه الوسائل تضمنها الفصل السابع من الميثاق بدءا من المادة { 39 إلى 51 من الميثاق } وأيا ما كانت السلطات التي يتخذها مجلس الأمن من التوصية للأطراف المتنازعة بإتخاذ أو إتباع ما يرونه ملائما لحل الصراع إلى سلطة إتخاذ تدابير مؤقتة لمنع تفاقم الصراع أو الموقف إلى سلطة إتخاذ تدابير المنع أو القمع فإنه يتعين أن يستند في ممارسته لهذه السلطات على واحدة من الحالات الثلاثة الآتية { تهديد السلم أو الإخلال به أو وقوع عمل من أعمال العدوان } .وفي المبحث الثاني تم التطرق إلي التطور الذي شهدته عمليات حفظ السلم باعتبارها أحد آليات تحقيق السلم والأمن الدوليين حيث تم متابعة ما حدث من تطور لعمليات حفظ السلم والأمن الدوليين بعد الحرب الباردة وكذلك الأجهزة الهيكلية التي استحدثت من أجل مواكبة التطور في البيئة الدولية ولوحظ أن هناك زيادة كبيرة في عدد وحجم ونوع البعثات الممنوحة لعمليات حفظ السلم وأصبحت الأمم المتحدة أكثر انخراطا في محاولات لاحتواء ومعالجة آثار الصراعات داخل الدول وهذا يعني بدوره كاتجاه عام أن البيئة المادية التي تنتشر فيها قوات حفظ السلم

أصبحت أكثر تقلبا ومعقدة وخطيرة وقد تبين أنه في عدد متزايد من الحالات اضطرت قوات حفظ السلم للعمل مع الموافقة الجزئية من الأطراف المتحاربة وكانت في كثير من الأحيان غير قادرة على تحديد الخطوط الأمامية أو السلطات السياسية المشروعة داخل منطقة العمليات وقد أدت إلى ارتفاع كبير في عدد الوفيات التي لحقت بقوات الأمم المتحدة الأمر الذي أدي إلى الدعوة للأمم المتحدة إلي التخلي عن ممارسات حفظ السلم التقليدية والإنتقال إلي الأجيال اللاحقة ولصالح مذهب من شأنه أن يسمح لاستخدام القوة بشكل أكبر وأصبحت الأجيال الجديدة لقوات حفظ السلم منذ التسعسينيات ليست مجرد قوات فصل بين المتحاربين أو مراقبة اتفاق السلم وإنما تنطوي في كثير من الأحيان علي محاولات لتقليص الصراع وتسريح القوات المتحاربة حتى قبل وجود أي ضمان لوقف إطلاق النار ملزم وكذلك القيام بعمليات بناء السلام وإعادة الإعمار المدني كما في تسريح المقاتلين بعد إنتهاء الحرب وإعادة دمجهم في المجتمع وجمع الأسلحة من المقاتلين والمساعدات الطارئة للاجئين والمشردين داخليا وتنظيم انتخابات ديمقراطية لما بعد الحرب بحيث أصبحت الأمم المتحدة مزود الخدمة الكاملة للمجتمعات المنهارة بالتنسيق مع الوكالات الإقليمية ومؤسسات المجتمع المدني ...الخ وبحيث يتم تسوية الصراعات بطريقة تمنع حدوثها مستقبلا .

قائمة المراجع :

1- Andreu Solà-Martín,Tom Woodhouse,**The United Nations, armed conflict and peacekeeping**,(Spain: Open

2- University of Catalonia Foundation,2011),P9.

3- WALTER GARY SHARP, SR," PROTECTING THE AVATARS OF INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Durham: Duke University, School of Law, Vol. 7,1993),p93.

4- إنظر إلي المادة رقم (2) من ميثاق الأمم المتحدة .

5- المرجع السابق نفسه .

6- JOHN W. LANGO, Preventive Wars, Just War Principles, and The United Nation, **The Journal of Ethics** , (Netherlands: Springer , 2005) p251

7- إنظر إلي المادة (33) من ميثاق الأمم المتحدة .

8- المرجع السابق نفسه .

9- Ruth Mackenzie,**Law and policy of international courts and tribunals**(London: The University of London Press,2005),p29.

10- إنظر إلي الفقرة الثالثة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة .

11- Allen S. Weiner," THE USE OF FORCE AND CONTEMPORARY SECURITY THREATS: OLD MEDICINE FOR NEW ILLS?", **Stanford Law Review**,(Stanford,CA, the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University, Vol. 59, Issue 2,2006),p422.

12- Christopher W. Moore and Peter J. Woodrow,**Handbook of Global and Multicultural Negotiation,**(San Francisco: Jossey-Bass,2010),p7.

13- -Tanya Alfredson and Azeta Cungu,**Negotiation Theory and Practice: A Review of the Literature,**(Rome: FAO Policy Learning Programme,2008),p2.

14- Idem.

15- Judy Kent and Anne Touwen, **CONFLICT RESOLUTION,**(Geneva: International Federation of University Women,2001),p9.

16- صائب عريقات ، **الحياة مفاوضات** ،(نابلس: جامعة النجاح الوطنية ، 2008)، ص 15.

17- Marieke Kleiboer," Understanding Success and Failure of International Mediation" , **The Journal of Conflict Resolution**,(College Park : University of Maryland,Vol. 40, No. 2 ,Jun 1996),p360.

18- منيرة فيصل عبدالله السلطان ، **الوساطة أداة رئيسية من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية عربيا واسلاميا،** رسالة ماجستير (عمان : قسم العلوم السياسية، كلية الآداب ، جامعة الشرق الأوسط ، 2012) ، ص 15.

19- Arthur Boutellis and Christoph Mikulaschek, **Strengthening Preventive Diplomacy and Mediation: Istanbul Retreat of the UN Security Council,**(New York: International Peace Institute, April 2012),p2.

20- Jacob Bercovitch," MEDIATION SUCCESS OR FAILURE: A SEARCH FOR THE ELUSIVE CRITERIA", **The Journal of Conflict Resolution**,(Vol.7,No.2,August 2006),p290.

21- LOUIS KRIESBERG," Formal and Quasi-Mediators in International Disputes: An exploratry Analysis "**Journal of Peace Research**,(Oslo: SAGE Publications, Vol. 28. No. 1 , 1991),p19.

22- For more information see : United Nations, **United Nations Guidance for Effective Mediation**,(NewYork: United Nations publications,2012),p2.

23- Idem.

24- Hans. J. Giessmann and Oliver Wils, **Seeking Compromise? Mediation Through the Eyes of Conflict Parties**,(NewYork:UN Publications,2011),p187.

25- Heidi Burgess and Guy Burgess, **Conducting TRACK II PEACEMAKING,**(Washington: United States Institute of Peace,2012),pp5-6

26- Martin Griffiths and Teresa Whitfield, **Mediation:Ten years on Challenges and opportunities for peacemaking** ,(Geneva: Henry Dunant Centre for Humanitarian Dialogue, 2010),p8

27- Marieke Kleiboer, Op.cit,p368

28- زروال عبدالسلام ، **عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة** ، (رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2009 – 2010)، ص 19.

29- Office of Legal Affairs, **Handbook on the Peaceful Settlement of Disputes between States,**(New York: UNITED NATIONS PUBLICATION,1992),p24.

30- Idem.

31- J. G. MERRILLS, **INTERNATIONAL DISPUTE SETTLEMENT,**(New York: Cambridge University Press,Fourth edition,2005),pp45-46.

32- Office of Legal Affairs,Op.cit.p46

33- Ruth Mackenzie, Op.cit.p40.

34- محمد بواط ، **التحكيم في حل النزاعات الدولية** ،(رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية العلوم القانونية والإدارية ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الجزائر ، 2007\2008)، ص 17.

35- المرجع السابق ، ص ص 18-19

36- عمر سعد الله ، **القانون الدولي للحدود** ،(الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، **الجزء الأول** ، 2003) ، ص1 .

37- محمد بواط ، **التحكيم في حل النزاعات الدولية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 19.

38- زروال عبدالسلام ، عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 21 .-

39- محمد الأخضر كرام ، "الدبلوماسية الوقائية بين نصوص الميثاق وأجندة السلام" ، **المجلة العربية للعلوم السياسية** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 14 ، ربيع 2007) ، ص 132.

40- زروال عبدالسلام ، عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 22

41- محمد المجذوب ، **التنظيم الدولي :النظرية والمنظمات العالمية والإقليمية والمتخصصة** ،(بيروت : منشورات الحلبي الحقوقية ، الطبعة السابعة ، 2002) ، ص 313 .

42- CHRISTIAN STOCK, **A MANDATE IS NOT ENOUGH: The Security Council and Peacekeeping**,(Berlin: Friedrich-Ebert-Stiftung Global Policy and Development Department ,October 2011),p5.

43- إنظر الي المادة الثانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة .

44- -Natalino Ronzitti,"Lessons of International Law from NATO's Armed Intervention Against the Federal Republic of Yugoslavia " **Journal of THE INTERNATIONAL SPECTATOR,**(Roma:Routledge, VOLUME XXXIV, No. 3, July - Sep 1999),p45

45- Elham Animzadeh **, The United Nations and International Peace and Security : A legal and practical analysis , Thesis Submitted for the Degree of PhD in International Law**,(Glasgow: Faculty of Law and Financial Studies**,**University of Glasgow , 1997) , p 29.

46- Pascal TEIXEIRA, **The Security Council at the Dawn of the Twenty-First Century: To What Extent Is It Willing and Able to Maintain International Peace and Security?,**(Geneva: The United Nations Institute for Disarmament Research,2003),p5

47- Wahab Egbewole," United Nations Security Council and the Challenge of Rule of Law in the 21st Century"**Journal of Research and Practice in Social Sciences,**(---: ISSN-1715-4731, Vol. 6, No. 2 ,February 2011),p59.

48- -Idem.

49- Matthew C. Waxman," Cyber-Attacks and the Use of Force: Back to the Future of Article 2(4)" , **The Yale Journal Of International Law** ,Vol. 36,No. 421,2011),p426

50- For more information see: Mark S. Stein," THE SECURITY COUNCIL, THE INTERNATIONAL CRIMINAL COURT, AND THE CRIME OF AGGRESSION: HOW EXCLUSIVE IS THE SECURITY COUNCIL'S POWER TO DETERMINE AGGRESSION?", (Indianapolis: Robert H. McKinney School of Law, Indiana University, Vol.16,No.1,2005).

51- Steven R. Ratner," Image and Reality in the UN's Peaceful Settlement of Disputes", **European Journal of International Law, (** Florence: European Journal of International Law, Vol.6, No.1,1995),pp428 - 429

52- Ruth Wedgwood," United Nations Peacekeeping Operations and the Use of Force" **Journal of Law & Policy,** (Washington: Washington University, Volume 5, 2001), p69.

53- MAJOR JOSEPH P., "United Nations Peace Operations: Applicable Norms and the Application of the Law of Armed Conflict", **Journal of The Air Force Law Reviw**,(Washington : Active duty Air Force judge advocates,USA,Vol.50,2001),pp6-7.

54- Idem.

55- WALTER GARY SHARP, SR," PROTECTING THE AVATARS OF INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Durham: Duke University, School of Law, Vol. 7, 1993), Op.cit, p95.

56- Idem.

57- Ingunn Hilmarsdóttir, **United Nations Peacekeeping Evolution, principles and the applicable norms,** Lagadeild Félagsvísindasvið Háskóla Íslands,2012,P

58- WILLIAM E. GORTNEY, **Peace Operations,**(Washington : Joint Chiefs of Staff,US Army,2012),p viii.

59- Marta Martinelli, **THE PROTECTION OF CIVILIANS DURING PEACEKEEPING OPERATIONS,**(Brussels: Institute of European Studies, University of Brussels,2008)p7.

60- -Cedric de Coning · Mateja Peter(Eds), **United Nations Peace Operations in a Changing Global Order,**(Switzerland: Palgrave Macmillan,2018),P25.

61- Harvey J. Langholtz, **Princi**p**les and Guidelines for** UN**Peacekee**p**in**gO**perations**,(Williamsburg, VA , USA: Peace Operations Training Institute,2010),P16.

62- Andreu Solà-Martín,Tom Woodhouse,**The United Nations, armed conflict and peacekeeping**,(Spain: Open

63- University of Catalonia Foundation,2011),P9.

64- Jocelyn Coulon and Michel Liégeois, **Whatever Happened to Peacekeeping? The Future of a Tradition**,(Calgary: Canadian Defence & Foreign Affairs Institute,2010),pp1-2

65- Ibid,p2

66- Jibecke H. JOENSSON, **Understanding Collective Security in the 21st century: A Critical Study of UN Peacekeeping in the former Yugoslavia,**(Thesis submitted for the degree of Doctor of Political and Social Sciences of the European University Institute, Department of Political and Social Sciences, European University Institute, Florence, September 2010),pp118-119.

67- Idem.

68- Jocelyn Coulon and Michel Liégeois,Op.cit.p2.

69- EMEL OSMANÇAVUŞOĞLU," CHALLENGES TO UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS IN THE POST-COLD WAR ERA", **PERCEPTIONS JOURNAL OF**

INTERNATIONAL AFFAIRS,(Ankara: The Center for Strategic Research, Volume IV – Number 4, December 1999 – February 2000),p2.

70- Jocelyn Coulon and Michel Liégeois,Op.cit.p3.

71- Louise Riis Andersen, Peter Emil Engedal," Blue Helmets and Grey Zones:Do UN Multidimensional Peace

72- Operations Work?",(Copenhagen: Danish Institute for International Studies,2013),pp17-18.

73- Jaïr van der Lijn and etal ,**Peacekeeping operations in a changing world**,(The Hague: Netherlands Institute of International Relations Clingendael,2015),P25.

74- Ximena Jimenez and Harvey J. Langholtz,**GENDER PERSPECTIVES IN UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS,**(Williamsburg, VA,USA: Peace Operations Training Institute,2008),p14.

75- Kai Michael Kenkel," Five generations of peace operations: from the "thin blue line" to "painting a country blue", Revista **Brasileira de Política Internacional,** (Brasília: Instituto Brasileiro de Relações Internacionais, Vol: 56, No.1, 2013), pp125-126.

76- Edward J. Horgan, **The United Nations – Beyond Reform? The Collective Insecurity of the International System and the Prospects for Sustainable Global Peace and Justice,** Thesis submitted to the University of Limerick for the degree of Master,

77- MATS R. BERDAL," THE SECURITY COUNCIL, PEACEKEEPING AND INTERNAL CONFLICT AFTER THE COLD WAR" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Vol.7,1996),p75.

78- Hitoshi Nasu, "THE EXPANDED CONCEPTION OF SECURITY AND INTERNATIONAL LAW: CHALLENGES TO THE UN COLLECTIVE SECURITY SYSTEM" **Journal of AMSTERDAM LAW FORUM**,(Amsterdam:UV Amsterdam University,Vol.3,NO.3,2011),p33

79- MATS R. BERDAL, Op.cit, pp75-76.

80- -Waheguru Pal Singh Sidhu, "Regionalisation of Peace Operations" in Espen Barth Eide,(ed), **Effective Multilateralism**': **Europe, Regional Security and a Revitalised UN,**(London: The Foreign Policy Centre and British Council Brussels, 2004),p32

81- Robert Weiner,"The United Nations and War in the Twentieth and Twenty-First Centuries" **New England Journal of Public Policy**,(Boston: University of Massachusetts, Boston,Vol. 19: Iss. 1, Article 6,2003),p76.

82- MATS R. BERDAL ,Op,cit,p73

83- Louise Riis Andersen, Peter Emil Engedal," Blue Helmets and Grey Zones:Do UN Multidimensional Peace

84- Operations Work?",(Copenhagen: Danish Institute for International Studies,2013),P18.

85- Ronald Hatto," From peacekeeping to peacebuilding: the evolution of the role of the United Nations in

86- peace operations",(Cambridge: Cambridge university Press,2013),P 510.

87- Caelin Briggs, Lisa Monaghan,**PROTECTION OF CIVILIANS SITES:LESSONS FROM SOUTH SUDAN FOR FUTURE OPERATIONS**,(Norwegian Refugee Council,2017),P18.

88- Júlia Gifra Durall,"UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS UNDER CHAPTER VII: EXCEPTION OR WIDESPREAD PRACTICE ?", Revista del Instituto Español de Estudios Estratégicos Núm. 2 / 2013,P 9.

89- Maria do Céu Pinto Arena," A Blurring of Roles: Use of Force in UN Peacekeeping" PERSPECTIVAS, JOURNAL OF POLITICAL SCIENCE,(Portugal: Research Center in Political Science, SPECIAL ISSUE, 2017),P 60.

90- George F. Oliver," The Other Side of Peacekeeping: Peace Enforcement and Who Should Do It?",in Harvey Langholtz, Boris Kondoch, Alan Wells (Eds.)**, International Peacekeeping: The Yearbook of International Peace Operations**, (Netherlands: Koninklijke Brill N.V, Volume 8, 2002),pp101-102.

91- Ronald Hatto,Op.cit,pp 514-515.

92- Ingunn Hilmarsdóttir, **United Nations Peacekeeping Evolution, principles and the applicable norms,** Lagadeild Félagsvísindasvið Háskóla Íslands,2012,P87.

93- -United Nations,**United Nations Peacekeeping Operations** Principles and Guidelines**,**(NewYork: Department of Peacekeeping Operations Department of Field Support,2008),P18.

94- Ibid,P89.

95- CHRISTIAN STOCK,Op.cit,p3.

96- MARTINA ŠMUCLEROVÁ, "UN-LED" OR "UN-AUTHORIZED" OPERATION?: DISCERNING AMONG THE UN SECURITY COUNCIL'S MANDATED OPERATIONS", **Journal of The lawer quarterly,** (Czech Republic : The Institute of State and Law of the Academy of Sciences , Vol 2, No 4 ,2012),p306.

97- George F. Oliver," The Other Side of Peacekeeping: Peace Enforcement and Who Should Do It?",in Harvey Langholtz, Boris Kondoch, Alan Wells (Eds.)**, International Peacekeeping: The Yearbook of International Peace Operations**, (Netherlands: Koninklijke Brill N.V, Volume 8, 2002),pp101-102.

98- David M. Malone, **The UN Security Council: From the Cold War to the 21st Century,**(Boulder: Lynne Rienner Publishers,2004),p6.

99- Tim Murithi," The African Union's evolving role in peace operations: the African Union Mission in Burundi, the African Union Mission in Sudan and the African Union Mission in Somalia", **African Security Review**,(Pretoria: Institute for Security Studies,Vol.17,No.1,2008),p71.

100- Darya Pushkina & Philip Maier," United Nations Peacekeeping in Timor- Leste",**Journal of Civil War** ,(London: Routledge,September 2012),p326.

101- See Report of the Secretary-General pursuant to General Assembly Resolution 53/35: The Fall of Srebrenica

102- (**A54/549**, November 15, 1999).

103- -See Report of the Independent Inquiry into the Actions of the United Nations during the 1994 Genocide in

104- Rwanda (**S/1999/1257**, December 16, 1999, Annex).

105- Nicolas Lamp and Dana Trif," **United Nations Peacekeeping Forces and the Protection of Civilians in Armed Conflict**" (Berlin: Hertie School of Governance,2009),p3.

106- Yamashita Hikaru," Reexamining Peacekeeping: The 'Brahimi Report' and Onward", **NIDS Journal of Defense and Security** (Tokyo: The National Institute for Defense Studies, Vol. 8, No. 1, October 2005),p45.

107- Carsten Stahn," Responsibility to Protect: Political Rhetoric or Emerging Legal Norm?", **The American Journal of International Law**,(Wshington: American Society of International Law, Vol. 101, No. 1,2007),p100.

108- louise fréchette, **UN PEACEKEEPING: 20 YEARS OF REFORM**,(Ontario: The Centre for International Governance Innovation,2012),p8

109- Carlos Chagas Vianna Braga," Peacekeeping, R2P, RwP and the Question of the Use of Force" in Eduarda Passarelli Hamann and Robert Muggah (eds) **IMPLEMENTING THE RESPONSIBILITY TO PROTECT:NEW DIRECTIONS FOR INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY?,** (Brasilia: Igarape Institute,2013),p37

110- louise fréchette,Op.cit,p8

111- For more information See: Presidential Statement (S/PRST/1999/6)- 17 Sep . 1999 Resolution 1265 on POC in armed conflictb(S/RES/1265)- 19 Apr. 2000 Resolution 1296 on POC in armed conflict (S/RES/1296)- 21 Jun. 2001 Letter from the Council President (S/2001/614)- 15 Mar. 2002 First Aide Mémoire (S/PRST/2002/6)- 20 Dec. 2002 Presidential Statement (S/PRST/2002/41)- 26 Aug. 2003 Resolution 1502 on protection of United Nations personnel, associated personnel and humanitarian personnel in conflict zones (S/RES/1502)- 15 Dec. 2003 Presidential Statement (S/PRST/2003/27)- 14 Dec. 2004 Presidential Statement (S/PRST/2004/46)- 21 Jun. 2005 Presidential Statement (S/PRST/2005/25)- 14–16 Sep. 2005 World Summit (A/RES/60/1)- 28 Apr. 2006 Resolution 1674 on POC in armed conflict (S/RES/1674)- 4 Dec. 2006 Council Open Debate (S/PV.5577 and Res. 1)- 23 Dec. 2006 Resolution 1738 on POC in armed conflict (S/RES/1738)- 22 Jun. 2007 Council Open Debate (S/PV.5703)- 20 Nov. 2007 Council Open Debate (S/PV.5781 and Res. 1)- 27 May 2008 Council Open Debate(S/PV.5898 and Res. 1)- 14 Jan. 2009 Revised Aide Mémoire(S/PV.6066 and Res.1and (S/PRST/2009/1).

112- See: S/1999/957-30 Mar. 2001 S/2001/331-26 Nov. 2002 S/2002/1300-28 May 2004 S/2004/431-28 Oct. 2007 S/2007/643-29 May 2009 S/2009/277.

113- UN, **UNITED NATIONS HANDBOOK 2012-13,** (Wellington, New Zealand: the Ministry of Foreign Affairs and Trade,2012),p214.

114- Christian Schneider, **The Role of Dysfunctional International Organizations in World Politics: The Case of the United Nations Office on Drugs and Crime**, Thesis presented to the Faculty of Arts of the University of Zurich for the degree of Doctor in Philosophy ,2012,p38.

115- http://www.un.org/ru/publications/pdfs/un-handbook-2012_en.pdf retrieved on 5th November 2013, 21:30.

116-Siobhan O'Neil and James Cockayne,"Introduction", in James Cockayne and Siobhan O'Neil(eds)**, in an Era of Violent Extremism: Is It Fit for Purpose?,**(NewYork: United Nations University, 2015)**,**PP16-17.

117- Maria do Céu Pinto Arena," A Blurring of Roles: Use of Force in UN Peacekeeping" PERSPECTIVAS, **JOURNAL OF POLITICAL SCIENCE**,(Portugal: Research Center in Political Science, SPECIAL ISSUE, 2017),P61.

118- Gözde Kaya," A New Era in peacekeeping for the United Nations: Leaving traditional peacekeeping behind", **Journal of Economics and Management**,(Katowice, Poland: University of Economics in Katowice, Vol. 20 (A) • 2015),P54.

119- -Malte Brosig and Norman Sempijja," Does Peacekeeping Reduce Violence? Assessing Comprehensive Security of Contemporary Peace Operations in Africa",**Stability:International Journal of Security & Development**,(Kitchener, Ontario, Canada: Centre for Security Governance,4 :(1)7 ,2018),P3.

120- -KATHARINA P. COLEMAN AND PAUL D. WILLIAMS," "Logistics Partnerships in Peace Operations," (New York:

121- International Peace Institute, June 2017)P2.

122- ARTHUR BOUTELLIS AND NAUREEN CHOWDHURY FINK," Waging Peace: UN Peace Operations Confronting Terrorism and Violent Extremism",(NewYork: International Peace Institute, 2016),P2

123- *Cedric de Coning*," UN Peace Operations and Changes in the Global Order: Evolution,Adaptation,and Resilience",in Cedric de Coning and MatejaPeter, (eds)**,United Nations Peace Operations in a Changing Global Order**,(Gewerbestrasse, Switzerland: Palgrave Macmillan,2019),P297.

مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

علاقة آل الكزّة بالحركة السنوسية

1841-1944

د. وليد شعيب آدم

أستاذ مشارك، كلية الآداب، جامعة طبرق

العدد: الأول

يناير 2020

156

المقدمة

يسعى هذا الجهد إلى ملامسة مسارات علاقة آل الكزَّة بالحركة السنوسية وأئمتها وقياداتها 1841–1944، مع إعطاء اهتمام خاص لسياسات الحكومة الإيطالية التي حاولت بتعنت فصم عرى هذه العلاقة، وفرض سياسات التقارب والتفاهم والتعاون والتعايش السلمي مع مشايخ آل الكزَّة ومشايخ البنى الاجتماعية البرقاوية آنذاك. وذلك من خلال بعض الأطر الوثائقية والمرجعية المعاصرة، لاسيما الوثائق الإيطالية المنشورة، ووثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة، وثائق الشيخ أحمد عقيلة الكزَّة، وثائق الشيخ ناصر عبدالسلام الكزَّة، وثائق الشيخ مصباح التواتي بوسيف الكزَّة، التي ظلت حبيسة حقائبهم ردحًا من الزمن تنتظر يوم الانفراج.

ومن المهم الإشارة إلى أن هذه الوثائق حملت في أثنائها معلومات متناثرة في غاية الأهمية عن طبيعة العلاقة بين آل الكزَّة وأئمة وقيادات الحركة السنوسية.

ويطرح البحث النقاط الآتية مسارًا لتتبع مسارات هذه العلاقة:

- علاقة آل الكزَّة بالإمام محمَّد بن علي السنوسي وابنه السيد المهدي 1841–1902.
- علاقتهم بالسيد أحمد الشريف 1911–1922.
- علاقتهم بالسيد إدريس السنوسي وردود فعل الحكومة الإيطالية حيالها.
- تواصل آل الكزَّة مع السيد إدريس السنوسي في ديار الهجرة بمصر 1939–1944.
- مشاركة آل الكزَّة في ضيافة الأمير إدريس السنوسي بمركز قضاء سلوق عام 1944.

ويطيب لي أن أعرب عن امتناني العميق للأستاذ محمَّد حمد جربوع الكزَّة، الذي أعانني بلطفه المعروف، وأولاني عناية وثقة لا أنساهما، وشد من أزري، وشجعني أثناء كتابة هذا الجهد، ولم يبخل علي قط بما في حوزته من وثائق ومعلومات كان لها الأثر الواضح في إظهار هذا العمل المتواضع، الذي أقدمه على حياء مما سيكون فيه من نقص وقصور وهنات وهفوات، لا يسلم منها الجهد الإنساني مهما كان نصيبه من الإخلاص والدقة.

علاقة آل الكزَّة بالإمام محمَّد بن علي السنوسي

وابنه السيد المهدي 1841-1902

ارتبطت الطريقة السنوسية بالليبيين ارتباطًا وثيق الصلة منذ قدوم الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي إلى ليبيا في بدايات العشرية الخامسة من القرن التاسع عشر، وصارت جزءًا من تاريخ بلادهم التي شهدت الكثير من الأحداث الجسام، صراعات، حروب، مجاعات، ومواجهة المحتل الأجنبي للوطن الليبي مهيض الجناح على امتداد أطرافه.

ومنذ قدوم الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي إلى برقة[117] في شهر (أكتوبر) عام 1841، وجد ترحيبًا كبيرًا من بعض البنى الاجتماعية البرقاوية، المغاربة، والعواقير، والبراعصة، فضلًا عن أعيان وعائلات بنغازي: آل الكيخيا، وآل امنينة، وآل شتوان، ودخل بنغازي وأقام بها شهر رمضان[118]. والجدير بالإشارة أن وصول الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي إلى بنغازي تزامن مع قدوم بوخريص الكزَّة إلى بنغازي لشراء الكفن لأخيه الشيخ بوشنيّف الكزَّة -شيخ قبيلة العواقير وأحد زعامات البنى الاجتماعية البرقاوية- الذي مسه الضر، والذي تأكد لمن حوله أن ساعته قد قربت، لكن الله سخر لبوخريص الكزَّة الرجل الصالح علي خريبيش[119] وكانت له معرفة قديمة به، فأخبره بمرض الشيخ بوشنيّف الكزَّة وبأنه في ساعاته الأخيرة، وطلب منه الدعاء له بالشفاء والنجاة، فقال له: **«لقد جاء إلى بنغازي رجل صالح عالم فلنذهب إليه ونطلب منه الدعاء له بالشفاء»**، فلما التقوا بالإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي أظهر لهم عدم الانزعاج، وأطال لهم في المجلس وهم في عجل من أمرهم، فألحوا في طلب الإذن لهم بالخروج فقال لهم: **«ربما هذا المريض يدفن بعض الحاضرين»**، ثم أبدى موافقته في الذهاب إليه وترك بعض إخوانه وثقل أثاثه وخف في الخروج، وكان الشيخ بوشنيّف نازلًا بأهله بمكان يسمى **(الظاهر)** يبعد عن بنغازي بمسافة يوم كامل، فلما وصل إلى الشيخ بوشنيّف وكان في حالة غيبوبة، ومرضه في بطنه، وهي منتفخة، فوقف عليه ووضع يده الشريفة على بطنه فانتفشت كأنها قربة منفوخة، وأفاق في الحال، وتكلم الشيخ بوشنيف الكزَّة وقال: **«لا أرى»** فقام الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي بالمسح على عينيه وقال: **«عمر جديد إن شاء الله يا شيخ بوشنيف»**، فكبر الحاضرون وهللوا، وعلت أصوات النساء بالزغاريد، وسرت القبيلة بشفاء شيخها، وجاءت الوفود من معظم

البنى الاجتماعية البرقاوية مهنئة بشفاء الشيخ بوشنيف الكزَّة وطلبًا للدعاء والتبرك. وتجدر الإشارة إلى أن الإمام أقام في نجع آل الكزَّة ما يقرب من شهر، بعد أن أرسل مشايخ آل الكزَّة في طلب الإخوان وأهله[120].

في المقابل يقول السيد أحمد الشريف في مخطوطه: **(الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج): «وأتى هناك [بنغازي] رجال من العواقير من قبيلة يقال لهم عيلة الكزَّة...، وبعد خروجه من البلد [السيد الإمام محمَّد بن علي السنوسي] طلبوه أن ينزل عندهم ففعل، ومنهم رجل يسمونه أبا شنيف كان مريضًا مرضًا شديدًا، كادت أن تزهق روحه في ذلك الوقت، فطلبوا معافاته بإذن الله، فقرأ عليه وأعطاهم ثوبه وقال لهم: ألبسوه له، فلما ألبسوه عافاه الله وعاش مدة من الزمن»**[121].

وتشير بعض الأطر المرجعية إلى أن حادثة شفاء شيخ العواقير بوشنيف الكزَّة على يدي الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي، كانت مدخلًا للدعوة السنوسية بين البنى الاجتماعية البرقاوية، واعتبرها –المؤرخ وسكرتير السيد أحمد الشريف– عبدالملك عبدالقادر بن علي الدرسي[122]، أول فتح لابن السنوسي في برقة[123]. وفي تقديرنا تُعد المسار الأول لعلاقة آل الكزَّة بالحركة السنوسية.

وأثناء إقامته في نجع آل الكزَّة وجد طبلًا[124] عند الشيخ بوشنيّف الكزَّة فقال له: **«ما هذا؟ وماذا تفعلون به؟»** قالوا له: **«هذا الطبل يستعمل في أوقات الحروب، تضعه النساء على مرتفع عالٍ، وتضرب عليه كي يأتي العون من القبائل المجاورة»**، فقال لهم: **«ولمن تضربونه؟»**، قالوا: **«لبعضنا البعض»**، فقال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، دم المسلم على المسلم حرام»**، ثم استطرد قائلًا: **«أنتم يخططون لغزوكم النبلتان [الطليان] هذا الطبل وقوتكم ادخروها لمحاربتهم، وهذا الطبل ستضربونه في معركة، والمعركة التي تضربونه فيها تنتصرون فيها بإذن الله»**، ويقال إن هذا الطبل ضرب يوم معركة السلاوي، بقيادة الشيخ عبدالله الأشهب، شيخ زاوية مسوس، وقد انتصر فيها المجاهدون نصرًا مؤزرًا من عند الله.

أيضًا أثناء وجوده لدى آل الكزَّة ألح عليه البعض بالدعاء لله لأنزال المطر[125]، فتمنع وقال: **«أنا مخلوق مثلكم»، فحثوا عليه في الطلب، فقال لهم: «الفاتحة، لعل الله يرزقنا الغيث»، ولما رفع يديه للفاتحة نزل رجليه من على السرير، ووضعهما على الأرض، ولما فرغ من الفاتحة وخرجوا من عنده قال لهم السيد عبدالله التواتي: من علامات نزول الغيث طلبه للرحيل، فلم يكن غير ساعة حتَّى أمر بالرحيل»**[126]،

فسرحوا له جوادًا أصيلًا مسرجًا بسراج من أغلى السروج وركابات من ذهب، لكنه رفض وقال: «**أريد جملًا**»[127]، وعندما هم بالرحيل رأوا قطعة سحاب مقبلة عليهم، فارتحل وسار معه أغلب أهل ذلك المحل [آل الكزَّة]، فما كان غير قليل حتَّى عمهم المطر، وحال بين السائرين معه وبين أهلهم، وأتاهم في تلك الليلة رعد وبرق ومطر وابل، ومن كان متباعدًا من أهله حالت المطر بينه وبين أهله فلم يستطع الوصول إليهم[128] وتبللت برانسيهم وجرودهم، فقالوا له: «**خفف عنا يا شيخ**»، فقال: «**حوالينا ولا علينا**»[129].

وعلى كل؛ فقد قام آل الكزَّة وآل اللواطي بحمل أهل الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي ومن بمعيتهم على الأبل إلى قبيلة البراعصة بالجبل الأخضر، ثم حملوهم أفراد قبيلة البراعصة إلى مكان الزاوية البيضاء، التي كانوا قد شرعوا في تأسيسها قبل قدوم الإمام، وكانت الزاوية البيضاء هي ثاني الزوايا التي أسسها الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي بعد زاوية أبي قبيس في مكة المكرمة، بيد أنها كانت أهم الزوايا لأنها تُعد أم الزوايا في ليبيا، وهي المركز الذي انبثق منه نور الدعوة السنوسية إلى مجاهل أفريقيا، بل العالم الإسلامي فيما بعد[130].

إن علاقة آل الكزَّة بالإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي تظهر بوضوح في أثناء رسالة الإمام التي بعثها لهم مع أحد الحجاج من الحجاز يقول فيها: «**إنه من عند عبد ربه سبحانه وتعالى، محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، إلى أولادي الأبرار وأصفيائه الأخيار، ولدنا الشيخ أبي شنيف، وولدنا أبي سيف، وولدنا هاشم، وولدنا يوسف، وولدنا مصطفى، وكافة الأبناء [...] كرمهم الله، آمين، سلام الله تعالى الأتم، ورضوانه الشامل الأعم، تتولى عليكم نعماته، وتعمكم بركاته، وبعد: فالموجب لتسطيره، والباعث على إبرازه وتحريره: السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم، أجراها الله -سبحانه وتعالى- على كتاب الله وسنة رسوله، ووفق مرادكم أننا سابقًا أرسلنا لكم كتبًا مع الحجاج، وأخبرناكم فيها عن سائر أحوالنا وما نحن عليه من الصحة والسلامة، فليكن معلومكم أننا الآن أيضًا كذلك على ما تعهدوه سابقًا، لم يكن عندنا بفضل الله ومنته من المخالفات شيء، غير أننا منتظرون أخبارًا تأتينا من طرفكم تخبرنا عن سائر أحوالكم وما أنتم عليه، نرجو الله أنكم على أحسن حال، وأكمل نعمة وأتم منوال، بجاه كامل الخصال، صلى الله عليه وسلم...**»، ثم يبشرهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر، داعيًا الله أن يشملهم بالخير عند كل محل، وأنهم مذكورون لديه في كل مجمع، موصيًا إياهم بتقوى الله العظيم، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من ذكره: **«وأنتم أبشروا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إننا داعون لكم نحن وجميع الإخوان بكل خير شامل، عند كل محل فاضل، ولا زلتم منا بمرأى ومسمع، مذكورين لدينا في كل مجمع، هذا، والذي أوصيكم به تقوى الله العظيم وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من ذكر الله والحث عليه وملازمة زيارة إخوانكم، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، وعلى البر أعوانا، بذلك تنالون الفوز الأبدي، والربح السرمدي، الذي لا يعتريه خسران ولا يحوم حوله [...] حرمان جعلكم الله هادين مهديين، دالين على الخير وبه عاملين، وبلغوا سلامنا إلى كافة أبنائكم وأهليكم ومحبيكم، والسلام عليكم ورحمة الله، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله، وبلغوا سلامنا إلى كافة من عندكم من الإخوان، والسلام»**[131].

أيضًا تتجلى عمق العلاقة بين الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي وآل الكزَّة في رسالة الإمام المرسلة لهم من المدينة المنورة زمن تشريقته الثانية كما يظهر من الرسالة: **«إنه من عبد ربه سبحانه محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي، إلى أولاده المكرمين وأصفيائه الساجدين، ولدنا الشيخ أبي شنيف، وولدنا الشيخ يونس، وولدنا أبي سيف، وولدنا هاشم، وولدنا يوسف، وولدنا الشيخ مصطفى، وولدنا الشيخ عبدالله، سلمهم الله، آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته»**، وبعد السلام عليهم بالاسم يشرع في السؤال عنهم وعن أحوالهم: **«وبعد، بموجب السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم، أجرى الله الصالحات منها وفق مرادكم، نرجو الله أنكم على أحسن حال، بحرمة كامل الخصال، وقد كنا في انتظار راحل من ناحيتكم يخبرنا بأحوالكم مشافهة، والخير ما اختاره الله تعالى»**، ثم يستطرد في رسالته بتوصيتهم بتقوى الله وإقامة سنة نبيه والمحافظة على قراءة الأوراد وصلة الأرحام، وأن يكونوا على قلب واحد: **"والوصية لكم تقوى الله العظيم، وإقامة سنة نبيه الكريم، وأن لا تهملوا أورادكم وزيارة إخوانكم، وأن تكونوا على قلب واحد، واياكم والتباغض والتحاسد، نرجو الله تعالى أن يجعلكم مغاليق للشر مفاتيح للخير، بحرمة البشير النذير، ونحن حين التاريخ بالمدينة المنورة لأجل الزيارة، وسلامنا يعم جميع الأهل والأبناء والإخوان والمحبين»**[132].

وفي السياق ذاته؛ كان الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي يبذل مساعيه وقصارى جهده لحلحلت بعض المشاجرات والنزاعات التي تحدث في بعض الأحيان بين رجالات آل الكزَّة، ويرسل من لدنه المشايخ لفضها ووأدها في حينها، ولعل خير دليل على ذلك رسالته إلى الشيخ بوشنيف الكزَّة المنطوية على حثه إياه على التصالح والتآخي وعدم التشاجر والتباغض: «**إنه من عبد ربه سبحانه محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي، إلى أخيه الشيخ أبي شنيف، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورضوانه وإحسانه وتحياته، وبعد: فقد بلغنا ما وقع بينكم من التشاجر والتباغض، ولا رضينا بذلك [...] كثيرًا، وقد كان مرادنا أن نرسل لكم ولدنا الشيخ عبدالله التواتي فلم يتيسر، وها نحن قد وجهنا لكم ولدنا الشيخ محمَّد بن مؤمن، وأنتم تعرفون [...] ومقداره، وأرسلناه ليحل بينكم، فلا ينبغي لأحد منكم أن يخرج عن كلامه**»، ثم يستطرد في نصحهم وتوصيتهم قائلًا: «**وما كان ينبغي أن يصدر منكم ذلك، وأنتم كذات واحدة، وهذا شيء يطمع فيكم الأعداء ويشمتهم فيكم، وعن قريب لا تجدون إلا بعضكم بعضًا، ومثلكم لا يفرط في عياله، وها هو قادم عليكم ولدكم ولدنا بوسيف بمعية بركة، فخذوا كلامه وهو يصلح بينكم مع ولدنا الشيخ محمَّد، وما هذا الذي وقع بينكم إلا من الشيطان، فأخرجوا ذلك عنكم وتصالحوا فيما بينكم، يصلح الله أحوالكم، وهذا الشيء منكم لا يرضى الله ولا رسوله فارجعوا عن ذلك وتوبوا إليه...**"[133].

لم تقتصر علاقة آل الكزَّة بالإمام محمَّد علي السنوسي وطريقته وهي لا تزال في بواكيرها عند هذا الحد، بل تظهر في حرص الشيخ بوشنيف الكزَّة على تجشم عناء ومشقة السفر وهو يبلغ من العمر عتيًا بصحبة الكثير من مشايخ وأعيان برقة: الشيخ عمر جلغاف، وابن خالته احموده العريفي، وعبدالله سويحل، والحاج محمَّد الكيخيا، وسواهم، إلى الحجاز عام 1853م، ليلتمسوا من الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي العودة إلى برقة، فكان يعدهم خيرًا، لكنهم أصروا على اصطحابه معهم[134].

ولعلنا لا نضيف جديدًا عندما نقول: إن شخصية الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الدينية لها مقام معلوم لدى آل الكزَّة، فقد استحوذت عليهم، وأسرتهم تعاليمه وكرامته وقدوته، حتَّى إنهم تركوا أوطانهم وتبعوه في رحلاته، وأطاعوا أمره بطيب نفس كسواهم من البنى الاجتماعية البرقاوية.

وتنبغي الإشارة إلى أنه لما أمر السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الشيخ عمر محمَّد الأشهب[135] ببناء زاوية مسوس في أواخر عام 1856، كان آل الكزَّة وأبناء عمومتهم من العواقير في مقدمة مساعديه، ولم يتوانوا أو يبخلوا عليه قط في تقديم المعونة حتَّى تم بناء الزاوية[136].

وكما ألمحنا آنفًا فإن مشايخ آل الكزَّة كانوا من أنصار الطريقة السنوسية منذ مجيء إمامها ومؤسسها الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي إلى برقة، تأثروا بها، وانصهروا في بوتقتها، وتبنوا تعاليمها ومبادئها، وأصبحوا من رجالاتها، لا يبغون عنها حولا، وفي كثير من المواقف الحرجة كانوا يمتثلون لأوامر أئمتها وشيوخها حتَّى في أحلك الظروف وأشدها حساسية وعصيبة، ولعل ما يؤكد ذلك امتثالهم لأوامر السيد المهدي السنوسي[137] عندما أشتد النزاع بين قبائل الجبارنة وبعض البنى الاجتماعية القاطنة بالصحراء الغربية بمصر، ووصل إلى مرحلة حرجة، وأوشك القتال أن يندلع بينهم بسبب حادثة قتل جربوع ابن الشيخ بوسيف الكزَّة، بالقرب من مضارب إحدى هذه البنى، وكان الشيخ بوسيف بن بوشنيف الكزَّة من زعامات الجبارنة، وهو والد المقتول، قد خرج عن طوره وأخذ يستنجد بجميع البنى الاجتماعية الموالية له أو التابعة والمرتبطة به، للشد من عضده والاستعداد للغزو، وفقًا للأعراف البرقاوية وقتذاك، وكاد ينجح في مسعاه، لولا قيام شيخ زاوية مسوس السنوسي الأشهب بالكتابة إلى السيد المهدي السنوسي يعلمه بمغبة وخطورة الأمر، وتحسبًا لما يمكن أن تؤول إليه الأمور من تطورات قد لا يحمد عقباها، قام السيد المهدي السنوسي من فوره بالإرسال في طلب الشيخ بوسيف الكزَّة على جناح الاستعجال، فامتثل الأخير لأمره ومثل أمام يديه، فأخذ السيد المهدي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية ينصحه بالإقلاع عما عقد عليه العزم، وأوضح له مغبة وحرمة هذا الفعل وعواقبه، وعن طيب خاطر امتثل لأمره، وأقلع عن فكرته وسط جو مشحون بالمبارزة والمنافسة القبلية، وعاهد السيد المهدي بالعدول عنها، وأن لا يعود لمثلها، وأمر قومه والنجدات التي استعدت لمساعدته بالرجوع إلى مواطنهم، وكتب في ذات الوقت إلى قتلة ابنه يخبرهم بالعدول عن رأيه وعزمه مقاتلتهم، وبأنهم في مأمن من جهته، لا خوفًا منهم ولا خشية من العاقبة، ولكن امتثالًا لأمر الشرع وطاعة للسيد المهدي[138]. ولعل هذه الحالة تتناغم مع قول محمَّد عثمان الحشائشي: «**إن بدو برقة كانوا... ينظرون بالاحترام العميق للشيخ سيدي المهدي، كما يخافون الله ورسوله**»[139].

ويبدو أن الشيخ بوسيف الكزَّة لم يجد غضاضة في امتثاله واحترامه لأوامر وتعليمات السيد المهدي السنوسي باعتباره مرابطًا وإمامًا ورمزًا يشبع الإحساس الروحي والديني، ويساعد على إنارة الطريق إلى الدار الآخرة عبر علومه الشخصية وبركته وبركة أسلافه المرابطين والطريقة السنوسية التي يتولى إمامتها، بمعنى أنه: **«قد أنجز هذه النتائج المرموقة بممارسة السلطة الروحية وحدها، لا عن طريق القوة»** على حد قول محمَّد عثمان الحشائشي(140).

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا؛ أن الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي، ونجله السيد المهدي، نجحا في تجديد تعاليم الإسلام، وإشاعة روح الوئام والإخاء القائم على العقيدة الإسلامية، وإرساء دعائم الأمن والسلم والنظام بين البنى الاجتماعية البرقاوية بشكل لم تعرفه برقة من قبل، ولعل خير دليل على ذلك ما انطوت عليه الوثيقتان الآتيتان:

الأولى –وهي ممهورة بتوقعيات جُل مشايخ العواقير بتاريخ 10 (جمادي الآخر) 1281هـ/10 (نوفمبر) 1864– : **«ليعلم الواقف على هذا أن أستاذ العارفين وعمدة المتصرفين أستاذنا السيد محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي... كان يأمر فينا بملازمة فعل قواعد الإسلام الخمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتباع ما أمرنا الله به، واجتناب ما نهانا عنه، وملازمة السنة [...] وكانت النفس الأمارة بالسوء والشهوات الشيطانية تمنعنا عن ذلك»**، ولم يكتفوا بذلك بل استطردوا في القول: **"والآن وقبل ذلك أمرنا خليفته ونجله، أستاذنا الأعظم، وملاذنا المفحم، بما كان يأمرنا به والده –رضي الله عنه– فحصل لنا الزجر والوعظ له [...] فتحققنا أن أمرهم هو صلاحنا دنيا وأخرى، فرجعنا وجددنا التوبة إلى الله ورسوله من جميع ما يكرهه الشارع، واتفقنا بأجمعنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل القواعد الخمس من أداء الصلوات في وقتها، وتطهير المال على أربابه، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام على من استطاع إليه سبيلًا، وملازمة النصح وعدم المداهنة، وملازمة فعل السنة المحمَّدية، وعدم اختلاط الأجنبي بالأجنبية، واتفقنا معشر الوطن بأجمعنا، خاصنا وعامنا، كبيرنا وصغيرنا، جليلنا وصغيرنا، على بعض ما أمرنا به، وعلى من يدخل بيت غيره من غير إذن صاحبه في غيبته وحضوره [...] الأدب والضرب المبرح [...] في رد [...] ومن أصابه ضرب أو قتل فدمه مهدور، واتفقنا**

بهذا ووضع [ووضعنا] ختومنا ليكون حجة علينا، وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وفقنا الله جمعيًا لما يحبه ويرضاه، ومن خالف ما أمرنا به واتفقنا عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين...»[141].

وتشير الوثيقة الثانية الممهورة بتوقيعات الكثير من مشايخ العواقير عام 1282 هـ/1865، إلى بعض خلافاتهم ونزاعاتهم مع بعض البنى الاجتماعية البرقاوية على ملكية الأراضي إلى أن منَّ الله عليهم بأستاذ العارفين، وعمدة المتصرفين، الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الذي شرع في هدايتهم إلى سبيل الهدى والرشاد: «**... حتَّى من الله علينا بسداد [بأستاذ] العارفين، وعمدة المتصرفين، سيدي السيد محمَّد السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي [...] يهدي فينا [...] وخلفه نجله الطاهر والسداد [الأستاذ] العارف السيد سيدي المهدي [...] وجاء إليه بعض ناس من العواقير [...] وطلبوا منه تأسيس زاوية بالعلام فأذن لهم، وأرسل معهم بعض من خلاصة أولاده الكرام لتأسيس الزاوية**»، كما قام أيضًا ببناء مسجد لهم في علوة انتلات، وتعهدوا له أن يذكر فيه الله آناء الليل وأطراف النهار: «**ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن وفَّى بما عهد الله سيؤتيه أجرًا عظيمًا**»[142]. «**لقد خلقت السنوسية تغيرًا كبيرًا في طريقة حياتهم، هذا أمر لا شك فيه**» على حد قول ايفانز بريتشارد[143].

وفي 11 (محرم) 1285هـ/1868، أرسل السيد المهدي السنوسي رسالة إلى الشيخ بوسيف بوشنيف الكزَّة، تنطوي على علمه بوصول رسالته التي أرسلها إليه: «**فإنه قد وصل إلينا كتابكم وجميع ما شرحتم فيه صار في علمنا، وحمدنا الله على سلامتكم وعافيتكم، أوصلكم الله إلى المنى والآمال، وبلغكم مراتب الفضل والكمال، بحرمة سيد الرجال، صلى الله عليه وسلم**»، موضحًا بأنه والإخوان بخير وفي حالة تسرهم: «**وإن سألتم عنا وعن كافة من بالطرف من الإخوان، فالجميع ولله الحمد على حالة تسركم، ربنا سبحانه يديم علينا وعليكم سوابغ نعمه**»، مشيرًا إلى وصول الشيخ عبدالرحيم بن أحمد ومن في معيته من الإخوان، وأنهم على أحسن حال، مبينًا أنهم أخبروه عن ما هم عليه من الشيم البهية، والأحوال المرضية، فضلًا عن ما حملتموه لهم من أخبار بشأن سعي سليمان تربل أفندي بإعفاء ما على أهل الزوايا من جملة الأعشار، راجيًا

من الله أن يزيل عنه وعنكم ما تكرهون، ويحسن مجازاة الجميع، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير[144].

وثمة وثيقة أخرى مؤرخة في شهر رمضان 1307هـ/1890م، تشير إلى تواصل السيد المهدي السنوسي مع الشيخ بوسيف بن بوشنيف الكزَّة، والشيخ يوسف الكزَّة، ومكاتبهم لبعضهم البعض، وسؤاله عن أحوالهم والدعاء لهم بالسلامة والعافية وبالتوفيق لصالح الأعمال في الأقوال والأفعال، وبأن أخاه السيد محمَّدًا الشريف بخير وعافية ونعمة من الله سبحانه وتعالى: «**... إلى الأجلين الفاضلين [...] الكاملين غاية الآمال ونهاية الكمال، أخينا الشيخ بوسيف الكزَّة [...] أخينا الشيخ يوسف، سلمهما الله آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومغفرته ومرضاته، وبعد: فإنه قد وصل إلينا كتابكم، وكل ما فيه صار بعلمنا، وحمدنا الله عز وجل على سلامتكم وعافيتكم، أوصلكم الله إلى رضوانه الأبدي، وعزه الدائم السرمدي. وإن سألتم عنا وصنونا السيد محمَّد الشريف وكافة الإخوان، بخير وعافية، ونعم ضافية، المأمول منه تعالى أن لا تزالوا كذلك [...] [إنَّه على] ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وربنا يوفق الجميع لصالح الأعمال في الأقوال والأفعال، ولا زلنا داعين لكم بصالح الدعوات، في الخلوات والجلوات، وعلى الله القبول، وهو المرجو منه والمأمول، وبلغوا منا السلام إلى جميع الإخوان والمحبين، ومن عندنا يسلم عليكم صنونا وكافة الإخوان والمحبين، والسلام**»[145].

ولما ارتحل السيد المهدي السنوسي من الجغبوب إلى الكفرة عام 1895، وصحبه السيد أحمد الشريف، ارتحل معه من الطلبة عقيلة عبدالقادر يونس بوشنيف الكزَّة، بمعية السيد محمَّد عبدالله التواتي، ومحمَّد بن موسى، وعلي السعيطي، وأحمد البوسيفي، والشارف بن سيدي حامد خيرة، وغيرهم كثير من الطلبة والإخوان[146].

إنَّ علاقة آل الكزَّة بالسيد المهدي السنوسي لم تقتصر عند هذا الحد، بل رافقه الشيخ الفضيل بوخريص الكزَّة، والشيخ محمَّد عبدالقادر الكزَّة، والشيخ عبدالقادر يونس الكزَّة، بصحبة الكثير من مشايخ البنى الاجتماعية البرقاوية، وكبار الإخوان، وشيوخ الزوايا في أواخر (جمادي الثاني) 1317هـ/1899م، إلى قرو بالسودان الغربي للاستعداد لمواجهة القوات الفرنسية الزاحفة نحو بحيرة تشاد، وانضم إليهم أولاد سليمان،

والزوية، والمجابرة، وكان الشيخ الفضيل بوخريص الكزَّة، والحاج محمَّد الثني الغدامسي، والشيخ غيث سيف النصر، من ضمن القيادة العليا للمجاهدين التي ترأسها الشيخ محمَّد البراني الساعدي[147].

علاقة آل الكزَّة بالسيِّد أحمد الشريف 1911-1922:

عندما بدأ الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911، وأصدر السيد أحمد الشريف[148] نداءه المشهور الذي حث فيه أهالي برقة على المقاومة، لبى آل الكزَّة وأبناء عمومتهم من قبيلة العواقير ذات النفوذ الكبير في برقة، النداء، وكانوا في أول الصفوف مع بقية البنى الاجتماعية البرقاوية الأخرى، للوقوف في وجه المعتدي، والاستعداد لقتاله، والتضحية في سبيل الوطن بالنفس والنفيس، وشاركوا في جُل المعارك ضد الغزاة الطليان، واستشهد من عائلة إبراهيم في معركة حامية الوطيس بقرب البركة بالموقع المعروف بـ **(هوى الزردة)** حوالي مئة وخمسين شهيدًا[149]. وفي شهر (أبريل) عام 1912، حدثت معركة بموقع **(حوش العكب)** بالنواقية أثناء زحف القوات الإيطالية نحو سلوق، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها بسبب المواجهة التي اصطدمت بها، وقد شارك في هذه المعركة الشيخ إبراهيم المصراتي بوشنيف الكزَّة، وكان من بين شهداء هذه المعركة بوزيد محمَّد الكزَّة، ومن بين الجرحى عبدالحميد العبار، والشيخ يونس بومصطفى بوشنيف الكزَّة[150].

ومما يجب التنبيه إليه؛ أن مشايخ آل الكزَّة كانوا في جهادهم ضد الطليان بمعية السنوسية وتحت عباءتها، ولم ينفضوا في أي من الأحيان من حولها[151]، وخير دليل على ذلك ما جاء في ردهم على رسالة "**أميليو**" قائد القوات الإيطالية ببنغازي عام 1913، التي تنطوي على إرسال مندوبين منهم للدخول معه في المفاوضات، فكان رد الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة والشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة ومن في معيتهم من بقية الأعيان والمشايخ: **«جاءنا رسول من طرف الأستاذ الفاضل سيدنا أحمد الشريف، يخبرنا أنه وصل إلى الجبل الأخضر بموقع سيدي رافع، ويأمرنا بالحضور عنده، بناءً عليه لا يمكن الآن حضور أحد منا... حتَّى نتصل بشيخنا وأستاذنا، إن شيخنا المومأ إليه نزل بساحتنا وطلب منا الحضور فلا يمكن التأخر عنه، وبعد الاجتماع به سيصدر من طرفه العالي كل ما يلزم، وبه يكون العمل، وها نحن أخذنا كتابكم لعرضه عليه»**[152].

وبمجرد أن جاءهم أمر السيد أحمد الشريف قاموا من فورهم وشدوا رحالهم إليه في الجبل الأخضر، وكان يتقدمهم الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، والشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة، وطلبوا منه الذهاب معهم لترتيب وتنظيم أدوار برقة الغربية، لكنه كان منهمكًا في تنظيم أدوار الجبل الأخضر، فأمرهم بالعودة وأوصاهم بما يلزم ووعدهم خيرًا، وحثهم على التمسك بواجباتهم، وحين انتهى من تنظيم وترتيب أدوار الجبل الأخضر، شد رحاله بمعية الشيخ عبدالحميد العبار، والشيخ سليمان رقرق، والشيخ ابريك اللواطي، إلى زاوية مسوس، ومكث في مسوس عند آل الكزَّة حوالي نصف عام، وأخذ يصدر أوامره إلى جميع الأدوار من هنالك، وأسس دور العواقير في ساونو وانطلقت منه عديد الهجمات على النقاط الإيطالية، لعل أبرزها آنذاك معركة **(الوادي الحمر) حامية الوطيس** التي استشهد فيها سعيد العبار، ومن بين الجرحى قائد الدور عبدالله الأشهب، والشيخ عقيلة الكزَّة. ثم انتقل إلى اجدابيا ومكث فيها فترة ليست بقصيرة، وقفل عائدًا إلى زاوية مسوس للمرة الثانية، فاستقبله رئيس الزاوية ومشايخ آل الكزَّة، وخاضوا تحت أمرته **(بوادي المعقور)** و**(وادي قمرا)** معارك طاحنة ضد القوات الإيطالية أسفرت عن استشهاد القومندان نجيب الحوراني، والشيخ بوزيد اللواطي. ونظرًا للتطورات السياسية والعسكرية بالقرب من الأراضي المصرية وقتذاك، انتقل السيد أحمد الشريف إلى الجبل الأخضر ثم إلى البطنان، واستقر رأيه على أن يكون مقر قيادته في منطقة امساعد الواقعة بالقرب من منطقة السلوم[153].

وتجدر الإشارة أن بعض مشايخ آل الكزَّة رافقوا السيد أحمد الشريف إلى تلك المنطقة وتدربوا في المدرسة العسكرية التي أمر بتأطيرها وتخرج فيها الشيخ منصور بن عبدربه الكزَّة ووصل إلى **رتبة يوزباشي**[154]، أيضًا قام السيد أحمد الشريف في 28 (شوال) 1333هـ/الثامن من (سبتمبر) 1915، بتعيين بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة **بأشجاعثي عسكرية بيادة: «...إن حامل أمرنا هذا ولدنا بوشنيف بومحمَّد مصطفى الكزَّة، حسب اجتهاده وإقدامه في أمور العسكرية، قد عيناه بشجاعثي عسكرية بيادة...»**[155]، وفي (ذي الحجة) 1333هـ/1915، قام بترقيته إلى رتبة **ملازم ثاني بيادة** بناءً على الإنهاء الصادر من دوائره العسكرية: «... **صاحب الحمية ابننا بوشنيف [...] بن محمَّد [...] وفقه الله لطاعته ومرضاته، وأسبل عليه ستره [...]، أما بعد: فإننا قد رفعنا رتبتكم بإرادة الله وقدرته إلى رتبة ملازم ثاني بيادة، بناءً على الإنهاء الصادر من**

دوائرنا العسكرية [...]، لخدمتكم المبرورة، ولسيرتكم الحميدة والمشكورة، ولشجاعتكم المشهورة، [...] فعليكم بالمبادرة إلى وظيفتكم المذكورة، والمباشرة فيه بصدق وإخلاص مستعينًا بالله [...] في ما يعود بالنفع التام على البلاد والعباد، واجعل مخافة الله نصب عينك ودستور عملك في كل الأمور [...] لو سمح الله تكاسلت، وفي الأمر تهاونت وتساهلت، فالله رقيب عليك، والمسؤولية الدنيوية والأخروية محققة [...] وأرجو الله تعالى لنا ولكم التوفيق إلى أقوم طريق، والله الهادي إلى سبيل الرشاد»[156].

وينبغي التنويه في هذا السياق؛ أن السيد أحمد الشريف عند وصوله إلى المنطقة الواقعة بالقرب من السلوم، قام بإرسال رسالة إلى الشيخ الحسين بن علي بن مصطفى بوشنيف الكزَّة في 27 (ربيع الأول) 1334هـ/الثاني من (فبراير) 1916م، يبلغه فيها بأن أحواله وأحوال كافة المجاهدين بخير ولله الحمد، ويوصيه فيها بالتقوى، والاعتصام بحبل الله الأقوى، وبأن يبلغ السلام لكافة الإخوان، ثم يطلب منه ضرورة أن يقدم عليه مع درب مسوس عبر درب السلوم على جناح الاستعجال: **«واياكم والتأخير»**[157].

وفي 28 (جمادي الأولى) 1334هـ/الثاني من (أبريل) 1916م، قام بترفيع الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة إلى رتبة **(يوزباشي)** ومنحه النيشان عالي الشأن لشجاعة المشهودة: **«... إلى صاحب الرفعة ابننا بوشنيف بن محمَّد مصطفى، وفقه الله لطاعته ومرضاته، وأسبل عليه ستره في حياته وبعد مماته، أما بعد: فإننا بإرادة الله تعالى وقدرته قد رفعنا إلى رتبة يوزباشي، ووجهنا لكم النيشان عالي الشأن، والهلال...على الشجاعة هذا ونرجو الله لنا ولكم التوفيق والهداية لأقوم طريق»**[158].

وفي الإطار ذاته؛ قام السيد أحمد الشريف بتعيين اليوزباشي الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة **(قائد أعلى كركون): «إلى صاحب الشهامة اليوزباشي بوشنيف أفندي أبي محمَّد الكزَّة المحترم، وبعد: فإننا قد عيناكم قائد أعلى كركون العلوة [...] شؤون العسكرية، فيلزم منك مباشرة هذا الوظيفة بالجد والاجتهاد والمحافظة على النظام والراحة العمومية، وإن حدث عليكم حادث يخل بالأمن العام أو رأيتم حركة توجب [...] راحة عليكم أن تشعرونا بدون تراخ ولا إهمال، والمسؤولية عائدة عليكم أمام الله تعالى والحكومة، والله الموفق والمعين»**[159].

ولم تقتصر علاقات آل الكزَّة بالسيد أحمد الشريف عند هذا الحد، بل تعدتها لتشمل حلحلته بعض المشاكل والخصومات التي تخص بعض أفراد آل الكزَّة، وخير دليل على ذلك مراسلته إلى اليوزباشي قجة عبدالله البدي في 2 (سبتمبر) عام 1915م، التي تنطوي على توصيته له بحل مشكلة الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة المتعلقة بسرقة غنمه: **«إنه من عبد ربه سبحانه أحمد ابن السيد محمَّد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، إلى الأجل الفاضل، العمدة الكامل، غاية الآمال، ونهاية المجد والكمال، جناب اليوزباشي ولدنا قجة [...] حفظه الله ورعاه، وكمله وتولاه، آمين، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ومغفرته ومرضاته. وبعد: القادم لطرفكم حامله ولدنا الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة، وعنده مغنم مأخوذة ظلمًا من عام 1331، [...] وعددها مئتان نعجة (لا عندهم عليه حق، ولا لهم عليه سبيل) [...] وهذا حررنا هذا الأمر الرسمي من دوائرنا لتكون حجة بيد إبراهيم المذكور، الله الله في السلاك هذه المدة عاجلًا عاجلًا بسرعة، وأفيدونا بعد السلاك في هذه المدة»**[160].

وفي الإطار ذاته يُفهم من إحدى الوثائق المرسلة من أبناء السيد أحمد الشريف: السيد إبراهيم، والسيد محيي الدين، أن هنالك تواصلًا بينهما وبين الشيخ الصالحين عبدالعالي مصطفى بوشنيف الكزَّة، يسألون عن أحواله وأحوال أهله، ويدعون لهم بصلاح الحال في الأقوال والأفعال، ويوصونهم بتقوى الله ومراقبته، وأن يأخذوا بالهم من محمَّد الفضيل بوعمر ورفقته: **«... موجب السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم، أوصلكم الله إلى أسنى الأمل، ووفقكم لصالح القول والعمل، وإن سألتم عنا فنحن وكافة الإخوان الذين بهذا الطرف بخير وعافية، ونعمة ضافية، أرجوه ألا لا تزالوا كذلك، سالكين [في] جميع أموركم أقوم المسالك، بجاه من سن المشاعر والمناسك، والأحوال سارة قارة، ولم يحدث إلا الخير والعافية، أدام الله ذلك على الجميع، بجاه النبي الشفيع، صلى الله عليه وسلم، وشرف [وعظم] وربنا سبحانه يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، ويكون لنا ولكم وليًا ونصيرًا، ولا زلنا إن شاء الله داعين لكم بصلاح الحال، في الأقوال والأفعال، وعلى الله القبول، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول، وبلغوا منا السلام لكافة من بالطرف وجميع الإخوان، ومن عندنا مسلم [يسلم] عليكم كافة الإخوان، ودمتم بدوام العز المؤبد على الدوام، والسلام يعمكم في البدء**

والختام. والوصية لكم: تقوى الله العظيم، ومراقبته في الصغير والجسيم، وبذلك إن شاء الله تنالون الربح العظيم.

هذا، ولا تحتاجون التوصية على إخواننا الذين بطرفكم، فقد أثنوا عليكم بما لا مزيد عليه، والله تعالى يحفظكم ويرعاكم، ويجمعنا به بساعة سعيدة [...] وردوا بالكم من ولدنا محمَّد الفضيل ورفقته كما هو دأبكم، بارك الله فيكم ودمتم سالمين»[161].

أيضًا ينبغي التنبيه على أن العلاقة بين آل الكزَّة والسيد أحمد الشريف ظلت متواصلة ومستمرة بعد مغادرة السيد أحمد الشريف أرض الوطن إلى تركيا في (سبتمبر) عام 1918، عبر مرسى العقيلة على متن غواصة ألمانية بناءً على دعوة من الباب العالي لحضور حفلة تتويج السلطان محمَّد وحيد السادس وتقليده السيف، وكان بمعيته محمَّد صالح حرب، وبعض رفاقه وتلاميذه؛ محمَّد عبدالله الزوي، والدكتور عبدالسلام ازقيره المسلاتي، وصالح محمَّد بوعرقوب، وعبدالسلام بوقشاطة العريبي، والسنوسي الجريدي، وعبدالسلام السوداني، وعثمان الشايقي[162]، وبعد وصوله بحوالي ثلاثة أعوام 1340هـ/1921م، بعث برسالة إلى الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة يطمئنه فيها عن أحواله والظروف التي صاحبت رحلته بمعية رفاقه وتلاميذه عبر المدن والقرى التركية، ولاية بروسه، واسكي شهر، وولاية قونية، وأنقرة، وديار بكر، وماردين، واحتفاء الأهالي بهم ومراسم الاستقبال من الهيأة الاستقبالية الوالي أو المتصرف ومن في معيتهم من أرباب الحكومة المتقدمين ومن أشراف البلاد والعلماء الأجلاء ومن الأجانب علمائهم ورهبانهم، كما يشير فيها إلى أن من بطرفه يهدون الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة جزيل السلام ويبلغ تحياته إلى عموم آل الكزَّة، مشيرًا إلى أنه لا يزال يدعو لهم بالخير والسلام.

والناظر في الحاشية المحبرة في نهاية هذه الرسالة في (غرة محرم) عام 1340هـ/1921م، يستنتج بجلاء عمق علاقة السيد أحمد الشريف بالشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة وثقته به، فقد جاء فيها: **«نعم والنيشان مع اليد الوثيقة إن شاء الله تعالى، هذا وقد قدر الله وخرجنا من الوطن لحكمة أرداها الله، وستظهر حكمتها، ولا تظنوني أني نسيتكم، لا والله ما نسيتكم ونسيت خدماتكم التي قمتم بها معي ومع أولادي، والله إن شاء ما أنسى لا أنا حيًّا ولا أنا ميتًا، ونرجو الله أن يباركم في الأولاد والمال، وحاجتكم قضيناها بحول**

الله وقوته، وسترى ما يسركم بحول الله وقوته. نعم، ومن جهة خلخال الذهب الذي رهناه عندكم، لا تفرطوا فيه حتَّى تستلمون ما أخذناه منكم، نعم، وعند ذلك نستلم الخلخال منكم، نعم، ومن جهة الغنم والإبل اللي تحت أيديكم لا تعطوا منه لأحد شيئًا، لا للعيال ولا لغيرهم، كذلك محصول الصوف والسمن والحوالة، الكل يكون تحت أيديكم حتَّى نرسل لكم عليه. وسلموا منا على صنوكم عبدالجليل كثيرًا كثيرًا، وعلى أنجالكم، ونجل صنوكم ولدنا بوسيف، ربنا يحفظهم ويفتح عليهم ويجعلهم خلفًا صالحًا...»[163].

ولم يلبث السيد أحمد الشريف أن ألحق رسالته هذه بكتاب آخر إلى أبناء الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة؛ محمَّد مقيص وحمد جربوع، مؤرخ بتاريخ 1341هـ/1922، ومذيل بحاشية تثير البث والحزن، تنطوي على تعزيتهما في وفاة والدهما: **«وقد بلغنا خبر انتقال ذي الأفضل [الأفضال]، والدكم المرحوم الشيخ إبراهيم، غفر الله له وأسكنه فراديس جنته... وإنه والله قد آلمني فقده، وتكدرت من هذا المصاب، وأني معزيكم على ذلك»**، داعيًا لهما بخير الدارين سائلًا عن أحوالهما: **«نرجوه تعالى أن لا تزالوا كذلك، سالكين في جميع الأمور أقوم المسالك، محفوظين بحوله وقوته من المساوئ والمهالك»**، ويستطرد في الدعاء لهما قائلًا: **«والله أسال، ورسوله [وبرسوله] وحبيبه أتوسل، أن يؤتيكما من لدنه أجرًا عظيمًا، ويلهمكما صبرًا جميلًا، ويطرح البركة فيكما وفي بيتكما ومن لكما وأهلكما ومالكما...»**، ولم يكتف بذلك، بل استطرد في حاشية الرسالة قائلًا: **«نعم أولادي، والله إن وفاة المرحوم كدرتني كثيرًا، وهو من أعز أولادي الصادقين، ولكن هذا أمر لا بد لكل واحد منه، لا مفر منه، ولا نقول إلا ما قاله الصابرون: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وفي المثل: الذي خلف ما مات، وهو الحمد لله خلفكم، وأنتم رجال، نريدكم يا أولادي تقومون مقامه وزيادة، وها هو يأتيكم الجواب الذي كنا كتبناه له، رحمه الله، وتعملون بمقتضاه، وكنا كتبنا لكم مع ولدنا صالح المهماز، والحاج أحمد، وخافوا ورموا الأجوبة في البحر»**، ثم يؤكد في أثناء الرسالة: **"ونؤكد عليكم يا أولادي من الاهتمام في أمر الحراثة لأولادنا، الله يجعل فيكم البركة، ومن جهة الغنم عندكم كذلك كما ذكرنا في جواب والدكم رحمه الله تكون لخاصة نفسي في المأكل والملبس مالًا حلالًا خالصًا، وأمانة والدكم ستأتيكم في وقت هناء وأنتم في غاية العز، بحول الله وقوته، وأبشروا إن شاء الله بالخير العظيم، ومنا أتم السلام على كل من هو منكم وإليكم وعلى[...] تحية**

من عند الله مباركة طيبة»، ولم يقف عند ذلك، وإنما حرص على توصيتهما بتحريض الناس ونصحهم بالدفاع عن الدين كما هي عادة والدهما الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة: «**نحن نوصيكم يا أولادي بالاهتمام في تحريض الناس ونصحهم في الدفاع عن الدين، كما هي عادة والدكم ونريدكم أن تكونوا أكثر منه والله المعين، نعم أولادي**»، مشيرًا بأنه بحول الله وقوته سيقدم عن قريب إلى مصر، ومنها إلى الجغبوب، ومنها إلى طرفهم: «**وإذا سمعتم بنا قدمنا إلى مصر، لا بد أن يقدم أحدكم علينا بحول الله وقوته، نعم، الله الله أولادي...والله سبحانه يسعدكم ويوفقكم، ويطرح فيكم البركة، والسلام عليكم وعلى أعمامكم وأبناء عمكم ورحمة الله وبركاته**»[164].

يُفهم من طيات هذه الإطار الوثائقية أن علاقة آل الكزَّة بالسيد أحمد الشريف كانت قوية ومتينة ومتواصلة في الوطن وفي المهجر، يثق بهم، ويوكلهم على أرزاقه، ويسأل عن أحوالهم وذويهم، ويحنو عليهم، ويحدب على رعايتهم، ويتمنى لهم الخير والهناء، وأن يطرح الله البركة فيهم وفي بيتوهم وأولادهم وأرزاقهم، ويأسى لفقده مؤازرتهم ونصرتهم، ويحزن لفقدهم وهو على ثقة أنه راحل على الأثر، وخير دليل على ذلك تكدره وحزنه الشديد لفقده الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة الذي يعده من أعز أولاده الصادقين، ويبدو أن هذا الفقد قد ترك جراحًا عميقة في نفسه لم تندمل رغم توالي الأيام والسنين.

علاقتهم بالسيد إدريس السنوسي وردود فعل الحكومة الإيطالية حيالها:

تشير الكثير من الأطر الوثائقية والمرجعية ذات العلاقة بتاريخ ليبيا الحديث والمعاصر إلى أن علاقة السيد إدريس السنوسي بالشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، والشيخ عقيلة الكزَّة، كان يغلب عليها الاحترام المتبادل، ويسودها التعاون والتعاضد والتآزر، ففي كثير من الأحيان كان الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة يبذل مساعيه وقصارى جهده لتوفير المتطلبات والاحتياجات اللازمة للسيد إدريس السنوسي ولحركة المقاومة الوطنية[165]، وخير دليل على ذلك رسالة عثمان سليمان العنيزي إلى الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة التي توضح جانبًا من هذه الجهود والمساعي: «**قد ألححتم كي نقدم ما كلفنا به سيدي إدريس، ونحن ليس لنا أفضل من خدمة أسيادنا، ولكن يا أخي [الشيخ عبدالسلام الكزَّة] إن الأشياء التي طلبها السيد، هي أشياء تخص العسكر، وأنا ليس عندي أمر كي أخاطب بشأنها الحكومة**»، كما أكد بأن كل هذه الأشياء غير

موجودة في سوق بنغازي، وأن وجدت لا يمكن إرسالها سرًا، خصوصًا وأنه لا تخرج كبيرة ولا صغيرة من بنغازي بدون تفتيش من قبل السلطات الإيطالية[166].

وتنبغي الإشارة أن الإخفاقات التي حاقت بالمجاهدين تحت زعامة السيد أحمد الشريف في حربه ضد الإنجليز على الحدود الشرقية مع مصر، كانت لها تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية المأساوية المفجعة في برقة، وأسهمت بفاعلية كبيرة في بلورة مواقف وسياسات للمهادنة والتقارب والتفاهم مع الحكومة الإيطالية من قبل الكثيرين من مشايخ البنى الاجتماعية البرقاوية، الذين خارت قواهم وأعيتهم المعاناة وفقدوا كل أمل في النجاة؛ مجاعات، تفشي أمراض فتاكة، معاناة تعب وإرهاق، وتهديد بفقدان الأرض والعرض، وجفاف واحتباس الأمطار، وقفل الحدود مع مصر من قبل الإنجليز[167]، ومنع زعيم مصراتة رمضان السويحلي مرور التجارة منها وإليها، نتيجة لخلافاته مع السيد صفي الدين السنوسي[168]، الأمر الذي جعل معظم مشايخ وأعيان وعُمد البنى الاجتماعية في برقة يسعون لإيجاد متنفس لها من ورطتها التي وقعت فيها، لاسيما بعد أن أصبحت أمام أمرين لا ثالث لهما: إما الجدب والقحط وإحاطة العدو شرقًا **(الإنجليز)** وغربًا **(الطليان)**. وإما عقد السلام –ولو بصفة مؤقتة– بينها وبين أعدائها الإنجليز والطليان **«لفتح السكة»** الحدود مع مصر[169]. وكان لا مفر من هذا الأمر الأخير كعلاج سريع حاسم، فضلًا عن أن رغبات أغلب المشايخ والعُمد والأعيان كانت تتمحور على الأقل حول سياسة التفاهم مع الحكومة والوصول إلى اتفاق مؤقت، كحل وسط يقرب بين وجهات النظر في هذه الظروف القاسية والموجعة لفتح الطرق والأسواق المصرية، وعقدوا في سبيل ذلك اجتماعات عدة، وأعدوا مضابط كثيرة يوضحون فيها شكواهم من الحالة البئيسة والمأساوية التي وصلوا إليها، كما طلبوا من السيد إدريس السنوسي أن يتدبر الأمر بحكمته ويجد لهم مخرجًا من هذه الأزمة السياسية والاقتصادية التي استحكمت حلقاتها وهددتهم بالفناء العاجل[170].

تلقفت الحكومة الإيطالية هذه الظروف القاسية التي شهدتها برقة المنكوبة آنذاك، وشرعت في محاولات جادة وبإصرار، لاستمالة بعض مشايخ آل الكزَّة المغلوب على أمرهم وقتذاك لفرض عقد أواصر العلاقات الودية معهم بشتى الوسائل، وقامت بالتعاون مع بعض أعيان ونُخب بنغازي بالاعتماد على أساليب الدس والإيقاع وإثارة الفتنة والشقاق بين قيادات الحركة السنوسية، وبين مشايخ آل الكزَّة وبعض مشايخ البنى الاجتماعية في

برقة لينفضوا من حولها[171]، ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء مبثوثًا بين تضاعيف إحدى الوثائق الإيطالية المثيرة للانتباه، التي تشير إلى تكليف الحكومة لمجموعة من أعيان بنغازي بلقاء الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، وبالفعل تم اللقاء في بنينا، حيث جاء الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة برفقة حوالي 122 رجل من رجاله، في حين جاء الأعيان ومعهم حوالي 115 نفرًا من الليبيين المتعاونين مع السلطات الإيطالية، وبعد تبادل الترحيب، تكلم أحد الأعيان وقال للشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«أنت من الزعماء الذين لهم أكبر النفوذ في العواقير، وصديقي، وعلي أن أنبهكم كيف أنكم جميعًا، قد وضعتم أنفسكم في موقف مُتعب، كما أنكم قد ألحقتم الضرر بالبلاد، ولم تكن لكم أبدًا القوة لتحاربوا قوات الحكومة الإيطالية»**. ثم طلب الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة أن يتحدث مع ذاك الرجل على انفراد، فوافق على ذلك؛ وقال ذاك الرجل: **«عندك عقلك لتستعمله فهل عجزت عن ذلك»**، فرد الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة قائلًا: **«ماذا تعني بهذا؟»**، فرد عليه ذاك الرجل قائلًا: **«هل أنت متأكد أن أحمد الشريف يستطيع محاربة الحكومة [الإيطالية] للنهاية واستعادة البلاد»**، فقال الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«ولكن أنا ماذا أستطيع أن أفعل»**، فقال ذاك الرجل: **«هل لا ترى إمكانية الاتفاق بين الحكومة والسيد أحمد، فأنت لم تفعل شيئًا لتحقيق ذلك»**، فقال الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«ماذا علي أن أفعل حسب نصيحتك»**، فقال ذاك الرجل: **«أنا لا أطلب منك أن تأتي جهارًا للحكومة للخضوع، فهذا لا فائدة فيه لك وللحكومة، لكن ابق بعيدًا هادئًا أنت ورجالك في أراضيكم»**، فرد عليه الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«اسمع يا [...] أنا لا أستطيع أن آخذ من الحكومة معاشًا لأكون من ذوي الوصيين [...] وأنا أريد أن أعرف، هل أنت مستعد دائمًا لتكون وسيطًا بنينا وبين الحكومة»**، فقال ذاك الرجل: **«أنا قدمت بإذن من الحكومة، وإذا أراد إدريس [السنوسي] أن يمنحني ثقته، ويدعوني فأنا، وبإذن الحكومة على استعداد لذلك»**، فقال الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«لما يحضر إدريس، سوف أتحدث معه»**، فقال ذاك الرجل: **«مراعاة لما بيننا من صداقة، عليك الأخذ بالنصيحة التي قلتها لك، حيث سيؤسفني أن ينتهي الأمر بالاتفاق بين الحكومة وأحمد الشريف، وتبقى أنت على حدة»**، فقال الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة: **«سأحاول لأعرف نوايا سيدي أحمد وسيدي إدريس نحو الحكومة وسأبلغك بها في لقاء آخر»**[172].

ويفيد تقرير المجلس السياسي لحكومة برقة رقم (37) خصوصي جدًا مؤرخ بتاريخ 5 (مارس) عام 1916، بأن المحادثات التي جرت بين بعض الأعيان والشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة قرب بنينا، انتهت بوعد من الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة بأنه سيخبر السيد إدريس السنوسي بالمواضيع التي بُحثت، وأنه فيما بعد سوف يخبر الحكومة بموقف السيد إدريس السنوسي ونواياه حيالها. وفي نهاية شهر (نوفمبر) من نفس العام وبموجب رسالة شفوية أبلغ الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة هؤلاء الأعيان بأنه قد أرسل للسيد إدريس السنوسي كتابًا حول المحادثة التي تمت[173].

وفي الإطار ذاته؛ ألمح تقرير المكتب السياسي لحكومة برقة بتاريخ 7 (أبريل) عام 1916، بشأن المحاولات التي تمت عن طريق المراسلة بين أحد أعيان بنغازي المتعاونين مع الحكومة، والشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، بأن الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة خاطب السيد إدريس السنوسي قائلًا: **«نحن كنا، ولا نزال للآن، خاضعين لإرادة السنوسية، إلا أننا الذي نراه، والذي لا نخفيه عن أنفسنا، هو أنها لا تستطيع وحدها، أن تحارب الإيطاليين،[...] وأن الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تساعدنا هي تركيا، إلا أنها لا تستطيع فعل ذلك»**. وكان السيد إدريس السنوسي قد أبدى تفهما كاملًا لأقوال الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، ولكنه لم يبد رأيًا حول أقواله واستنتاجاته وقناعاته في أول الأمر[174].

وما نود التنويه إليه في هذا السياق؛ هو أن أساليب الدس والإيقاع وإثارة الفتنة والشقاق التي دأبت الحكومة الإيطالية على ممارستها على المشايخ لم تعرف التوقف، ولم تقتصر على الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة فحسب، بل تعدته لتشمل أرسال رسائل للكثيرين من مشايخ العواقير، لاسيما بيت سليمان الذي يعترف أوغسطيني بمعاداته الدائمة للحكومة الإيطالية[175]: الشيخ عبدالسلام إبراهيم، والشيخ التواتي بوسيف، والشيخ خليل بومصطفى، والشيخ محمَّد بوخريف، والشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة، والشيخ عقيلة الكزَّة، وهؤلاء جميعهم هم نواة المقاومة الباسلة بقيادة السيد أحمد الشريف، يحثونهم فيها على ضرورة انضمامهم للحكومة من أجل هناء البلاد والعباد، وعدم التحريض على معاداتها ومواصلة مقاومتها، كما أشاروا أيضًا إلى ضرورة إخطارهم للسيد إدريس السنوسي بذلك، حتَّى يتمكن بمساعدة هؤلاء المشايخ من الاتصال بالحكومة لربط

العلاقات التي ستتحقق على يديه الهناء والخير في برقة، لاسيما وأن السيد إدريس السنوسي مدرك لحالة البلاد والعباد[176].

ويُفهم من عديد الأطر الوثائقية أن السلطات الإيطالية تلقفت كل الفرص المتاحة أمامها، وما طفقت تبث سمومها، وتبذر بذور الفتنة والشقاق بين الكثيرين من مشايخ العواقير نواة المقاومة الباسلة، وبين قيادات الحركة السنوسية، من أجل فرض سياسات التفاهم والتقارب والتعايش السلمي بين الطرفين، لتحقيق الهناء والرخاء للعباد والبلاد، على حد وصفها.

وما يجب لفت النظر إليه في هذا السياق أن قناعات وآراء الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة الذي رفض بعناد كل الإغراءات المالية والإدارية من قبل الحكومة الإيطالية[177]، كانت تنطلق –فيما يبدو– من خطورة الوضع والحالة المأساوية الحرجة والموجعة التي شهدتها برقة عقب إخفاق السيد أحمد الشريف في حربه ضد الإنجليز، كما أنها تأتي في إطار المطالب التي أجمع عليها أغلب أعيان ومشايخ وعُمد برقة التي قدموها للسيد إدريس السنوسي كما أسلفنا، ولا شك أن السيد إدريس السنوسي كان مدركًا لخطورة الوضع المفجع الذي تشهده برقة وأهلها المغلوب على أمرهم آنذاك[178]، لكنه لم يشأ الدخول في المفاوضة مع الإنجليز قبل أن يوضح الحالة على حقيقتها للسيد أحمد الشريف، الذي بعث بدوره وكان وقتئذ في الواحات الداخلة يقول: **«أنقذ البلاد مما وقعت فيه، ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن، حيث إن لهم حقًا في ذلك»**[179]. ويبدو من خلال هذا الرد أن السيد أحمد الشريف كان هو أيضًا مدركًا للأوضاع الموجعة والمستعصية التي تعيشها برقة المنكوبة وأهلها، لاسيما وأن جيشه كان يتضور جوعًا، وفي احتياج لا مثيل له، فكان يسقط الرجل مغشيًا عليه من الجوع، **«إنه البلاء الذي كاد أن يفتك بهم ويمحو أثرهم»** على حد وصف عبدالملك عبدالقادر بن علي الدرسي[180]، لذلك قرر السيد إدريس السنوسي الدخول في المفاوضات مع الإنجليز والحكومة الإيطالية، فيما كان يسمى **(الدبلوماسية السلمية)** أو **(السياسية الإدريسية الحكيمة)** التي بدأت باتفاقية الزويتينة عام 1916، ثم اتفاقية عكرمة عام 1917، وجاءت تحت عنوان **(شروط تمهيدية لتهدئة خواطر أهل البلاد)**[181].

وبكل اطمئنان يمكننا القول؛ أن آراء وقناعات الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة وسواه من مشايخ برقة كانت تتفق مع آراء وقناعات قيادات الحركة السنوسية آنذاك من أجل البقاء لا غير.

وعلى كل؛ فأن المتمعن في بعض الأطر الوثائقية ذات العلاقة بهذه المرحلة يلاحظ أن الأمير إدريس السنوسي كان يعتمد على الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة في حلحلت الكثير من المشاكل والخصومات بين البنى الاجتماعية البرقاوية، ففي هذا الإطار تنطوي المذكرة الخطية التي أرسلها الأمير إدريس السنوسي عام 1917، إلى الشارف الغرياني على تكليف الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة بمتابعة وحلحلت الخلاف القائم على مياه الآبار بين أفراد قبيلة العمارنة ومراعاة نصيب كل فرد منهم من المياه[182].

ومن جانب آخر كان الأمير إدريس السنوسي يحنو على رجالات آل الكزَّة، ويشعر بآلامهم ويستوصي بهم خيرًا، وخير دليل على ذلك إصداره أمرًا ينطوي على إعفاء الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة من التوجه للقتال في جهة الغرب، بسبب أصابته في رجله بإحدى المعارك مع العدو: «**فليعلم الواقف على أمرنا هذا أن ولدنا بوشنيف محمَّد بومصطفى عفينا عليه من التوجه للغرب وغيره؛ لأجل الألم الذي برجله من سبب العدو، فلهذا حررنا له هذا، فلا يعترضه أحد، ومن يعترضه فلا يلومن إلا نفسه، والله ولي التوفيق، والهادي لأقوم طريق**»[183].

أيضًا تفيد بعض الأطر الوثائقية بأن الأمير إدريس السنوسي قام في 28 (شعبان) 29 (مايو) عام 1919، بتعيين الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة في مجلس الأعيان: «**وبعد: فإن السيد عينكم في مجلس الأعيان، والأمر يصلكم صحبة الحاج عبدالجليل، وحسب أمر السيد إذا لم تقدر على القدوم، وكِّل أحد أخوتك يكون بالمجلس حتَّى يشافيك الله**»[184].

وفي 13 (أغسطس) عام 1919، قام بمنحه (**رتبة متمايز مليكة**): «**إلى ذي الرفعة والحمية، ولدنا محمَّد بك بن الشيخ إبراهيم المصراتي، وفقه الله لطاعته ومرضاته، آمين، وبعد: فإننا قد وجهنا لكم بإرادة الله وقدرته (رتبة متمايز ملكية)**[185] **بناءً على ما وجدناه منكم وتحققناه فيكم من أصالة الرأي وما اتصفتم به من الغيرة والحمية، [والله] الموفق والهادي إلى طريق الصواب**»[186].

ثم قام بإصدار أمر آخر في 16 (ديسمبر) عام 1919، يقضي بترفيع الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة إلى رتبة **(ميرميران باشا)** لخدماته المشكورة وسيرته الحميدة وصدقه وإخلاصه: «**فأننا بمشيئته تعالى قد أعطيناكم رتبة ميرميران (باشا) بناءً على ما عهدناه فيكم من الصدق والإخلاص**»[187].

وفي عام 1922، عينه عضوًا بالمجلس العمومي بلواء أجدابيا: «... **فمشيئة الله تعالى قد عيناكم عضوًا بالمجلس العمومي بلواء أجدابية، لما نعهده فيكم من الأهلية لذلك، المطلوب منكم الجد والاجتهاد فيما يعود نفعه على الدين والوطن...**»[188].

وتجدر الإشارة إلى أنه لما وقع الانقلاب الفاشي في روما، ألغت الحكومة الإيطالية على جناح الاستعجال تعهداتها مع الأمير إدريس وأمارته، وأعادت احتلال أجدابيا[189]، وعلى الرغم من تلك التطورات الخطيرة والعصيبة، فإن علاقة آل الكزَّة مع الأمير إدريس السنوسي ظلت متواصلة دون انقطاع، ولم ينفضوا من حوله بل انخرطوا في صفوف الأدوار التي أطرها قبل اضطراره للسفر إلى مصر لغرض العلاج من الأسقام التي ألمت به وأنهكت بدنه وقواه[190]، وانضم الكثير من مشايخهم ورجالاتهم: الشيخ منصور عبدربه الكزَّة، الشيخ بورقعة بوشنيف الكزَّة، والشيخ بوشنيف محمَّد الكزَّة، وسواهم، إلى دور برقة الوسطى برئاسة قجة عبدالله، ومقره موقع البدين، وفي ذات الوقت أطر الأمير إدريس السنوسي مجلس شورى لمساعدة قيادة الدور يتألف من: الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة، والشيخ عبدالجليل المصراتي الكزَّة، والشيخ ميلاد بوشنيف، والشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة، والشيخ عبدالحميد العبار، والشيخ سليمان رقرق، والشيخ ابريك اللواطي، والشيخ محمَّد الحمر الفاخري، وعوض العبار، والشيخ عبدالله حويل، والشيخ التواتي بوسيف، والشيخ خليل بومصطفى، والشيخ عمر لصفر، وسواهم[191] وخاضوا عديد المعارك الدامية ضد الطليان؛ معركة **الرحلان (الحقيفات)** جنوب سلوق في 24 (يوليو) عام 1924، التي استشهد فيها دفاعاً عن الدين والوطن والعرض والشرف الشيخ عقيلة عبدالقادر الكزَّة، واصميدة بوشنيف المصراتي الكزَّة، والشيخ إبراهيم عبدربه بوخريص الكزَّة، وعلي مصطفى بوشنيف الكزَّة (بومريم)، وعلي السنوسي التواتي الكزة، والغماري الصغير العبدي، ومنصور عبدربه الكزَّة الذي قام بتصيد الرصاص الذي كان يتطاير من حول الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة حتَّى نهره الشيخ قائلًا: «**شورك اتريد تحرمني من الجنة يا ولد، فرد عليه:**

ما نريدش نحرمك من الجنة، لكن طيحتي أنا يا سيدي هي نفيت طيحت بيت، أما طيحتك أنت هي طيحت نجع بحاله»[192]، وقد جرح الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة وكسرت رجله ويده وقتل فرسه، واستولى الطليان بسياراتهم المدرعة بقيادة رونكيتي على رحلان الشيخ المصراتي الكزَّة وما تحمله من المتاع والنقود والذهب، فضلًا عن معركة **(زملة عبدالحفيظ– قبر الحزر)** عام 1925، غربي مسوس التي استولى فيها الطليان بقيادة مالتيزي على ما تبقى من أموال ودواب ومتاع الشيخ المصراتي الكزَّة وأبنائه[193].

وباختصار يمكننا القول: إن آل الكزَّة –رغم كل الأحداث الجسام طول أمد الحرب ومرارتها، والمعاناة والتعب والإرهاق، والمجاعات، وتفشي الأمراض الفتاكة، والجفاف واحتباس الأمطار، والتهديد بفقدان الأرض والعرض، وقفل السكة مع مصر، ودخول آلة الشر العسكرية الإيطالية الحديثة التي أفسدت الكثير من الأعراف البرقاوية، وأدت إلى إبادة عمياء وحشية لا يمكن مقارنتها بأي عمل قمع معاصر، على حد قول كل من جورجو روشا وانزو سانتريللي[194] – ظلوا في رباط ودفاع عن الوطن مهيض الجناح مع قيادات الحركة السنوسية إلى أن تقطعت بهم السبل.

تواصل آل الكزَّة مع السيد إدريس السنوسي في ديار الهجرة بمصر 1939–1944:

كان المهاجرين من آل الكزَّة بمصر على تواصل وتنسيق مع الأمير إدريس السنوسي في إطار تنسيق العمل الوطني لتحرير البلاد من براثن الطليان، وفي هذا السياق تنطوي مراسلة موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ عبدالحميد العبار عام 1939، على استفساره عن شفاء الشيخ صالح الاطيوش من مرضه الذي يشكو منه، وهل توجه بالدفتر الذي وقع عليه الإخوان المهاجرون بخصوص التنسيق للعمل الوطني، إلى الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة؟[195].

وعندما دعا الأمير إدريس السنوسي المهاجرين الليبيين في مصر لحضور اجتماع فيكتوريا برومل بالإسكندرية في 6 (رمضان) 1358هـ/22 (أكتوبر) عام 1939م، حضر الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة مع الشيخ عبدالحميد العبار وسعدالله النمر وسواهم من مشايخ المهاجرين الطرابلسيين والبرقاويين الاجتماع، وتشاوروا في حالتهم الاستقبالية، وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم في كل الأمور ويعرب عن آرائهم، وقد وضعوا ثقتهم في الأمير إدريس السنوسي ليمثلهم تمثيلًا صحيحًا وحقيقيًا لما له من المكانة الرفيعة في

نفوسهم، حيث يرونه أحسن قدوة يقتدى بها، وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيأة منتخبة منهم شورية مرتبطة به ومربوط بها لتكون الإدارة المعربة عن منتخبيها، وهي تمثلهم جمعيهم تمثيلًا صحيحًا، وأن يعين وكيلًا له يقوم مقامه في حالة الغياب والمرض، ويكون الوكيل من أفراد الهيأة في حالة حضوره، وللهيأة الحق في تثيبت هذا الوكيل أو رفضه بأغلبية الأصوات[196].

وفي الثالث من (أغسطس) عام 1940، أحاط الأمير إدريس السنوسي الشيخ ناصر عبدالسلام الكزَّة المقيم بمغاغة بصعيد مصر، علمًا بأن الحكومة البريطانية: «**قد صممت على أن تبتدئي فورًا في تكوين فصائل من القبائل العربية السنوسية لاسترداد حريتهم واستخلاص بلادهم من أيدي الإيطاليين الظلمة، وإعادة الاستقلال إليهم مرة أخرى**»، راجيًا منه الحضور إلى جاردن سيتي بالقاهرة يوم الخميس الثامن من (أغسطس) عام 1940، لأجل المباحثة في شروط الخدمة المقترحة من الحكومة البريطانية، فضلًا عن توضيح عدد الرجال من المهاجرين الليبيين الذين يمكن أن يركن إليهم ويعتمد عليهم الشيخ ناصر عبدالسلام الكزَّة في تنفيذ هذه المهمة الوطنية التي تسعى لإنقاذ الوطن مهيض الجناح من ضيم وعسف الطليان، مبينًا له في ذات الوقت أن مصاريفكم ستكون على حساب الحكومة البريطانية[197].

وما يجب التنبيه إليه في هذا السياق أن الأمير إدريس السنوسي زمن إقامته في ديار الهجرة بمصر لم تنقطع علاقته بمشايخ آل الكزَّة المقيمين بالوطن، بل كان على اتصال وتواصل معهم يحنو عليهم، ويسأل عن أحوالهم، ويتمنى لهم الخير والصلاح وداوم العافية، وأن يكون التوفيق حليفهم، ويشكرهم على إخلاصهم ومؤازرتهم وعواطفهم الوطنية وتمسكهم بالطريق القويم الذي كان عليه سلفهم الصالح، ففي هذا السياق تشير إحدى رسائله الموجهة إلى الشيخ محمَّد مقيص إبراهيم المصراتي الكزَّة بتاريخ 10 (فبراير) عام 1943، إلى تهنئته له بفتح الوطن وطرد العدو منه، راجيًا من الله أن يعيش الشيخ محمَّد مقيص إبراهيم المصراتي الكزَّة وأهله في هناء وراحة، موصيًا إياه بتقوى الله في السر والعلن[198]، أيضًا تنطوي رسالته المرسلة بتاريخ 8 (سبتمبر) عام 1943، من مقر إقامته بحي الزمالك إلى أنجال الشيخ التواتي بوسيف الكزَّة؛ مصباح وخليفة، على علمه بوصول جوابهما المرسل إليه من لدنهما، داعيًا لهما بدوام الصحة، حامدًا الله العلي القدير على خلاص الوطن من براثن الطليان، وشاكرًا لهما إخلاصهما وصبرهما وحسن أمانيهما، مباركًا لهم ومسلمًا على

أهلهما، وراجيًا من الله أن يكلل مساعي وجهود الجميع لصالح الوطن بالنجاح والسداد[199].

كما قام في 8 (سبتمبر) عام 1943، بالرد على جواب الشيخ أحمد إبراهيم المصراتي الكزَّة، والشيخ إبراهيم عقيلة الكزَّة، والشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة، والشيخ عبدالجليل المصراتي الكزَّة[200]، برسالة تنطوي على حمده وشكره لله على خلاصهم وخلاص الوطن العزيز من نير وصلف وظلم الطليان، شاكرًا لهم إخلاصهم وأمانيهم وحسن عواطفهم الوطنية وتمسكهم بالطريق السوي والقويم الذي كان عليه سلفهم الصالح، مقدرًا عواطفهم حق قدرها، طالبًا من الله التوفيق لما فيه صلاح الوطن وأهله[201].

ومن جهة أخرى تنطوي بعض المراسلات المرسلة من ناصر عبدالسلام الكزَّة، وأحمد عقيلة الكزَّة، وبعض المهاجرين الليبيين بمصر، على طلبات تتعلق برغبتهم في العودة إلى الوطن والنظر في أحوالهم البائسة، لاسيما المهاجرين الموجودين بمغاغة في صعيد مصر، الذين وصفهم ناصر عبدالسلام الكزَّة للأمير إدريس السنوسي في أحد طلباته الذي حبره في الثاني من (مارس) عام 1944، بقوله: «**إنهم في حال شديد من المعاش**»، فقام الأمير إدريس السنوسي بتحويل طلبه إلى السيد إبراهيم بلقاسم السنوسي للنظر فيه[202].

مشاركة آل الكزَّة في ضيافة الأمير إدريس السنوسي بمركز قضاء سلوق عام 1944:

كانت زيارة الأمير إدريس السنوسي لبرقة في شهر (يوليو) عام 1944، حدثًا عظيمًا بعد غياب دام حوالي اثنين وعشرين عامًا عاشها مع الشتات الليبي في ديار الهجرة بمصر، وقد استقبله الأهالي ومن بمعيته من المهاجرين: الشيخ صالح الاطيوش، والشيخ عبدالحميد العبار، والشيخ حسين عبدالملك، استقبالًا صاخبًا آنذاك[203]، وكان في مقدمة مستقبليه في مركز قضاء سلوق[204] آل الكزَّة: الشيخ عبدالجليل المصراتي الكزَّة، والشيخ عبدالهادي محمَّد بوخريص الكزَّة، فضلًا عن الشيخ عبدالله بولغيب العقوري، والشيخ صالح عبدالله النمر، والشيخ محمود بوعلي اللواطي، والشيخ مطرود اللواطي، والشيخ بالحسن أحمد، والشيخ الشريف بن صالح الحرش، وقد قام آل الكزَّة ببذل قصارى جهدهم وتقديم ما في المستطاع لحفل ضيافة الأمير إدريس السنوسي، ولكن قلة ذات اليد وضيق العيش آنذاك لم تسعفهم لتحمل مصاريف الضيافة، فتم عقد اجتماع مع أبناء عمومتهم من العواقير وإخوانهم الفواخر وبقية سكان مركز قضاء سلوق، تشاوروا خلاله بخصوص المصاريف المستحقة لضيافة الأمير إدريس السنوسي، واستقر الرأي على تشكيل لجنة منتخبة

لجمع التبرعات من عموم البنى الاجتماعية بمركز قضاء سلوق في الثاني من شهر (أغسطس) عام 1944، تكون تحت إشراف المشايخ المذكورين آنفًا، وتختص بمصاريف ضيافة الأمير إدريس السنوسي، وضمت اللجنة المنتخبة لجمع التبرعات: الشيخ محمَّد بومقيص إبراهيم المصراتي الكزَّة، وعبدالحفيظ بوهديمة، وجادالله بوزيد العشيبي، وفرج بوجواري السعيطي، وعلي عباس بوعين الفاخري، والطالب سعيد العريبي: **«الواضعون أسماءنا أدناه: أفراد اللجنة المنتخبة من عموم القبائل بقضاء سلوق، نقر ونعترف أن جميع ما قبض وما صرف من مصارف ضيافة الأمير لمركز سلوق هو كالآتي: جملة المحصول حسبما هو مبين بقوائم المديرين سلوق 59 قمينس – المقرون – جردينة، مبيع الدبش الباقي من الضيافة بالمبيع العلني أمام العموم، مبيع العدة بالمزيد [بالمزاد] العلني أمام العموم:**

64 جملة المحصول، 48 ما صرف من طرف اللجنة حسبما هو مبين لجميع المشايخ في وقت المحاسبة، ما صرف من نائب مدير سلوق في مشترى ردية وحصران – وخدامة التنظيف والتبيض كما شرح للعموم في وقت المحاسبة.

55 جملة المصرف

647 الجملة المتحصلة

557 الجملة المصروفة

الباقي تسعون ألف ليرة إيطالية اقتضى [...] تقسم على [...]

بكل مديرية –

[...] جميع المصارف المذكورات قد طرحت أمام الناس واعترفوا بها المشايخ المذكورين الموقعين. صدر ذلك بتاريخ 1944/8/2»[205].

وعقب انتهاء حفل ضيافة الأمير إدريس السنوسي طرحت المصاريف على العموم وأقر بها المشايخ المشرفون على اللجنة المنتخبة لضيافة الأمير، وما تبقى من أموال قسم على عدد النفوس لتعمل به المديريات.

الخاتمة

ختامًا يسعنا القول إن علاقة آل الكزَّة بالحركة السنوسية وأئمتها تبلورت منذ لقائهم مع الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي، ببنغازي في بدايات العشرية الخامسة من القرن التاسع عشر، واستحوذت عليهم شخصيته الدينية، وأسرتهم تعالميه ومبادئه وكراماته، فأطاعوه وأخلصوا لدعوته، وامتثلوا لأوامر وتوجيهات من تولى الإمامة والإمارة من عقبه.

وما يجب التنبيه إليه في نهاية المطاف؛ أن طبيعة علاقة آل الكزَّة بالحركة السنوسية التي مرت بعدة مسارات، مصدرها روحي ديني، لذلك ساروا خلفها دون غضاضة وبطواعية وجدية، باعتبار أئمتها مرابطين ورموزًا يشبعون الإحساس الديني والروحي، ويساعدون على إنارة الطريق إلى الدار الآخرة من خلال علومهم الشخصية وبركتهم وبركة أسلافهم المرابطين، لاسيما وأن آل الكزَّة كسواهم من البنى الاجتماعية البرقاوية كانوا –ولا يزالوا– في معظمهم شديدي الولوع بالأولياء الصالحين.

إن هذا الانجذاب الديني والروحي استرعى انتباه دهاة السياسة الإيطالية وأفقدهم رشدهم، فطفقوا يبثون سموم الفتنة والشقاق للإيقاع بين آل الكزَّة والبنى الاجتماعية الأخرى، وبين قيادات الحركة السنوسية لينفضوا من حولها في ساعات حرجة من الجوع والمرض والتهديد بفقدان الأرض والعرض والجفاف والحرب، غير أن سمومهم المبثوثة لم تسر في دماء آل الكزَّة وظلت علاقتهم بالحركة السنوسية وأئمتها وقياداتها متواصلة ومستمرة في الوطن والمهجر.

الهوامش:

[1] - Andreu Solà-Martín,Tom Woodhouse,**The United Nations, armed conflict and peacekeeping**,(Spain: Open
University of Catalonia Foundation,2011),P9.

[2] - WALTER GARY SHARP, SR," PROTECTING THE AVATARS OF INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Durham: Duke University, School of Law, Vol. 7,1993),p93.

[3]- إنظر إلي المادة رقم (2) من ميثاق الأمم المتحدة .

[4]- المرجع السابق نفسه .

[5] - JOHN W. LANGO, Preventive Wars, Just War Principles, and The United Nation, **The Journal of Ethics** , (Netherlands: Springer , 2005) p251

[6]- إنظر إلي المادة (33) من ميثاق الأمم المتحدة .

[7]- المرجع السابق نفسه .

[8]- Ruth Mackenzie,**Law and policy of international courts and tribunals**(London: The University of London Press,2005),p29.

[9]- إنظر إلي الفقرة الثالثة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة .,

[10] - Allen S. Weiner," THE USE OF FORCE AND CONTEMPORARY SECURITY THREATS: OLD MEDICINE FOR NEW ILLS?", **Stanford Law Review**,(Stanford,CA, the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University, Vol. 59, Issue 2,2006),p422.

[11] - Christopher W. Moore and Peter J. Woodrow,**Handbook of Global and Multicultural Negotiation,**(San Francisco: Jossey-Bass,2010),p7.

[12] -Tanya Alfredson and Azeta Cungu,**Negotiation Theory and Practice: A Review of the Literature,**(Rome: FAO Policy Learning Programme,2008),p2.

[13] - Idem.

[14] - Judy Kent and Anne Touwen, **CONFLICT RESOLUTION,**(Geneva: International Federation of University Women,2001),p9.

[15]- صائب عريقات ، **الحياة مفاوضات** ،(نابلس: جامعة النجاح الوطنية ، 2008)، ص 15.

[16] - Marieke Kleiboer," Understanding Success and Failure of International Mediation" , **The Journal of Conflict Resolution**,(College Park : University of Maryland,Vol. 40, No. 2 ,Jun 1996),p360.

[17]- منيرة فيصل عبدالله السلطان ، **الوساطة أداة رئيسية من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية عربيا واسلاميا،** رسالة ماجستير (عمان : قسم العلوم السياسية، كلية الآداب ، جامعة الشرق الأوسط ، 2012) ، ص 15.

[18] - Arthur Boutellis and Christoph Mikulaschek, **Strengthening Preventive Diplomacy and Mediation: Istanbul Retreat of the UN Security Council,**(New York: International Peace Institute, April 2012),p2.

[19]- Jacob Bercovitch," MEDIATION SUCCESS OR FAILURE: A SEARCH FOR THE ELUSIVE CRITERIA", **The Journal of Conflict Resolution**,(Vol.7,No.2,August 2006),p290.

[20] - LOUIS KRIESBERG," Formal and Quasi-Mediators in International Disputes: An exploratry Analysis "**Journal of Peace Research**,(Oslo: SAGE Publications, Vol. 28. No. 1 , 1991),p19.

[21] - For more information see : United Nations, **United Nations Guidance for Effective Mediation**,(NewYork: United Nations publications,2012),p2.

[22] - Idem.

[23] - Hans. J. Giessmann and Oliver Wils, **Seeking Compromise? Mediation Through the Eyes of Conflict Parties**,(NewYork:UN Publications,2011),p187.

[24] - Heidi Burgess and Guy Burgess, **Conducting TRACK II PEACEMAKING,**(Washington: United States Institute of Peace,2012),pp5-6

[25] - Martin Griffiths and Teresa Whitfield, **Mediation:Ten years on Challenges and opportunities for peacemaking** ,(Geneva: Henry Dunant Centre for Humanitarian Dialogue, 2010),p8

[26] - Marieke Kleiboer, Op.cit,p368

[27]- زروال عبدالسلام ، **عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة** ، (رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2009 – 2010)، ص 19.

[28] - Office of Legal Affairs, **Handbook on the Peaceful Settlement of Disputes between States,**(New York: UNITED NATIONS PUBLICATION,1992),p24.

[29] - Idem.

[30] - J. G. MERRILLS, **INTERNATIONAL DISPUTE SETTLEMENT,**(New York: Cambridge University Press,Fourth edition,2005),pp45-46.

[31] - Office of Legal Affairs,Op.cit.p46

[32] - Ruth Mackenzie, Op.cit.p40.

[33]- محمد بواط ، **التحكيم في حل النزاعات الدولية** ،(رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية العلوم القانونية والإدارية ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الجزائر ، 2007\2008)، ص 17.

[34]- المرجع السابق ، ص ص 18-19

[35] - عمر سعد الله ، **القانون الدولي للحدود** ،(الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، **الجزء الأول** ، 2003) ، ص1 .

[36]- محمد بواط ، **التحكيم في حل النزاعات الدولية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 19.

[37]- زروال عبدالسلام ، عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 21 .

[38]- محمد الأخضر كرام ، "الدبلوماسية الوقائية بين نصوص الميثاق وأجندة السلام" ، **المجلة العربية للعلوم السياسية** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 14 ، ربيع 2007) ، ص 132.

[39]- زروال عبدالسلام ، عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، مرجع سبق ذكره ، ص 22

[40]- محمد المجذوب ، **التنظيم الدولي :النظرية والمنظمات العالمية والإقليمية والمتخصصة** ،(بيروت : منشورات الحلبي الحقوقية ، الطبعة السابعة ، 2002) ، ص 313 .

[41] - CHRISTIAN STOCK, **A MANDATE IS NOT ENOUGH: The Security Council and Peacekeeping**,(Berlin: Friedrich-Ebert-Stiftung Global Policy and Development Department ,October 2011),p5.

[42] - إنظر الي المادة الثانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة .

[43] -Natalino Ronzitti,"Lessons of International Law from NATO's Armed Intervention Against the Federal Republic of Yugoslavia " **Journal of THE INTERNATIONAL SPECTATOR,**(Roma:Routledge, VOLUME XXXIV, No. 3, July - Sep 1999),p45

[44] **-** Elham Animzadeh **, The United Nations and International Peace and Security : A legal and practical analysis , Thesis Submitted for the Degree of PhD in International Law**,(Glasgow: Faculty of Law and Financial Studies**,**University of Glasgow , 1997) , p 29.

[45] - Pascal TEIXEIRA, **The Security Council at the Dawn of the Twenty-First Century: To What Extent Is It Willing and Able to Maintain International Peace and Security?,**(Geneva: The United Nations Institute for Disarmament Research,2003),p5

[46] - Wahab Egbewole," United Nations Security Council and the Challenge of Rule of Law in the 21st Century"**Journal of Research and Practice in Social Sciences,**(---: ISSN-1715-4731, Vol. 6, No. 2 ,February 2011),p59.

[47] -Idem.

[48] - Matthew C. Waxman," Cyber-Attacks and the Use of Force: Back to the Future of Article 2(4)" , **The Yale Journal Of International Law** ,Vol. 36,No. 421,2011),p426

[49] - For more information see: Mark S. Stein," THE SECURITY COUNCIL, THE INTERNATIONAL CRIMINAL COURT, AND THE CRIME OF AGGRESSION: HOW EXCLUSIVE IS THE SECURITY COUNCIL'S POWER TO DETERMINE AGGRESSION?", (Indianapolis: Robert H. McKinney School of Law, Indiana University, Vol.16,No.1,2005).

[50] - Steven R. Ratner," Image and Reality in the UN's Peaceful Settlement of Disputes", **European Journal of International Law,** (Florence: European Journal of International Law, Vol.6, No.1,1995),pp428 - 429

[51] - Ruth Wedgwood," United Nations Peacekeeping Operations and the Use of Force" **Journal of Law & Policy,** (Washington: Washington University, Volume 5, 2001), p69.

[52] - MAJOR JOSEPH P., "United Nations Peace Operations: Applicable Norms and the Application of the Law of Armed Conflict", **Journal of The Air Force Law Reviw**,(Washington : Active duty Air Force judge advocates,USA,Vol.50,2001),pp6-7.

[53] - Idem.

[54] - WALTER GARY SHARP, SR," PROTECTING THE AVATARS OF INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Durham: Duke University, School of Law, Vol. 7, 1993), Op.cit, p95.

[55] - Idem.

[56] - Ingunn Hilmarsdóttir, **United Nations Peacekeeping Evolution, principles and the applicable norms,** Lagadeild Félagsvísindasvið Háskóla Íslands,2012,P

[57] - WILLIAM E. GORTNEY, **Peace Operations,**(Washington : Joint Chiefs of Staff,US Army,2012),p viii.

[58] - Marta Martinelli, **THE PROTECTION OF CIVILIANS DURING PEACEKEEPING OPERATIONS,**(Brussels: Institute of European Studies, University of Brussels,2008)p7.
[59] -Cedric de Coning · Mateja Peter(Eds), **United Nations Peace Operations in a Changing Global Order,(** Switzerland: Palgrave Macmillan,2018),P25.
[60] - Harvey J. Langholtz, **Princi**p**les and Guidelines for** UN**Peacekee**p**in**gO**perations**,(Williamsburg, VA , USA: Peace Operations Training Institute,2010),P16.
[61] - Andreu Solà-Martín,Tom Woodhouse,**The United Nations, armed conflict and peacekeeping**,(Spain: Open
University of Catalonia Foundation,2011),P9.
[62] - Jocelyn Coulon and Michel Liégeois, **Whatever Happened to Peacekeeping? The Future of a Tradition**,(Calgary: Canadian Defence & Foreign Affairs Institute,2010),pp1-2
[63] - Ibid,p2
[64] - Jibecke H. JOENSSON, **Understanding Collective Security in the 21st century: A Critical Study of UN Peacekeeping in the former Yugoslavia,(** Thesis submitted for the degree of Doctor of Political and Social Sciences of the European University Institute, Department of Political and Social Sciences, European University Institute, Florence, September 2010),pp118-119.
[65] - Idem.
[66] - Jocelyn Coulon and Michel Liégeois,Op.cit.p2.
[67] - EMEL OSMANÇAVUŞOĞLU," CHALLENGES TO UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS IN THE POST-COLD WAR ERA", **PERCEPTIONS JOURNAL OF INTERNATIONAL AFFAIRS**,(Ankara: The Center for Strategic Research, Volume IV - Number 4, December 1999 – February 2000),p2.
[68] - Jocelyn Coulon and Michel Liégeois,Op.cit.p3.
[69] - Louise Riis Andersen, Peter Emil Engedal," Blue Helmets and Grey Zones:Do UN Multidimensional Peace
Operations Work?",(Copenhagen: Danish Institute for International Studies,2013),pp17-18.
[70] - Jaïr van der Lijn and etal ,**Peacekeeping operations in a changing world**,(The Hague: Netherlands Institute of International Relations Clingendael,2015),P25.
[71] -
[72] - Ximena Jimenez and Harvey J. Langholtz,**GENDER PERSPECTIVES IN UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS,(** Williamsburg, VA,USA: Peace Operations Training Institute,2008),p14.
[73] - Kai Michael Kenkel," Five generations of peace operations: from the "thin blue line" to "painting a country blue", Revista **Brasileira de Política Internacional,** (Brasília: Instituto Brasileiro de Relações Internacionais, Vol: 56, No.1, 2013), pp125-126.

[74] - Edward J. Horgan, **The United Nations – Beyond Reform? The Collective Insecurity of the International System and the Prospects for Sustainable Global Peace and Justice,** Thesis submitted to the University of Limerick for the degree of Master,
[75] - MATS R. BERDAL," THE SECURITY COUNCIL, PEACEKEEPING AND INTERNAL CONFLICT AFTER THE COLD WAR" **DUKE JOURNAL OF COMPARATIVE & INTERNATIONAL LAW,** (Vol.7,1996),p75.
[76] - Hitoshi Nasu, "THE EXPANDED CONCEPTION OF SECURITY AND INTERNATIONAL LAW: CHALLENGES TO THE UN COLLECTIVE SECURITY SYSTEM" **Journal of AMSTERDAM LAW FORUM**,(Amsterdam:UV Amsterdam University,Vol.3,NO.3,2011),p33
[77] - MATS R. BERDAL, Op.cit, pp75-76.
[78] -Waheguru Pal Singh Sidhu, "Regionalisation of Peace Operations" in Espen Barth Eide,(ed), **Effective Multilateralism': Europe, Regional Security and a Revitalised UN,**(London: The Foreign Policy Centre and British Council Brussels, 2004),p32
[79] - Robert Weiner,"The United Nations and War in the Twentieth and Twenty-First Centuries" **New England Journal of Public Policy**,(Boston: University of Massachusetts, Boston,Vol. 19: Iss. 1, Article 6,2003),p76.
[80]- MATS R. BERDAL ,Op,cit,p73
[81] - Louise Riis Andersen, Peter Emil Engedal," Blue Helmets and Grey Zones:Do UN Multidimensional Peace
Operations Work?",(Copenhagen: Danish Institute for International Studies,2013),P18.
[82] - Ronald Hatto," From peacekeeping to peacebuilding: the evolution of the role of the United Nations in
peace operations",(Cambridge: Cambridge university Press,2013),P 510.
[83] Caelin Briggs, Lisa Monaghan,**PROTECTION OF CIVILIANS SITES:LESSONS FROM SOUTH SUDAN FOR FUTURE OPERATIONS**,(Norwegian Refugee Council,2017),P18.
[84] - Júlia Gifra Durall,"UNITED NATIONS PEACEKEEPING OPERATIONS UNDER CHAPTER VII: EXCEPTION OR WIDESPREAD PRACTICE ?", Revista del Instituto Español de Estudios Estratégicos Núm. 2 / 2013,P 9.
[85] - Maria do Céu Pinto Arena," A Blurring of Roles: Use of Force in UN Peacekeeping" PERSPECTIVAS, JOURNAL OF POLITICAL SCIENCE,(Portugal: Research Center in Political Science, SPECIAL ISSUE, 2017),P 60.
[86] - George F. Oliver," The Other Side of Peacekeeping: Peace Enforcement and Who Should Do It?",in Harvey Langholtz, Boris Kondoch, Alan Wells (Eds.)**, International Peacekeeping: The Yearbook of International Peace Operations**, (Netherlands: Koninklijke Brill N.V, Volume 8, 2002),pp101-102.
[87] - Ronald Hatto,Op.cit,pp 514-515.
[88] - Ingunn Hilmarsdóttir, **United Nations Peacekeeping Evolution, principles and the applicable norms,** Lagadeild Félagsvísindasvið Háskóla Íslands,2012,P87.

[89] -United Nations,**United Nations Peacekeeping Operations** Principles and Guidelines**,(**NewYork: Department of Peacekeeping Operations Department of Field Support,2008),P18.
[90] - Ibid,P89.
[91] - CHRISTIAN STOCK,Op.cit,p3.
[92] - MARTINA ŠMUCLEROVÁ, "UN-LED" OR "UN-AUTHORIZED" OPERATION?: DISCERNING AMONG THE UN SECURITY COUNCIL'S MANDATED OPERATIONS", **Journal of The lawer quarterly,** (Czech Republic : The Institute of State and Law of the Academy of Sciences , Vol 2, No 4 ,2012),p306.
[93] - George F. Oliver," The Other Side of Peacekeeping: Peace Enforcement and Who Should Do It?",in Harvey Langholtz, Boris Kondoch, Alan Wells (Eds**.**)**, International Peacekeeping: The Yearbook of International Peace Operations**, (Netherlands: Koninklijke Brill N.V, Volume 8, 2002),pp101-102.
[94] - David M. Malone, **The UN Security Council: From the Cold War to the 21st Century,**(Boulder: Lynne Rienner Publishers,2004),p6.
[95] - Tim Murithi," The African Union's evolving role in peace operations: the African Union Mission in Burundi, the African Union Mission in Sudan and the African Union Mission in Somalia", **African Security Review**,(Pretoria: Institute for Security Studies,Vol.17,No.1,2008),p71.
[96] - Darya Pushkina & Philip Maier," United Nations Peacekeeping in Timor- Leste",**Journal of Civil War** ,(London: Routledge,September 2012),p326.
[97] - See Report of the Secretary-General pursuant to General Assembly Resolution 53/35: The Fall of Srebrenica
(**A54/549**, November 15, 1999).
[98] -See Report of the Independent Inquiry into the Actions of the United Nations during the 1994 Genocide in
Rwanda (**S/1999/1257**, December 16, 1999, Annex).
[99] - Nicolas Lamp and Dana Trif," **United Nations Peacekeeping Forces and the Protection of Civilians in Armed Conflict**" (Berlin: Hertie School of Governance,2009),p3.
[100] - Yamashita Hikaru," Reexamining Peacekeeping: The 'Brahimi Report' and Onward", **NIDS Journal of Defense and Security** (Tokyo: The National Institute for Defense Studies, Vol. 8, No. 1, October 2005),p45.
[101] - Carsten Stahn," Responsibility to Protect: Political Rhetoric or Emerging Legal Norm?", **The American Journal of International Law**,(Wshington: American Society of International Law, Vol. 101, No. 1,2007),p100.
[102] - louise fréchette, **UN PEACEKEEPING: 20 YEARS OF REFORM**,(Ontario: The Centre for International Governance Innovation,2012),p8

[103] - Carlos Chagas Vianna Braga," Peacekeeping, R2P, RwP and the Question of the Use of Force" in Eduarda Passarelli Hamann and Robert Muggah (eds**) IMPLEMENTING THE RESPONSIBILITY TO PROTECT:NEW DIRECTIONS FOR INTERNATIONAL PEACE AND SECURITY?,** (Brasilia: Igarape Institute,2013),p37

[104] - louise fréchette,Op.cit,p8

[105] - For more information See: Presidential Statement (S/PRST/1999/6)- 17 Sep . 1999 Resolution 1265 on POC in armed conflictb(S/RES/1265)- 19 Apr. 2000 Resolution 1296 on POC in armed conflict (S/RES/1296)- 21 Jun. 2001 Letter from the Council President (S/2001/614)- 15 Mar. 2002 First Aide Mémoire (S/PRST/2002/6)- 20 Dec. 2002 Presidential Statement (S/PRST/2002/41)- 26 Aug. 2003 Resolution 1502 on protection of United Nations personnel, associated personnel and humanitarian personnel in conflict zones (S/RES/1502)- 15 Dec. 2003 Presidential Statement (S/PRST/2003/27)- 14 Dec. 2004 Presidential Statement (S/PRST/2004/46)- 21 Jun. 2005 Presidential Statement (S/PRST/2005/25)- 14–16 Sep. 2005 World Summit (A/RES/60/1)- 28 Apr. 2006 Resolution 1674 on POC in armed conflict (S/RES/1674)- 4 Dec. 2006 Council Open Debate (S/PV.5577 and Res. 1)- 23 Dec. 2006 Resolution 1738 on POC in armed conflict (S/RES/1738)- 22 Jun. 2007 Council Open Debate (S/PV.5703)- 20 Nov. 2007 Council Open Debate (S/PV.5781 and Res. 1)- 27 May 2008 Council Open Debate(S/PV.5898 and Res. 1)- 14 Jan. 2009 Revised Aide Mémoire(S/PV.6066 and Res.1and (S/PRST/2009/1).

[106] - See: S/1999/957-30 Mar. 2001 S/2001/331-26 Nov. 2002 S/2002/1300-28 May 2004 S/2004/431-28 Oct. 2007 S/2007/643-29 May 2009 S/2009/277.

[107] - UN, **UNITED NATIONS HANDBOOK 2012-13, (**Wellington, New Zealand: the Ministry of Foreign Affairs and Trade,2012),p214.

[108] - Christian Schneider, **The Role of Dysfunctional International Organizations in World Politics: The Case of the United Nations Office on Drugs and Crime**, Thesis presented to the Faculty of Arts of the University of Zurich for the degree of Doctor in Philosophy ,2012,p38.

[109] - http://www.un.org/ru/publications/pdfs/un-handbook-2012_en.pdf retrieved on 5th November 2013, 21:30.

[110] - Siobhan O'Neil and James Cockayne,"Introduction", in James Cockayne and Siobhan O'Neil(eds)**, in an Era of Violent Extremism: Is It Fit for Purpose?,**(NewYork: United Nations University, 2015**),**PP16-17.

[111]- Maria do Céu Pinto Arena," A Blurring of Roles: Use of Force in UN Peacekeeping" PERSPECTIVAS, **JOURNAL OF POLITICAL SCIENCE**,(Portugal: Research Center in Political Science, SPECIAL ISSUE, 2017),P61.

[112] - Gözde Kaya," A New Era in peacekeeping for the United Nations: Leaving traditional peacekeeping behind", **Journal of Economics and Management**,(Katowice, Poland: University of Economics in Katowice, Vol. 20 (A) • 2015),P54.

[113] -Malte Brosig and Norman Sempijja," Does Peacekeeping Reduce Violence? Assessing Comprehensive Security of Contemporary Peace Operations in Africa",**Stability:International Journal of Security & Development**,(Kitchener, Ontario, Canada: Centre for Security Governance, :(1)7 4,2018),P3.

[114] -KATHARINA P. COLEMAN AND PAUL D. WILLIAMS," "Logistics Partnerships in Peace Operations," (New York:
International Peace Institute, June 2017)P2.

[115]- ARTHUR BOUTELLIS AND NAUREEN CHOWDHURY FINK," Waging Peace: UN Peace Operations Confronting Terrorism and Violent Extremism",(NewYork: International Peace Institute, 2016),P2

[116] - *Cedric de Coning*," UN Peace Operations and Changes in the Global Order: Evolution,Adaptation,and Resilience",in Cedric de Coning and MatejaPeter, (eds)**,United Nations Peace Operations in a Changing Global Order**,(Gewerbestrasse, Switzerland: Palgrave Macmillan,2019),P297.

[117] – نود التنويه إلى أن الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي كان قد قدم قبل ذلك إلى برقة للمرة الأولى في منتصف العشرية الثالثة من القرن التاسع عشر، ولكنه لم يمكث فيها طويلًا، ؛ للمزيد من الاستطراد راجع: عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق، 1966، ص 15، ص 21، محمَّد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948، ص 16، ص 17؛ أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، دار لبنان، بيروت، 1967، ص 18؛ علي محمَّد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، ط5، دار المعرفة، بيروت، 2011، ص 35؛ ايفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ترجمة عمر الديراوي أبوحجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ص 29؛ صادق فاضل زغير الزهيري "محمود المنتصر ودوره السياسي في ليبيا 1903–1970" (رسالة ماجستير) كلية التربية (ابن رشد) العراق، 2010، ص 13.

[118] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، تأليف السيد أحمد الشريف بن محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي، ص ص 60، 61؛ عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، المرجع السابق، ص 53؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947، ص 141.

[119] – للمزيد عن **المرابط والرجل الصالح سيدي خريبيش** راجع: هنريكو دي أوغسطيني، سكان برقة دراسة تاريخية وانثرغرافية، ترجمة إبراهيم أحمد المهدوي، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص 673.

[120] – عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، المرجع السابق، ص 53؛ محمَّد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 43، 44؛ مقابلة أجراها الباحث مع محمَّد حمد جربوع الكزَّة بتاريخ 14 (أكتوبر) 2019، بنغازي.

[121] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، المصدر السابق، ص 60.

[122] – **عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي:** ترجمان وكاتب وسكرتير السيد أحمد الشريف، ولد في (تلغزة) قرب مدينة البيضاء عام 1900، وكانت عائلته تقيم في درنة، وفيها تعلم، ثم حفظ القرآن الكريم في زاوية ماره على يد الشيخ أحمد الدغباري. درس في تركيا والتحق بالسيد أحمد الشريف في إستانبول عام 1923، ولازمه حتى وفاته فترة عشر سنوات، وكان في خدمته مخلصاً : ترجماناً وكاتباً وسكرتيراً له. عمل أميناً لمكتبة مكة المكرمة ومعلماً. وتوفي ودفن بها في 1996/6/27؛ للمزيد راجع: سالم الكبتي، أحمد الشريف السنوسي مختارات من وثائق جهاده العسكري ودوره الفكري، ج1، مقاومة في العاصفة، ط1، الفرات، بيروت، 2016، ص 55.

[123] – عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، المرجع السابق، ص 53.

[124] – **الطبل:** يضرب أثناء الحروب والإنذار بالحوادث الخطيرة، وله صوت عال، وهو نذير الفزع، وفي الأعراف البرقاوية تقوم بضربه امرأة من خيرة نساء النجع. محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 110.

[125] – مقابلة أجراها الباحث مع محمَّد حمد جربوع الكزَّة بتاريخ 14 (أكتوبر) 2019، بنغازي.

[126] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، المصدر السابق، ص ص 60، 61.

[127] – مقابلة أجراها الباحث مع محمَّد حمد جربوع الكزَّة بتاريخ 14 (أكتوبر) 2019، بنغازي.

[128] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، المصدر السابق، ص ص 60، 61.

[129] – مقابلة أجراها الباحث مع محمَّد حمد جربوع الكزَّة بتاريخ 14 (أكتوبر) 2019، بنغازي.

[130] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، المصدر السابق، ص 60؛ أيضًا: محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 29، ص 31؛ دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، محمَّد عبده بن غلبون، دار إبداع للنشر والتوزيع، 1989، ص 3؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 141؛ امساعد محمَّد عبدالرازق الدروقي، برقة بين السيطرة العثمانية والقوى المحلية والأطماع الأجنبية 1835–1911، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013، ص 134.

[131] – رسالة من الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي إلى مشايخ آل الكزَّة: بوشنيف، وبوسيف، وهاشم، ويوسف، ومصطفى، تاريخ تحبيرها غير واضح، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[132] – رسالة من الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي من المدينة المنورة إلى الشيخ بوشنيف الكزَّة وكافة ابنائه، تأريخها غير واضح، وثائق الشيخ أحمد عقيلة الكزَّة.

[133] – رسالة موجهة من الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي إلى الشيخ بوشنيف الكزَّة، بدون تاريخ، وثائق الشيخ مصباح التواتي بوسيف الكزَّة.

[134] – محمَّد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، مطبعة محمَّد عاطف، ميدان الخازندار، القاهرة، ص 43؛ علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص 59؛ عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، المرجع السابق، ص ص 78، 79؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 167.

[135] – **الشيخ عمر محمَّد الأشهب:** من زليتن، تعرف على الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي أثناء مروره بزلتين فانخراط في جملة أتباعه، وعين في مجلس الإخوان وجلس للتدريس بالزاوية البيضاء، ثم عينه الإمام رئيسًا لزاوية درنة، ثم أمره ببناء زاوية مسوس وعينه شيخًا لها وتوفي بها وأعقب ابنه الكبير الشيخ السنوسي الذي خلفه في رياسة الزاوية؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 145، 146؛ علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص 66.

[136] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 146؛ ص 171.

[137] – **السيد المهدي السنوسي:** ولد في برقة في كهف على مقربة من زاوية البيضاء، ومرضعته هي السيد خضرة زوجة حسين الشريف، تلقى تعليمه على يدي والده الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي، ثم على الشيخ أحمد الريفي، والشيخ علي بن عبدالمولى، والشيخ عمران بن بركة وآخرين؛ للمزيد انظر: محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 202؛ ايفانز بريتشارد، المرجع السابق، ص 42، ص 47؛ أحمد محمد جادالله وعبدالغني عبدالله محمود، علماء السنوسية وأدباؤها (2) السيد عمران بن بركة الفيتوري ترجمته وتحقيق ما بقي من آثاره (1212– 1311هـ/ 1797– 1894)، ط1، مؤسسة كلام للبحوث والإعلام، أبوظبي، 2018، ص 27، ص 29.

[138] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 204، 205؛ علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 177، 178.

[139] – ايفانز بريتشارد، المرجع السابق، ص 113.

[140] – نفس المرجع، ص 113.

[141] – ميثاق معشر قبيلة العواقير وأهل الوطن المنطوي على اتفاقهم بملازمة ما أمرهم به الإمام السيِّد محمَّد بن علي السنوسي، وابنه الإمام المهدي، من الأمر بالمعروف والنهي على المنكر وإقامة القواعد الخمس وأداء الصلوات في وقتها وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام على من استطاع إليه سبيلًا، مؤرخ بتاريخ 10 (جمادي الثاني) 1281 هـ/10 (نوفمبر) 1864، وثائق الشيخ مصباح التواتي بوسيف الكزَّة.

[142] – وثيقة ممهورة بتوقيعات جُل مشايخ العواقير تتعلق بتعهدهم للسيد المهدي السنوسي بتقوى الله وترك محاربة بعض البنى الاجتماعية البرقاوية والمداومة على ذكر الله أناء الليل وأطراف النهار، مؤرخة بتاريخ 1282هـ/1865، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[143] – ايفانز بريتشارد، المرجع السابق، ص 113.

[144] – رسالة من السيد المهدي السنوسي إلى الشيخ بوسيف بوشنيف الكزَّة، مؤرخة بتاريخ 11 (محرم) 1285هـ/1868، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[145] – رسالة من السيد المهدي السنوسي إلى الشيخ بوسيف بوشنيف الكزَّة، والشيخ يوسف الكزَّة، مؤرخة بتاريخ شهر (رمضان) 1307هـ/1890، وثائق الشيخ أحمد عقيلة الكزَّة.

[146] – مخطوط الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، المصدر السابق، ص 34.

[147] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 238، 242؛ علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص 69، ص ص 208، 209؛ محمَّد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، ص 69.

[148] – للمزيد حول **السيد أحمد الشريف** راجع: سالم الكبتي، أحمد الشريف السنوسي مختارات من وثائق جهاده العسكري ودوره الفكري، مقاومة في العاصفة، ج1، ولهب التاريخ، ج2؛ عبدالمولى الحرير "العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي" مجلة الشهيد، العدد الرابع، مركز الجهاد، طرابلس، 1983، ص 173، ص 193؛ اروبعي محمد علي قناوي "النشاط السياسي للسيد أحمد الشريف السنوسي بالجزيرة العربية 1926– 1933"، أعمال الندوة العلمية الثالثة: (السيد أحمد الشريف السنوسي نشأته وآثاره وجهاده 1873– 1933)، المنعقدة بطرابلس يومي 3– 4 (أكتوبر) 2016، مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، الزاوية، 2018، ص 449، 480؛ أيضاً: أحمد امراجع نجم "القيادة السياسية والعسكرية للسيد أحمد الشريف السنوسي للحرب في تشاد ضد القوات الفرنسية 1902– 1914"، أعمال الندوة العلمية الثالثة: (السيد أحمد الشريف السنوسي نشأته وآثاره وجهاده 1873– 1933)، المنعقدة بطرابلس يومي 3– 4 (أكتوبر) 2016،

مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، الزاوية، 2018، ص 342، ص 388؛ الهاشمي محمَّد بالخير "أحمد الشريف السنوسي 1923–1931 وفقًا لوثائق وزارة الخارجية البريطانية" مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الثانية، العدد الثاني، مركز الجهاد، طرابلس، 1987، ص 55، ص 90.

[149] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 257، 258؛ سالم عبدالله الفلاح، معركة سيدي الحسين إحدى ملاحم الجهاد الليبي التي درات رحاها فوق الأرض الليبية بالقرب من منطقة المقرون 1915/12/18، ط1، دار الفضيل، بنغازي، 2009، ص 15، ص 18؛ مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها الساسي، ترجمة نقولا زيادة، مراجعة ناصر الدين الأسد، دار الثقافة، بيروت، 1966، ص 19.

[150] – علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص 256؛ سالم عبدالله الفلاح، المرجع السابق، ص 115، ص 123؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 266.

[151] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 259، ص 260.

[152] – علي محمَّد الصلابي، المرجع السابق، ص 257؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 267، 268.

[153] – وثيقة مكتوبة بخط يد الشيخ حمد جربوع الكزَّة تتعلق بمجيء السيد أحمد الشريف إلى مسوس وتأسيس دور العواقير **(ساونو)** ودوره في مقاومة الاحتلال الإيطالي، بدون تاريخ، من ثلاث صفحات، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة؛ أيضًا: محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 279، ص 283.

[154] – محمَّد الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص ص 310، 311.

[155] – أمر صادر من السيد أحمد الشريف بتعيين الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة **(باشجاءثي بيادة)**، مؤرخ بتاريخ 28 (شوال) 1333هـ/الثامن من (سبتمبر) 1915، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[156]– رسالة من السيد أحمد الشريف إلى الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة مؤرخة بتاريخ (ذي الحجة) 1333هـ/1915، تتعلق بترقيته إلى رتبة **(ملازم ثاني بيادة)**، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[157] – رسالة من السيد أحمد الشريف إلى الشيخ الحسين بن علي بن مصطفى بوشنيف الكزَّة، تتعلق بضرورة قدومه إليه في المنطقة الواقعة بالقرب من السلوم على الحدود الشرقية، مؤرخة بتاريخ 27 (ربيع الأول) 1334هـ/الثاني من (فبراير) 1916، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[158] – إرادة صادرة من السيد أحمد الشريف بترفيع الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة إلى رتبة **(يوزباشي)** ومنحه النيشان عالي الشأن على شجاعته، مؤرخ بتاريخ 28 (جمادي الأولى) 1334/الثاني من (أبريل) 1916، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[159] – أمر صادر من السيد أحمد الشريف بتعيين اليوزباشي الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة **(قائد أعلى كركون)** مؤرخ بتاريخ 7 (صفر) السنة غير واضحة، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[160] – رسالة موجهة من السيد أحمد الشريف إلى اليوزباشي قجة عبدالله البدي، مؤرخة بتاريخ 22 (شوال) 1333هـ/2 (سبتمبر) عام 1915، يوصيه فيها بحل مشكلة للشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة تتعلق بسرقة غنمه، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[161] – رسالة موجهة من أبناء السيد أحمد الشريف: السيد إبراهيم والسيد محيي الدين إلى الشيخ الصالحين عبدالعالي مصطفى بوشنيف الكزَّة، مؤرخة في التاسع من (شعبان المعظم) 1338هـ/1920، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[162] – سالم الكبتي، أحمد الشريف السنوسي مختارات من وثائق جهاده العسكري ودوره الفكري، ج1، ص 40؛ محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 182.

[163] – رسالة موجهة من السيد أحمد الشريف من مقر إقامته بتركيا إلى الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة، مؤرخة في شهر (غرة محرم) 1340هـ/1921، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[164] – رسالة موجهة من السيد أحمد الشريف من مقر إقامته بتركيا إلى أبناء الشيخ إبراهيم المصراتي الكزَّة محمَّد مقيص وحمد جربوع، مؤرخة بتاريخ 1341هـ/1922، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[165] – تقرير من حكومة برقة يشير إلى تطور الأحداث المتعلقة بالاتصالات التي تجرى بواسطة عثمان سليمان العنيزي مع الشيخ عبدالسلام الكزَّة، بتاريخ 5 (مارس) عام 1916، وثيقة رقم (58) الوثائق الإيطالية، المجموعة العاشرة، ترجمة خالد زكي ثابت، إعداد علي عمر الهازل، مركز الجهاد، طرابلس، 1991، ص 213، ص 217.

[166] – رسالة من عثمان سليمان العنيزي إلى الشيخ عبدالسلام الكزَّة بشأن عدم مقدرته على توفير الأشياء التي طلبه السيد إدريس السنوسي، بدون تاريخ، وثيقة رقم (57) الوثائق الإيطالية، المجموعة العاشرة، نفس المصدر، ص 211.

[167]– مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، مركز الجهاد، طرابلس، 1988، ص ص 107، 108؛ انريكو انسباتو وكارلو قوتي شيناري، العلاقات العربية الإيطالية 1902–1930، ترجمة عمر الباروني، مراجعة عبدالرحمن سالم العجيلي، مركز الجهاد، طرابلس، 1980، ص 301؛ محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة

النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص ص 69، 70؛ محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 317؛ هنريكو دي أوغسطيني، المرجع السابق، ص 156؛ ص 405؛ ص431؛ دي كاندول، المرجع السابق، ص 29.

[168]– دي كاندول، المرجع السابق، ص 29؛ وأيضًا: وليد شعيب آدم، عبقرية عمر المختار في قيادة النضال، دراسة المؤثرات المساعدة في بلورة شخصيته سياسيًا وعسكريًا، ط1، دار طبرق، 2012، ص ص 57، 58.

[169]– محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص ص 187، 188.

[170]– وليد شعيب آدم، عبقرية عمر المختار في قيادة النضال، ص 59؛ محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص ص 187، 188؛ اتيليو تروتسي، برقة الخضراء، ترجمة خليفة محمَّد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1991، ص 36؛ محمَّد الطيب الاشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص 317.

[171] – وليد شعيب آدم "علاقة أعيان ومشايخ برقة بالحكومة الإيطالية وأثرها في بلورة الأدوار والسياسات والمواقف 1912–1931" مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الخامس والعشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2018، ص 78.

[172]– وثيقة تشير إلى حديث دار بين أحد أعيان بنغازي المتعاونين مع الحكومة الإيطالية والشيخ عبدالسلام الكزَّة، بتاريخ 13(نوفمبر) 1915، وثيقة رقم (53) الوثائق الإيطالية، المجموعة العاشرة، المصدر السابق، ص 187، ص 193.

[173]– تقرير من حكومة برقة حول الاتصالات التي جرت بين بعض أعيان بنغازي المتعاونين مع الحكومة الإيطالية والشيخ عبدالسلام الكزَّة، بتاريخ 5 (مارس) 1915، وثيقة رقم (58) الوثائق الإيطالية، المجموعة العاشرة، نفس المصدر، ص 213، ص217.

[174]– تقرير من المكتب السياسي لحكومة برقة بشأن المحاولات التي تمت عن طريق المراسلة بين أحد أعيان بنغازي وبعض مشايخ البنى الاجتماعية، بتاريخ 7 (أبريل) عام1916، وثيقة رقم (62) الوثائق الإيطالية، المجموعة العاشرة، المصدر السابق، ص 233، ص 236؛ وكذلك: رسالة من أحد أعيان بنغازي إلى بعض مشايخ عائلات سليمان العواقير يشرح فيها بعض المواقف التي تمر بها برقة، بتاريخ 7 (أبريل) عام1916، وثيقة رقم (64) نفس المصدر، ص ص 243، 244.

[175]– هنريكو دي أوغسطيني، المرجع السابق، ص 428.

[176]– رسالة من أحد أعيان بنغازي المتعاونين مع الحكومة الإيطالية إلى مشايخ عائلات سليمان العواقير بخصوص دعوتهم إلى الانضمام للحكومة الإيطالية، بتاريخ 18 (جمادي الأول) 1916/1334، وثيقة رقم (63) الوثائق الإيطالية، المجموعة

العاشرة، المصدر السابق، ص241؛ رسالة من أحد أعيان بنغازي المتعاونين مع الحكومة الإيطالية إلى مشايخ العواقير يدعو فيها إلى السلام مع الحكومة الإيطالية، وثيقة رقم (64) نفس المصدر، ص ص 243، 244.

[177] – للمزيد من الاستطراد عن **الشيخ عبدالسلام عبدالقادر الكزَّة** وجهاده ومواقفه البطولية من 1911 إلى أن أجبر على الهجرة إلى مصر في أواخر عام 1930، راجع: إدريس الحرير "الشيخ المجاهد عبدالسلام الكزَّة 1860– 1940" مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد التاسع والعاشر، مركز الجهاد، طرابلس، 1995، ص 173.

[178]– رسالة من السيد إدريس السنوسي إلى صفي الدين السنوسي بتاريخ 13 (رمضان) 1334 هـ/1915، تتعلق بالظروف الاقتصادية الصعبة **(وتسكير البلاد)** وفيها إشارة إلى نوري باشا بقوله **(ربنا يستر مع هذا الرجل)**؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير (1914–1945)، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2013، ص 57.

[179]– محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 192.

[180] – عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي الدرسي، المرجع السابق، ص 47؛ فرج نجم، سير الأجداد بين الابتلاء والغبن والتخوين الشارف باشا الغرياني أنموذجًا، دار الطالب، 2005، ص 38.

[181]– محمَّد الطيب الأشهب، عمر المختار، القاهرة، 1957، ص51؛ علي عبداللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار1830–1932، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1995، ص 184؛ وللمزيد أيضًا راجع: محمَّد الطاهر الجراري "الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار" أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عقدت بمركز جهاد الليبيين في الفترة من 26–2000/9/27، ط1، مركز الجهاد، طرابلس، 2005، ص 387؛ محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص ص 81، 82؛ محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص187، ص 197.

[182] – مذكرة خطية موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشارف باشا الغرياني، مؤرخة بتاريخ 15 (شعبان) 1336هـ، تتعلق بإبلاغ العمارنة بشرط مراعاة الحق في مياه الآبار، والمتابعة مع الشيخ عبدالسلام الكزَّة؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير (1914–1945)، ص 85.

[183] – أمر صادر من الأمير إدريس السنوسي بإعفاء الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة من المشاركة في القتال في جهة الغرب بسبب أصابته برجله في إحدى المعارك مع العدو، مؤرخ بتاريخ 17 (محرم) 1335هـ/1916، وثائق الشيخ بوشنيف محمَّد مصطفى الكزَّة.

[184] – أمر صادر من الأمير إدريس السنوسي بتعيين الشيخ إبراهيم بك المصراتي الكزَّة بتاريخ 28 (شعبان) 29 (مايو) عام 1919، في مجلس الأعيان، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[185] – ما نود الإشارة إليه أن الرتبة المتعارف عليها آنذاك كانت تركية **(المتمايز والميرميران)**، والبعض الآخر يشير بأن متمايز ملكية ليست رتبة، وإنما تسمى درجة التميز، يُمنح بموجبها وسامًا أو وشاح أو نيشان، والتميز درجة من التوفيق في مجال ما، وكذلك النياشين تصدر بموجب مراسيم أميرية أو ملكية للمتميزين في أداء عملهم.

[186] – رسالة موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة، مؤرخة بتاريخ 16 (ذي القعدة) 1337هـ/13 (أغسطس) عام 1919، تتعلق بمنح الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة **(رتبة متمايز ملكية)**، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[187] – رسالة مرقونة على الآلة الكاتبة موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة، مؤرخة بتاريخ 23 (ربيع الأول) 1338هـ/16 (ديسمبر) عام 1919، تتعلق بمنح الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة **(رتبة ميرميران باشا)**، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة؛ أيضًا: وثيقة مكتوبة بخط اليد موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة تنطوي على منح الشيخ محمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة **(رتبة ميرميران باشا)** مؤرخة بتاريخ 1338هـ/عام 1919، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[188] – أمر صادر من الأمير إدريس السنوسي بتاريخ 1341هـ/1922، بتعيين الشيخ محمَّد باشا بن إبراهيم المصراتي الكزَّة عضوًا بالمجلس العمومي بلواء أجدابيا، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[189]– ايفانز بريتشارد، المرجع السابق، ص 254؛ سالم الكبتي، الدستور في ليبيا تاريخ وتطورات، ط1، دار الساقية، 2012، ص 25.

[190] – للمزيد حول اشتداد وطأة المرض بالأمير إدريس السنوسي منذ عام 1920، واضطرره للسفر إلى مصر في أواخر (ديسمبر) عام 1922، بقصد المداواة من مخالب المرض الذي ألم به وأنهك بدنه وقواه؛ راجع نص رسالته المرسلة إلى وزير المستعمرات الإيطالية في روما المنطوية على طلبه السفر إلى حمام حلوان بمصر من أجل الشفاء من المرض الجلدي الذي أصابه: «...**ظهرت على بدني [الأمير إدريس] أعراض مرض جلدي انحطت بها قواي لدرجة يتعذر علي شرحها...وبكل أسف لقيت نفسي منذ حللت الجبل [الجبل الأخضر] كل يوم يمر كلما أرى جسمي يزداد هزولًا وقواي انحطاطًا... وأن أحوال صحتي العمومية هي ضعيفة جدًا وأن هذا العارض الأخير قد زاد من قواي نهكًا وبدني نحولًا بحيث لا يمكن القيام بأي عمل أو حركة...أن حالتي مقلقة إلى درجة لا يمكن وصفها...**"، رسالة من الأمير إدريس السنوسي إلى وزير المستعمرات الإيطالية

في روما، وثيقة رقم (106) مؤرخة بتاريخ 1 (يوليو) عام 1922، الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى، ترجمة شمس الدين عرابي بن عمران، إعداد الفرجاني سالم الشريف، مركز الجهاد، طرابلس، 1989، ص 441، ص 444؛ أيضًا راجع: محمَّد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936، ص 56، ص 60؛ محمَّد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص ص 262، 263؛ وليد شعيب آدم، عبقرية عمر المختار في قيادة النضال، ص ص 63، 64.

[191] – محمَّد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص ص 388، 389.

[192] – فرج نجم، المرجع السابق، ص 19؛ إبراهيم العربي الغماري، ذكريات معتقل العقيلة، ط1، مركز الجهاد، طرابلس، 1995، ص 27.

[193] – سالم عبدالله الفلاح، المرجع السابق، ص 116، ص 120؛ إدريس الحرير، المرجع السابق، ص 174.

[194]– جورجو روشا "قمع المقاومة في برقة 1927–1931" عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة عبدالرحمن سالم العجيلي، ط1، مركز الجهاد، طرابلس، 1988، ص 149، ص 150؛ عقيل محمَّد البربار "سكان ليبيا 1835–1950" المجتمع الليبي 1835–1950، أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عقدت بمركز الجهاد في الفترة من 26–2000/9/27، ط1، مركز الجهاد، طرابلس، 2005، ص 62، ص 77.

[195] – رسالة موجهة من الأمير إدريس السنوسي مؤرخة بتاريخ 5 (ربيع الأول) 1358هـ/1939، إلى الشيخ عبدالحميد العبار في إطار تنسيق العمل الوطني لتحرير البلاد؛ سالم الكبتي؛ إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير (1914–1945)، ص 344.

[196] – ميثاق اجتماع فيكتوريا بالإسكندرية الذي عقد بمنزل الأمير إدريس السنوسي في 6 (رمضان) 1358 هـ/22 (أكتوبر) عام 1939؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير (1914–1945)، ص 345.

[197]– رسالة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ ناصر عبدالسلام الكزَّة، مؤرخة بتاريخ الثالث من (أغسطس) عام 1940، وثائق الشيخ ناصر عبدالسلام الكزَّة.

[198] – رسالة موجهة من الأمير إدريس السنوسي إلى الشيخ محمَّد مقيص إبراهيم المصراتي الكزَّة بتاريخ 10 (فبراير) عام 1943، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[199] – رسالة موجهة من الأمير إدريس السنوسي من مقر إقامته بحي الزمالك شارع عمر باشا حشمت إلى أنجال الشيخ التواتي بوسيف الكزَّة، مؤرخة بتاريخ 8 (سبتمبر) عام 1943، وثائق الشيخ مصباح التواتي الكزَّة.

[200] – **الشيخ عبدالجليل المصراتي الكزَّة** هو صاحب الخطاب المشهورة في يوم **(حفل يوم النصر)** الذي اقامته الإدارة العسكرية البريطانية في منطقة سلوق عام 1945، الذي أشار فيه أمام والي برقة العام ومتصرف الحاضرة **ريد** وسيادة القائمقام وقومندان بوليس برقة، وعميد بلدية بنغازي، وبعض ضباط بوليس بنغازي وسواهم من الضباط البريطانيين، فضلاً عن كبار المشايخ قائلاً : "**يا سعادة الوالي نشكركم على مشاركتكم لنا في الاحتفال، وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن أمانينا في أن نعيش في هذا البلد تحت لواء خافق من الحرية، الحرية التي بذلنا في سبيلها كل مرتخص وغال منذ عام 1911، حين هاجمنا الطليان وقمنا جميعاً، فقاتلنا بالسلاح وبالعصى وبالحجر، وبالقلوب وبالأجسام وبكل ما نملك ولكننا لم نسلم أبداً وحين سكتنا انتظرنا الفرص، فلما أن بدأ أميرنا العظيم حركته في مصر لم يمضي قراره على المهاجرين فقط بل مضى علينا أيضاً بدون أن نحضر ورغبنا في أن يشملنا، فقدمنا كل مساعدة لطياريكم وجيوشكم والآن نريد أن نشمل بالصالح العام وينعم وطننا بالرفاهية، لا فرق بين مهاجرين ومقيمين لأن من هاجر وجد السبيل إلى ذلك ومن لم يهاجر حيل بينه وبين ذلك**"؛ صفحات من جريدة برقة الجديدة، العدد (2)، بنغازي بتاريخ 25 (مايو) 1945، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزة.

[201] – رسالة موجهة من الأمير إدريس السنوسي من مقر إقامته في الزمالك شارع أحمد باشا حشمت إلى المشايخ: أحمد إبراهيم المصراتي الكزَّة، وإبراهيم عقيلة الكزَّة، ومحمَّد إبراهيم المصراتي الكزَّة، وعبدالجليل المصراتي الكزَّة، مؤرخة بتاريخ 8 (سبتمبر) عام 1943، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.

[202] – طلب مقدم إلى السيد إدريس السنوسي من مجموعة من مشايخ وأعيان المهاجرين في مصر حول عودة المواطنين الليبيين إلى بلادهم، مؤرخ بتاريخ 11 (أبريل) عام 1943؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير (1914–1945)، ص 404؛ أيضًا: طلب مقدم من ناصر عبدالسلام الكزَّة للنظر في حالة المهاجرين الليبيين الموجودين **بمغاغة** في صعيد مصر، مؤرخ بتاريخ 2 (أبريل) عام 1944؛ نفس المرجع، ص 446.

[203] – دي كاندول، المرجع السابق، ص 75.

[204] – **مركز قضاء سلوق:** مركزه سلوق ويتبعه النواقية وجردينة وقمينس والمقرون ومسوس، ومديره طلوبة عبدالله طلوبة.

[205] – وثيقة توضح أسماء اللجنة المنتخبة من عموم القبائل بقضاء سلوق والمكلفة بمصاريف ضيافة الأمير إدريس السنوسي في الثاني من شهر (أغسطس) عام 1944، وثائق الشيخ حمد جربوع الكزَّة.